



• **فاتحة العدد:**

دور دار العلوم والدراعمة
في تحديث الثقافة واللغة والتعليم
في مصر الحديثة (١٨٧٢ - ١٩٢٣)

للدكتورة لويز آرمين أروين

تقديم: د. الطاهر أحمد مكي

في العقد السابع من القرن الماضي جاءت إلى القاهرة باحثة أمريكية، غايتها دراسة الدور الذي قامت به دار العلوم وخريجوها منذ إنشائها عام ١٨٧٢م حتى عام ١٩٢٣م؛ ليكون أطروحتها للدكتوراه التي سوف تتقدم بها إلى جامعة ميتشيجن. لم تقنع بمراجعة الوثائق في وطنها، وليست كاملة على التأكيد، ولم تكتف بالاعتماد على المصادر رغم توفرها، وإنما جاءت إلى القاهرة، حيث دار العلوم، تنقب وتبحث وتسأل، في دار الكتب المصرية، وفي دور المحفوظات، وفي وزارة التربية والتعليم، وفي متحف التعليم، وشتى المؤسسات التربوية والتعليمية، ثم التقت مع المعمرين من أبناء الدار، ممن يعملون فيها، أو في الجامعات، أو في وزارة التربية، أو الأعمال الحرة، أو خارج نطاق المؤسسات التى تعمل بالتعليم، حاورتهم، واستنارت بما سمعت منهم، وأيدت ملاحظاتها على ما قالوا.

ولم تقف عند هذا الحد، وإنما ذهبت إلى بريطانيا، البلد الذى يستعمر مصر إذ ذاك، ويتحكم في مصائرها كافة، ومن بينها التعليم، بما فيه دار العلوم، وربما ذهبت إلى بلاد أوربية أخرى؛ حيث درجت الوزارة على ابتعاث نبهاء الخريجين إلى الجامعات الإنجليزية؛ ليعمقوا معارفهم التربوية من جانب، ولإشاعة الانبهار في نفوسهم بحضارة المستعمر ورقيّه من جانب

آخر، وطافت بكل الجامعات الأجنبية التي درس فيها هؤلاء المبتعثون جامعات: كمبردج، وأكسفورد، وإكسترا، وليفربول، وجلاسجو، ومدرسة اللغات الإفريقية والشرقية في جامعة لندن، وبقية الجامعات الأخرى، ومكتب البعثات التعليمية في السفارة المصرية في لندن، وفي كل هذه الأمكنة تتبعت نشاطهم، وراجعت ما كتب عنهم أساتذتهم من تقارير، وما حققوه من فشل أو نجاح، ثم عادت إلى وطنها، وكتبت رسالتها هذه للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة ميشيجن عام ١٩٧٨.

منذ ذلك التاريخ أُصبح الأمر موضع اهتمام **جماعة دار العلوم**. كيف ترى هذه الباحثة الأمريكية القادمة من وراء المحيط دور كليتنا وأثرها، في رسالة جامعية، أولى ما تتسم به الموضوعية والمنهجية والحيدة؟

فريقان في مصر، وربما في أمكنة أخرى، يكرهون دار العلوم، ويغارون منها غيرة شديدة، ويجرون مع عواطفهم في كراهيتها إلى آخر مدى، كراهية تتسم بالغباء، والحقد الأعمى أولئك الذين يكرهون الإسلام دينًا وثقافة، والعربية لغة وتراثًا، ويجدون في دار العلوم حارسًا مستنيرًا واعيًا يصعب هزيمته؛ لأنها منذ أنشأها المرحوم علي مبارك على تقوى من الله ورضوان، لا تتنكر للماضي، ولكنها في الوقت نفسه لا تنسى الحاضر، ولا تدير ظهرها للمستقبل، وإنما تجمع بين ذلك كله في منظومة متكاملة فاعلة، يحار معها الهدامون باسم الحداثة والعولمة والأوربة والتغريب ماذا يفعلون؟ لأنها لا ترفض شيئًا من هذا كله، وإنما تقبله وتتمثله ثم تقدمه نتاجًا طيبًا متكاملاً ، لا نشاز فيه، وينتمي إلى أمتنا وثقافتنا، لا إلى أي علم آخر غريب عنا.

من هنا كان حرصنا على رسالة الدكتوراه هذه، والوصول إلى نصها، وعزمنا على ترجمتها؛ لنرى فيها، ويرى غيرنا أيضًا كيف يرانا الآخرون، ولم يكن الأمر سهلاً ولا ميسرًا، إذا كانت الصلة منقطعة تمامًا بالباحثة بعد

أن تركت القاهرة، ولجأنا إلى عدد من الزملاء الدراعمة الذين تربطهم بالولايات المتحدة وجامعاتها صلات وثقى، ولكن جهودنا ضاعت هباء، رغم كل وسائل الاتصالات الحديثة.

لكن الرفقة الطيبة التي تلتقي في جماعة دار العلوم، ومرَّ على إنشائها ثلاثة أرباع القرن، وهي الوحيدة الباقية من بين كل الجماعات والروابط والنقابات التي نشأت معها، لم تيأس من الوصول إلى الرسالة رغم كل العقبات.

وأخيرًا جاء الخير، والحل، على يد أحد أعضائها، زميلنا الفاضل، عضو مجلس إدارة الجماعة، **الأستاذ الدكتور أحمد عفيفي**، أستاذ النحو والصرف والعروض في كلية دار العلوم، والمعار إلى جامعة العين في الإمارات العربية المتحدة، فقد استطاع بوسائله الخاصة، وبشبكة أصدقائه ومعارفه المترامية الأطراف، ومدفوعًا بهدف نبيل للغاية أن يحصل لنا على نسخة كاملة من الدكتوراه، دون أن يكلف الجماعة أي عبء مادي، مهما كان ضئيلاً.

وها نحن الآن نملك نسخة كاملة بين أيدينا من الرسالة التي تدرس دور دار العلوم وخريجيها في تحديث الثقافة واللغة والتعليم في مصر، ونحن بصدد ترجمتها إلى العربية، سوف ننشرها فصولاً متتالية في الصحيفة، ثم كتابًا مكتملاً مستقلاً فيما بعد، وفيها الكثير من الحقائق المذهلة، لا أريد أن أتحدث عنها في هذه العجالة؛ لأن مجرد الإشارة إليها يذهب بنضارتها عند نشر النص كاملاً .





• **فاتحة العدد :**

الثقافة واللغة والتعليم في مصر الحديثة (١٨٧٢ - ١٩٢٣) ودور دار العلوم في تحديثها

للدكتورة لويز آرمين أروين - جامعة ميشتجين

تعريب وتقديم وتعليق : د الطاهر أحمد مكي

الفصـــل الأول

• **إنشاء دار العلوم :**

ما الهدف من التعليم الرسمي ؟ وما النوع الذي يحتاجه الأطفال ويتطلبونه ؟ وكـيف يتم إعداد المدرس الجيد ، إن أمكن ؟ وماذا يتطلب ؟ أسئلة طرح بعضا مـنها المقـال الافتتاحي لصحيفة دار العلوم[1] عام ١٩٤١ ، وشغل التفكير فيها شعوبًا ومجتمعات ، وجاءت الإجابة لتدل على مدى الترابط الذي لا ينفصم بين التعليم والمجتمع.

---

(1) **صـحيفة دار العلـوم** ، ٧ ينايـر ١٩٤١ صـدرت هـذه الـصحيفة في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين على أيدي خريجي دار العلوم.

* هـذه الفقـرة تحتاج إلى فضل بيان؛ لأن صحيفة دار العلوم صدرت للمرة الأولى عام ١٩٠٧، وصـدر مـنها عدة أعداد في فترات متفاوتة، ثم توقفت أثناء الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٩ ، وصـدر منها بعض الأعداد بعد ذلك ، وعادت إلى الصدور مجلة فصلية منـتظمة الظهور عام ١٩٣٤، وظلت تصدر بانتظام حتى عام ١٩٤٨ حيث توقفت. ثم عادت إلـى الظهـور في شكل أقرب إلى الصحيفة الاجتماعية عام ١٩٧٢، ولم يصدر منها في هذه المرة غير أعداد ثلاثة ، وأخيرًا عاودت الصدور للمرة الرابعة "صحيفة علمية فصلية محكمة" للغـة العـربية وآدابها والدراسات الإسلامية عام ١٩٩١ ، ولا تزال تواصل الصدور بانتظام حتى اليوم ، ويرأس تحريرها أ. د. الطاهر أحمد مكي.

- **التعليم الإسلامي التقليدي :**

عندما بدأ الرسول عليه الصلاة والسلام الدعوة إلى الإسلام في الجزيرة العربية حول عام ٦١٠م ، كان عدد الذين يقرأون ويكتبون قليلا للغاية . ومع ذلك ، كان في استطاعة أي فرد أن يكون مثقفًا دون حاجة إلى معرفة القراءة والكتابة ، لقد حلت الأذن في هذه الحالة محل العين ، ولعب الحوار دورًا قويًا وراسخًا حينذاك ، وأخذت المدارس الإسلامية الأولى شكل التعليم الخاص ، فاتخذت مكانها في بيوت المعلمين ، وحمل هذا المكان اسم **الكُتّاب** أو **المَكْتب** ، وهما لفظان مشتقان من الفعل كتب[2] . وفي العصر الحديث عُرف **الكتّاب** بأنه مكان لتحفيظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ، إضافة إلى تعليم مبادئ القراءة والكتابة ، ومبادئ الحساب الأساسية. وعلى الرغم من ذلك ، كان الهدف من تعلم القراءة والكتابة ، في أوائل العصر الإسلامي ، منفصلا عن دراسة القرآن الكريم[3] . لقد انتشر الكتّاب في شتى أنحاء العالم الإسلامي ، وفيه يحفظون القرآن الكريم ، ويدرسون العلوم الدينية الأساسية ، وكان هذا النوع من الكتاتيب يجاور المسجد عادة ، أو بداخله . ومن ثم يبدو جليًا أن الهدف من مثل هذه المعاهد هو تحفيظ القرآن الكريم بوصفه أساس العقيدة الإسلامية والسلوك

---

(2) كُتّاب، وجمعها كتاتيب، كلمة أطلقت في القرنين التاسع عشر والعشرين على التعليم الأولي والإلزامي على حين أن كلمة **مكتب** وجمعها **مكاتب** ، أطلقت على التعليم الابتدائي في النظام العام للحكومة المصرية ، وخاصة عندما صُنفت بوصفها أهلية تحت إشراف الحكومة ، ولكن دون أن تدعمها من الميزانية السنوية. عند محاولة التأكد من المدرسة المشار إليها على المرء – عادة – أن يتأكد من ذلك، بمراجعة منهج المدرسة، والبيانات المتصلة بتعليم طالب أكمل المقرر الدراسي.

* في العصور الإسلامية الأولى اختص الكُتّاب في البدء بتحفيظ القرآن الكريم ، واتخذ في البلاد الإسلامية المختلفة أسماء متنوعة ، فكان يُسمى في مصر الكُتّاب ، وفي السودان "الخلْوة"، وفي الأندلس "المصرية" ، وفي العراق "الملا" (المعرب).

(3) د. أحمد شلبي، **تاريخ التربية الإسلامية** ص ١٧ – ١٩، بيروت ١٩٥٤.

القـويم ، ويـتطلب الأمر في مَن يقوم بهذا الأمر في الكتاب ، أو المدرسة ، أن يتمتع –على الأقل– بقدرة جيدة على تلاوة القرآن الكريم من الذاكرة.

مـع ازدهـار الإسلام أصبح المسجد مركزًا للتعليم على نحو يفوق مستوى الكتاب واشتهرت ، على سبيل المثال ، مساجد غرناطة والكوفة بدراسة فقه اللغة والأدب على التوالي ، وفي مسجد ابن طولون في القاهرة كانوا يدرسون التفسير والحـديث والـسنة النـبوية والفقه والأصول والفلك ، وحتى الطب كان يُدَرَّس بالجامع الأزهر في القاهرة ، فيما يقال [4].

كيف نشأت المدارس الإسلامية إذن ؟ [5]

فـيما يرى الدكتور **أحمد شلبي** : بُنيت المساجد أساسًا للعبادة ، وتطلب هذا جوًا من الهدوء والسكينة ، وعندما يتميز جامع في دراسة معينة ، كالأزهر مثلا يتوقف المسجد عن أداء دوره مكانًا للعبادة ما عدا صلاة الجمعة [6]. وكان وجود قاعـات مخصـصة للدراسـة ، ومساكن لإيواء الطلاب يمثل علامة فارقة بين المدرسة والمسجد ، وقد اختصت المدرسة بالعلوم الدينية أكثر من التعليم العام ، ويرجع ذلك أساسًا إلى متطلبات سياسة الدولة في العصور الوسطى ، فقد اتخذت مـنها مخـتلف الأسـر الحاكمة ، من سنة وشيعة منبرًا تبث من خلاله مذاهبها الدينـية وتمثلت نقطة التحول ، فيما يرى الدكتور **شلبي** أيضًا ، في ميلاد السنة من جديد ، باستيلاء **السلاجقة** على بغداد عام ١٠٥٥ – ١٠٥٦م ، حيث انبعثت الدراسـة العامة مرة أخرى ، ومن هذه اللحظة انتشرت الكليات في جميع أنحاء

---

(4) المـصدر نفسه، ص ٥٣ – ٥٤. حكم أحمد بن طولون مصر من سنة ٨٦٨ إلى سنة ٨٨٤م.

(5) يعنـي اليوم مصطلح مدرسة، وجمعها مدارس، مدرسة تقدم بعامة تعليمًا إسلاميًا أكثر تقدمًا مما يقدم في الكُتّاب، بما في ذلك المستوى التعليمي في الكليات.

(6) أحمد شلبي، المصدر نفسه، ص٥٥ .

العالم الإسلامي ، فأُنشِئ – مثلا– أكثر من ستين مدرسة في مصر ودمشق والقدس ، بما في ذلك مدرستين للطب ، وذلك في العصر الأيوبي [7]. ولم يكن الأمر وقفًا على الحكومة وحدها ، وإنما أسهم الموظفون الكبار والمواطنون في إنشاء هذه المدارس بما أوقفوه عليها [8].

وإلى جانب المدارس أُنشئت المكتبات العامة ، وأصبحت هذه بدورها مراكز للتعليم ، وأطلق على عدد منها اسم «**دار العلم**» وأشهرها **دار العلم** التي أسسها في القاهرة **الحاكم بأمر الله الفاطمي** (٩٩٦ – ١٠٢١م). أمَّا **نظام الملك** ، المتوفى ١٠٩٢م ، وهو فارسي الأصل ، وكان وزيرًا لسلاجقة العراق ، فعُرف بدمجه المكتبات في المدارس التي أنشأها حتى يستطيع الطلاب أن يحصلوا بسهولة على النصوص التي يرغبون في الإطلاع عليها.

ومع ذلك ، لم تكن الكتب وحدها العنصر الأساسي لضمان جودة التعليم ، وإنما هناك أيضًا الخدمات التي يقدمها العلماء ، ولم يكن شرطًا في هؤلاء أن يتولوا مناصب تؤهلهم للعمل مدرسين محترفين ، ولم يكن ثمة فرق في العصور الإسلامية الوسطى بين الاثنين ، المتطوعين والمحترفين ، وعرفتهما كل المدارس الشهيرة ، وكل ما هنالك أن المحترفين كانوا مسئولين عن تعليم

---

(7) المصدر نفسه، ص ٦٠– ٦٥.

الأيوبيون: صلاح الدين وخلفاؤه، حكموا مصر من ١١٦٩ إلى ١٢٥٢، وحلب من ١١٨٢ إلى ١٢٦٠، ودمشق من ١١٨٦ إلى ١٢٦٠. وفي عام ١١٨٧ حرر صلاح الدين القدس من الصليبيين.

(8) أوقاف، مفردها وقف، وهي مؤسسات ذات طابع ديني إسلامي، منتشرة في العالم الإسلامي، وهي نوعان: خيري وعائلي، وتطلق على أنواع متعددة من الهبات التي تحكمها شروط توضع لها لحظة تقرير الوقف، وتدار بمقتضاها، وهذه المؤسسات تساعد بعامة المساجد والمدارس والمستشفيات، وغيرها. حتى ولو كان ثمة ورثة لهذا الوقف الخاص بالأسرة.

الطلاب ، ويتلقون رواتبهم من أوقاف المدرسة نفسها التي يدرسون فيها ، وعادة كان الطلاب يتلقون مع التعليم المجاني ، رواتب تشجيعًا لهم على انتظامهم في الدراسة .

ورغم هذا كله ثمة فرق بين الذين يدرسون في المعاهد ذات المستوى الرفيع ، وبين فئتين آخرين من المعلمين هما : **المربِّي** الخصوصي ، **ومدرّس الكُتَّاب** ، واكتسب هذا سمعة غير طيبة إذا كان - عادة - سيء الإعداد ، فهو يَحفظ القرآن عن ظهر قلب ، وأكثر من هذا قليلا فحسب ؛ ويرد الدكتور **أحمد شلبي** هذه السمعة السيئة إلى حالات قليلة ، ولا علاقة لها بالطائفة كُلاً [9].

أما **المربُّون** الخصوصيون فشغلوا منزلة أكثر احترامًا ، وعهد إليهم الحكام وكبار الموظفين بالتدريس لأبنائهم ، واستطاعوا من خلال هذه العلاقة أن يحصلوا على قدر من النفوذ السياسي والثراء ، وحظي المدرسون المتفوقون في المدارس باحترام كبير لدي الحكام والأهالي على السواء ، وأصبح لهؤلاء الرجال المتعلمين تأثير كبير ، وحققوا ثراء واسعًا . وفي الجانب الآخر كان مدرسو الكتاتيب في المدن ، يربحون من مهنتهم ما يقيم أود قوتهم بالكاد.

وحتى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، كان جلّ المجتمع الإسلامي لمّا يزل يتلقى تعليمه عن طريق الكُتّاب والجامع والمدرسة والعرف الديني الذي عرفته العصور الإسلامية الوسطي . وظلّت الكتاتيب تركّز على تحفيظ القرآن الكريم ، وبوسع الطالب الذكي أن يتلوه من الذاكرة ، بطريقة ممتازة ، في بحر سنتين أو ثلاث ، أمّا التلاميذ متوسطو الذكاء فيحتاجون إلى خمس سنوات أو ست لتحقيق هذه الغاية [10] .

---

(9) الدكتور أحمد شلبي ن المصدر نفسه، ص ١٢٣.

(10) جاك جومييه Jacques Jomier: إضافة إلى دراسة التربية العربية:
Comtribution a l'etude de la pedo gogie arabe «IBLA» 12 (1949) 329.

يبدأ التلاميذ بحفظ السُّوَر القصار أولا ، ثم ينتقلون تدريجًا إلى سُوَرٍ أطول ، وقـــد يتعلمون خلال هذه المرحلة مبادئ القراءة والكتابة . وفي معظم الأحيان لا يشرح المحَفِّظون لتلاميذهم معنى النص ، ولا يتعرضون لتركيبه نحويًا ، لأنهم أنفـــسهم لا يفقهون ذلك . ولهؤلاء الفقهاء مساعدون يطلق على الواحد منهم اسم "**العريف**" وهم الذين يقومون على تدريب التلاميذ [11] .

وفـــيما يتـــصل بالمكافـــآت لم يتغير وضع الفقيه عما كان عليه في العصور الوسطى الإسلامية ، فهم يحصلون على راتب متواضع جدًا من أولياء الأمور ، وأما الملابس فتمنح لهم عادة من أموال الأوقاف . وهم ينُمون دخولهم ، بوصفهم مدرســـين ، عن طريق الدروس الخصوصية إن أمكن ، أو بتلاوة القرآن الكريم في المناسبات المختلفة ، العامة والخاصة ، كالأفراح والمآتم وحفلات الأعذار . ولأن المسلمين يعتبرون القرآن مصدرًا للخير والبركة ، كثيرًا ما يطلبون الفقهاء لتلاوته في بيوتهم الخاصة . وفي مثل هذه البيئة الاجتماعية المحافظة كان الفقيه في ذلك الوقت يحتكر الخدمات التعليمية والاجتماعية معًا [12] .

ومـــا لم يكن التلاميذ من عائلة أفرادها مشايخ فقهاء فمن النادر أن يواصلوا دراســـاتهم الدينية بعد فترة الكُتَّاب ، وإنما يتبعون – غالبًا – خطى آبائهم ، بينما يلـــتحق الـــذين ســـوف يتخذون من العمل الديني مهنة بإحدى المدارس الملحقة بالجامع عادة ، في إحدى المدن الكبرى ، فإذا بلغ هؤلاء التلاميذ سن الحلم ربما

---

(11) فقي هو اللفظ المصري الدارج لكلمة فقيه، وتعني شخصًا ذا دراية بالفقه، مع أن هذا التعبيـــر لـــه آفاق أوسع في المعنى. وأما العريف أو المدرس فهو – عادة – تلميذ أكبر سنًا، وأوضح تميزًا.

(12) هيوارث دن Heyworth Dunne, J: **مدخل لتاريخ التعليم في مصر الحديثة** An Introduction to the History of Education in modern Egypt. ص ٢-٦

استكملوا دراستهم في الجامع الأزهر ، أو في طنطا ، التي كان بها سبعة مساجد يضم كل واحد منها كلية في القرن الثامن عشر [13] .

وحتى أواخر القرن التاسع عشر عندما بدأت الحكومة المصرية تمارس بعض السيطرة على التعليم في الكتاتيب ، بدأت هذه تعرف شيئًا من التطوّر إن وُجد ، وقد وصف لنا **محمد عبد الجواد** في كتابه : «**في كتاب القرية**» وصدر في القاهرة عام ١٩٣٩ ، ما كان يُدرَّس في هذه المدرسة ، وأنه يقتصر على القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم [14] ، وقد يتعلم التلاميذ المجتهدون ، من وجهة نظر المؤلف ، متى بلغوا سن العاشرة أو الحادية عشرة تلاوة القرآن الكريم ، ولكن البعض الآخر قد لا يجيدها ، فيظلون بالمدرسة لتعلُّم مبادئ القراءة والكتابة قبل أن ينضموا إلى آبائهم في الحوانيت أو الحقول .

وكانت طريقة التعليم الأساسية ، ولمّا تزل تعتمد على التكرار ، وظل الحال ، كما كان في مطلع القرن التاسع عشر ، يتيح بالقدر نفسه للتلاميذ حرية استكمال دراستهم مباشرة بعد الكُتّاب ، ومَنْ لم يستطيع تعلُّم الكتابة والحساب فيه ، يستطيع أن يتعلمها عند " **القَبَّاني** " المحلِّي.

وحتى أوائل هذا القرن لم يدَّع أحد أن بوسع الكتَّاب تقديم أي معرفة حقيقية للتلاميذ عن القرآن الكريم ، فقد كانت هذه مهمة المعاهد الدينية أو الأزهر الشريف.

(13) المصدر نفسه ص١٦.

(14) تخرج المؤلف في دار العلوم عام ١٩١٤، وكتب الكثير من المؤلفات الأخرى، ومن بينها " تقويم دار العلوم". الذي صدر بمناسبة الذكرى السنوية الخامسة والسبعين على إنشاء دار العلوم وهو العمل الوحيد المنشور الذي يتحدث عن دار العلوم المدرسة خاصة.

كان الطلاب ينزلون من الأزهر الشريف أورقة مختلفة ، موزعين وفق محال ميلادهم ، وبلغ عدد هذه الأروقة في القرن الثامن عشر خمسة وعشرين رواقًا [15] ، إضـــافة إلى تسع حارات (مساكن إقامة) ويستذكر الطلبة دروسهم ، عادة في أورقتهم الخاصة ، حتى يبلغوا مستوى متقدمًا ، حينئذ يستطيعون اختيار أساتذتهم من خارج رواقهم ، ومن غير مذهبهم أيضًا [16] .

وعادة يجلس كل شيخ تحت عامود معين من أعمدة الأزهر ، يلقي درسه إلى جواره ، ويتحلَّق الطلاب حوله ، ولهم من الحرية أن يُوجِّهوا إليه ما يشاءون من الأسئلة ، وأفضل الطلاب من تلاميذ الشيخ يقوم عادة بدور المعيد ، يُعيد الدرس علـــى الطـــلاب بعد انتهاء الشيخ منه. ويستغرق المقرر التعليمي بعامة ما بين ثماني وعشر سنوات ، وعلى الرغم من ذلك كان بعض الطلاب يمكثون عامين أو ثلاثة فحسب [17] .

كان بعض الطلبة في الأزهر يقضون أهم ساعات النهار ، من الشروق حتى الظهر ، في استذكار التفسير والحديث والفقه ، أمات باقي اليوم فيكسرونه على بقية المواد الأخرى بما في ذلك النحو والبلاغة والأصول ، وبين صلاتي العصر

---

(15) إدوار و. لين: **المصريون المحدثون: عاداتهم وشمائلهم**، الطبعة الثالثة، لندن ١٨٤٦ ص٩٢.

● تـــرجم هذا الكتاب عدلي نور فصولا نشرها في مجلة الرسالة ثم أعيد طبعه في كتاب أكثر من مرة. (المعرب)

(16) أحـــد مذاهب السنة الأربعة الأشهر وهي: المالكي والحنبلي والشافعي والحنفي، وقد اتـــبع أغلـــب المـــصريين المذهب الشافعي، على حين كانت الحكومة العثمانية تتبع المذهب الحنفي.

● التعمـــيم هنا غير دقيق، فأغلب الصعيد يتبع المذهب المالكي، على حين ينتشر المذهب الشافعي في الوجه البحري والقاهرة. (المعرب)

(17) هيوارث دن، ص ٣٦.

والمغـــرب يستذكرون الحساب والمنطق والمواد الأخرى الأقل أهمية. وفي ذلك الـــوقت أصبحت الدروس في مجملها ، مكتوبة فيما يبدو ، ومن ثم أصبح الكثير منها كُتُبًا دراسية ، وأصبحت قائمة المواد التي تدرس على النحو التالي (18) :

- **العلوم النقلية :**

التجويد والقراءات ، والحديث والسنة والتفسير ، والفقه والأصول والفرائض والتوحيد والتصوف.

- **العلوم المنطقية واللغوية:**

الـــنحو والصرف والبلاغة ، التي تشمل علم المعاني ، ويدرس أنواع الحملة واســـتخداماتها المختلفة ، والبيان ويدرس التشبيه والاستعارة والكناية ، والبديع ويـــدرس جماليات اللغة اللفظية ، واللغة ، وفيها يدرسون : المعاجم والوضع ، وهو دراسة تكوين الكلمات ، أو نظرية النحو . وعلم العروض والقوافي.

- **العلوم العقلية وهي :**

المنطق ، والحساب والرياضيات : الجبر والمقابلة وحساب المواقيت والتقويم وأوقات الصلاة ، والفلك ، والحكمة والفلسفة ، وآداب البحث والمناظرة.

- **العلوم الدينية وتشمل :**

مصطلح الحديث ، والسنة .

وقـــد ترك التركيز على التفسير والحديث والفقه بصماته واضحة في طبيعة الأعمـــال التي كتبها العلماء بين عامي ١٦٨٧ و ١٧٩٧م ، وتجلَّى ذلك واضحًا فـــي قائمة الكتب التي جمعها الجبرتي ، وذهب الفقه بالجانب الأكبر منها ، فكان لـــه فـــيها خمـــسة وستون كتابًا ، وتلاه الحديث تسعة وأربعون كتابًا ، أما بقية الكتب، وكانت في الجبر والمواد المماثلة ، فبلغ عددها اثنين وثلاثين كتابًا ، بما

---

(18) المصدر نفسه ص ٤١- ٤٢.

فيها كتب التوحيد والصرف والنحو والمنطق والتصوف ، وقد كُتب في كل مادة مـا بين اثنى عشر كتابًا إلى ستة عشر كتابًا ويقول **هيوارث دن** : إن معظم هذه الكـتب يـدور حـول شـروح وتعليقات وتفسيرات لأعمال سابقة. وكان كتاب الجبرتي أول عمل أدبي وتاريخي أُلف في أوائل القرن التاسع عشر [19].

ومع ذلك ، ورغم الغياب الواضح للكتب التي تتناول العلوم الاجتماعية يمكن القـول إن بعض الكتب التي تناولت الموضوعات التي عرضنا لها فيما سبق ، تـضمنت فـي حقيقتها عبارات في السياسة والاجتماع والاقتصاد ، ذات طبيعة حساسة ، ربما لو أشير صراحة ، في صورة علنية ، على أن الغاية الأولى من ذكرها ، دراسة ما وراء تلك العبارات ، لحال ذلك دون نشرها [20] . ومع ذلك لم يُدس التاريخ أو الأدب في الأزهر بوصفهما مواد تدرس لذاتها.

ولم يكن معظم المدرسين في الأزهر يعرفون شيئًا من اللغات غير العربية ، ويدرسـون الفقه أو التفسير أو النحو أو خليطًا من هذه المواد ، وبما أن الطلاب يقـضون معظـم أوقاتهم في استذكار هذه المواد ، وأغلب المدرسين تخصصوا فـيها ، فمـن الأرجح إذن ، أن المواد الأخرى كانت تحظى بمساحة أضيق في الـيوم ، وباهتمام أقل ، وعندما يكمل الطالب دراسته تحت إشراف مدرس معين يمـنحه الإجازة ، وهي شهادة تتيح لحاملها الإذن بتدريس هذه المادة ، والطالب الـذي يحرص على أن يحضر كل المقررات التعليمية التي يلقيها مدرس بعينه ، يمكـنه أن يحصل على **إجازة عامة** بأنه اجتاز بنجاح كل تلك المقررات ويمكنه أيـضًا أن يحـصل على **إجازة خاصة** بأنه اجتاز كل مقرر على حدة. وتتراوح أعمـار الطـلاب حـين يحصلون على هذه الشهادة بين ثماني سنوات وخمس

---

(19) هيوارث دن، ص٨٣.

(20) توصل بتر جران Peter Gran إلى هذه النتيجة بعد أن درس بعض الكتب التي تعود إلى القرن الثامن عشر، في الاجتماع السنوي لمركز "البحث الأمريكي" في مصر عام ١٩٧٥.

وعــشرين عامًــا ، وكان البعض يقضي خمس عشرة سنة للحصول على إجازة واحــدة [21] . ويخــتلف نمط الأساتذة في منح هذه الإجازة ، بعضهم يتساهل في ذلــك ، علــى حين يصر البعض الآخر على أن يستكمل الطلاب كل متطلباتها الــشاقة قبل أن يمنحوها لهم. وبعض الطلاب الذين يصعب عليهم الوصول إلى القاهــرة يمكنهم الحصول على الإجازة بطريق المراسلة ، وهو عمل هناك من الشيوخ من كان يرفضه تمامًا . وبعد أن يحصل الطالب على الإجازة يتحول إلى مــدرس مبــتدئ ، ويكوّن حلقة خاصة به ، فإذا نجح في ذلك حصل على لقب عــالم ، واســتمر هذا النظام قائمًا إلى أن تم أول إصلاح كبير في الأزهر عام ١٨٧٢ [22] .

يحقــق المــدرس مكانته في المحيط الإسلامي والمصري ، من خلال هيئة معتــرف بها اجتماعيًا ، في ضوء سنوات تدريسه في مركز للتعليم الديني ، أو أكثر من مركز ، وتجيء أعداد هؤلاء المدرسين – واقعًا – نتاجًا عرضيًا لأعداد المتخصــصين دينــيًا ، وفي القرن التاسع عشر حصل عدد من علماء الأزهر ، وفيهم من سنذكر أسماءهم في الفصل التالي من هذا الكتاب ، على شهرة واسعة بــأنهم أســاتذة عظماء، وأصبحوا بمثابة ذروة الثقافة الإسلامية ، وليس مجرد الثقافة التي تتوفر عادة لعامة الجماهير ، وظهر بين هذا المستوى الرفيع العالي من العلماء المدرسين ، مفهوم المدرس المحترف إذا صح التعبير [23] . ومع ذلك

---

(21) يــوجد فــي هــيوارث دن، ص٦٧-٦٨ قائمة قصيرة بأسماء وأعمار الطلاب الذي حــصلوا على إجازة إتمام الدارسة في سن الثامنة، وهو شيء نادر جدًا لأن الصبية يلتحقون بالأزهر بعد سن البلوغ.

(22) الأزهر وعلاقته بدار العلوم، بما في ذلك إصلاح الأزهر عام ١٨٧٢ سيتم تناوله كله في الفصل الرابع، وبقدر أقل في الفصل الخامس من هذه الدراسة.

(23) يــشير أ. ل. طيباوي A. L. في كتابه: "التعليم الإسلامي" لندن ١٩٧٢ ، ص٤٩ إلى تكوين مؤسسات شبه رسمية بين المتعلمين في المعاهد التربوية في أوائل القرن التاسع عشر، ولكنه لا يذكر أية تفاصيل أو مصادر محددة.

كـــان المدرسون في النظام الديني - إجمالا - والمتمركزون في كتاتيب الريف والمدن الكبيرة ، يفتقدون بوصفهم مدرسين الإعداد الجيد والتميّز بأنهم مثقفون ، فهـــم بجـــوار حفظ القرآن الكريم لا يعرف أغلبهم إلا القليل عنه. وعندما بدأت مـــصر تنـــشئ نظامًا مدرسيًا عامًا ، يعتمد على الدعم الحكومي ، بجوار النظام التقلـــيدي الذي كان سائدًا في القرن التاسع عشر، لم يستطع هؤلاء الرجال أداء دور المـــدرس بكفـــاءة فـــي المدارس الجديدة ، ولم تُنشأ معاهد لإعداد مدرسين صـــالحين لـــيعلموا في المدارس الإلزامية والابتدائية والثانوية ، إلا بعد أن طرأ علـــى الـــنظام الجديـــد في مصر عدة تطورات جديدة ، ونوجز فيما يلي النظام الموازي الذي برز إلى الحياة حينذاك.

- **الإصلاح التعليمي في عهود :**
  إسماعيل وعباس وسعيد :

يطلـــق على التعليم الذي سبق وصفه غالبًا اسم : التقليدي أو الديني ، ويمكن إجمال الهيكل الأساسي الذي كان يقوم عليه في النقاط التالية :

- يقوم بوظيفة المؤسسة الدينية.
- نظامه لا مركزي ، ويتم وفقًا للأعراف القائمة.
- يرتكز في دعمه المادي على إسهامات الأفراد الخاصة ، أو من خلال ما يوقفونه على هذه المؤسسات.
- لـــم يكـــن حضور التلاميذ إجباريًا ، ومع ذلك ينظر إليه في حكم المهمة الدينية ، أو الإعداد لمهنة دينية.
- لا يتطلب تقييم الطلاب أي درجات معينة ، أو مقاييس منظمة [24] .

وفـــي منتصف القرن التاسع عشر عرف التعليم المصري تطورًا جديدًا ، إذ بدأ العلماء يتدبرون أوضاعهم التقليدية ، بوصفهم رجال علم ومربّين وتطلّب هذا

---

(24) مقتبسة من كنزي Kinsy ص١١-١٢.

التطور إرساء قواعد جديدة في عصر محمد علي (١٨٠٥ – ١٨٤٨م) لتعليم حديث وعام في ظل إدارة حكومية لا ترى التعليم مهمة المؤسسة الدينية ، وإنما وظيفة الدولة الحديثة [25] . وتجلى التزام الدولة الصارم بهذه السياسة في:

- على الدولة أن تنظم التعليم وتوفر له الدعم المالي.
- انتظام التلاميذ إجباري.
- أن توفر الدولة هذا التعليم للمواطنين مجانًا ، دون أية رسوم.
- يعتمد هذا النظام في تقييم التلاميذ وتحديد مستوياتهم ونقلهم من فرقة لأخرى على نظام الدرجات محتذيًا في ذلك النموذج المتبع في البلاد الأوربية.

وقد تزامن إنشاء المستويات العليا في هذا النظام التعليمي ، مع إنشاء المدارس المغذية له (أي المتوسطة Owel) غير أن عدد هذه المدارس كان أكبر ، وبدأ هذا النظام غير مستقر ، نتيجة اهتمام محمد علي بإنشاء جيش قوي ، وشعوره بالحاجة إلى إنشاء نوعين من المدارس : مدارس عسكرية صارمة يتدرب فيها الضابط ، وأخرى هندسية وطبية وبيطرية ، وخدمات إدارية وفنية ، تدعم المجهود العسكري بطريقة غير مباشرة وتساعد الإدارة المصرية على التمركز بتقديم الموظفين المدرَّبين لتلبية مطالب الجيش غير العسكرية ، وتم اختيار الدفعة الأولى من الطلبة من غير المصريين. وذهب اليونانيون والمماليك الشراكسة والألبان والجورجيّون والأكراد وغيرهم بالنصيب الأكبر ، أما المصريون فكانوا في المستوى الثاني من الكتاتيب ، وقلما نالوا مرتبة رفيعة ذات مسئولية [26] .وقد أدى تفضيل الحكومة – غالبًا – تجنيد من يعرفون القراءة

---

(25) لمزيد أوفى من الشرح ، انظر: أحمد لطفي السيد ، **دور العلماء في مصر في أوائل القرن التاسع عشر** ، في كتاب هولت Holt ص٢٧٩.

(26) هيوارث دن ص١٥٢.

والكتابة إلى توقف الآباء عن إرسال أبنائهم إلى الكتاتيب ، كما أدّى نزع **محمد علي** ملكية الأوقاف واستيلائه عليها إلى معاناة الكثير من هذه المدارس ماليًا في عصر محمد علي ، وسقوطها على نحو استحال معه أن تسترد فيما بعد مكانتها كاملة مرة أخرى ، كما عاني الأزهر في العشرين سنة الأولى من حكم **محمد علي** ، لإصرار هذا على تعيين شيخ الأزهر ، وإلغاء نظام انتخابه الذي كان متبعًا في ذلك الوقت.

لقد تم اختيار الدفعة الأولى للتعليم الحديث في عصر **محمد علي** ، من عناصر من غير المصريين الأصلاء من السكان ، وهو الاتجاه نفسه الذي تم عند تقوية قيادات مصر العسكرية ، إذ كان طلبة المدارس الثلاث التي أُنشئت عام ١٨٢٥ ، وهي: مدرسة قصر العيني ، ومدرسة الموظفين العسكريين ، والمدرسة البحرية ، كلهم من غير المصريين تقريبًا ، ورغم ذلك أصبح الطلاب المصريون الأصلاء في سنوات قليلة ، يمثلون ١٥% من المجموع وأصبحت مدرسة قصر العيني أيضًا معهد الإعداد الرئيسي لكثير من المدارس الأخرى التي أنشأها محمد علي لتدعم جهوده العسكرية وهي : مدرسة الطب ١٨٢٧ ، وتتضمن قسمًا للصيدلة وآخر للتوليد ، وتمت إضافتهما فيما بعد ، ومدارس : الموسيقى عام ١٨٢٧ ، والفروسية عام ١٨٣١ ، والمهندسخانة ، وهي متعددة التقنيات عام ١٨٣٤ ، وكلها تلت مدارس أنشئت عام ١٨٢٠ و ١٨٢١ ، ومدرسة الألسن ، وأنشئت عام ١٨٣٦ .

وبينما **محمد علي** يقوم بإنشاء معاهد التعليم العليا بدأ أيضًا في إرسال البعثات إلى الخارج ليتخصصوا ، ويتم إعدادهم جيدًا ، (من ١٨٠٩ إلى ١٨١٨)، فقد كان واثقًا بأن أفضل تعليم عسكري لا يزال هناك. ثم استأنف إرسال تلك البعثات عام ١٨٢٦ ، بعد وقت قصير من إنشاء المدارس الثلاث التي المحنا إليها قبل

قليل[27] ، فذهب أربعة وأربعون طالبًا إلى أوربا في بعثة سنة ١٨٢٦م ، ونصف هؤلاء تقريبًا ولدوا خارج مصر ، وجميعهم – تقريبًا – لغتهم التركية وينتمون في الطبقة الوسطى ، أو الطبقة الحاكمة ، ومتوسط إقامتهم في أوربا يتراوح بين خمس سنوات أو ست ، غير أن واحدًا منهم لم يبق غير عام واحد فحسب ، وبقى أربعة آخرون مدة تسع سنوات[28] . وكان **رفاعة الطهطاوي** من بين طلاب هذه الدفعة الأولى ، وهو أشهرهم ، وذهب بعد أن أتم دراسته في الأزهر الشريف[29].

وبعد بعثة سنة ١٨٢٥ التعليمية هذه تشكلت مجموعتا عامي ١٨٤٤ و١٨٤٥م ، أكبر المجموعات المصرية التي سافرت إلى الخارج للدراسة تحت رعاية الحكومة ، وكان أشهر رجال هذه المجموعة **على مبارك منشئ دار العلوم** ، وهو من محافظة الدقهلية ، وسوف نتحدث عنه بإفاضة فيما بعد ، وضمت هذه المجموعة أيضًا أربعة أمراء واثنين سوف يبلغان منصب رئيس الوزراء فيما بعد ، وهما : نوبار باشا ومحمد شريف باشا ، وآخرين أصبحوا رموزًا هامة في الحكومتين المصرية والعثمانية .

---

(27) أهم مصدر لدراسة تلك البعثات كتاب الأمير عمر طوسون: **البعثات العلمية في عهد محمد علي، ثم في عهدي عباس وسعيد**، الإسكندرية ١٩٣٤. ثم انظر أيضًا كتاب أحمد عزت عبد الكريم، التعليم في مصر في عصر محمد علي، القاهرة ١٩٣٨ وهيوارث دن.

(28) هيوارث دن ص١٦٤.

(29) ظهر اهتمامه بالترجمة ولمّا يزل في فرنسا وأصبح ناظرًا لمدرسة الألسن فيما بعد.

* لم يكن رفاعة طالبًا مبتعثًا ، وإنما كان إمامًا واعظًا للطلاب ، وهي الوظيفة نفسها التي كان يشغلها في الجيش ، فقد عُين إمامًا واعظًا لإحدى فرقه في ١٢٤٠ هـ – ١٨٢٤م ، ولم يكن يمكنه أن يقنع بالوظيفة ، ولكنه وجد أمامه باب العلم مفتوحًا على مصراعيه ، فمضى فيه جادًا ، وحقق ما لم يحققه – ربما – أي طالب آخر راجع: د. أحمد أحمد بدوي ، رفاعة الطهطاوي بك ص ١٧، القاهرة بلا تاريخ (المعرب) .

هذه البعثات التعليمية الأولى ذات أهمية بالغة بما لها من فضل عظيم ، ودور بالغ الأثر في حركة الإحياء التي شهدها أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، في عصري **إسماعيل وتوفيق** وخلال الاحتلال البريطاني الذي طوي تحـت جناحـيه عصور **توفيق وعباس حلمي الثاني ، وحسين كامل ، وأحمد فـؤاد**. ونلحـظ بوضوح أن البعثات التعليمية التي أخذت في عصر **محمد على** طابعًـا عسكريًا خالصًا ، أخذت في عصر **عباس حلمي الثاني** وخلفائه من بعده اهـتمامات مهنـية مختلفة ، بما في ذلك إعداد المدرس المتميز ، وشغلت حتى نهايـة القـرن . أمـا البعـثات التي تضمنت **طلبة دار العلوم** ، فسوف أتناولها تفصيلا ، وبشكل أساسي في الفصل السادس من هذه الدراسة .

وعلـى الرغم من أن **محمد على** أنشأ عددًا من المكاتب في مصر العليا عام ١٨٣٣ ، إلا أنـه لـم يفتـتح قسمًا خاصًا بالمدارس (قلم المدارس) إلا في عام ١٨٣٤ وحتـى هـذا الوقت كان هذا القلم لم يزل ملحقًا بقلم الجهادية ، وعمليا انفـصلت الإدارتـان عـام ١٨٣٦ ، وسمح للمدارس أن تطور نفسها بعيدًا عن المتطلـبات العسكرية . وكان صدور قانون "المدرسة الإلزامية" عام ١٨٣٦ من أولى إنجازات «مجلس التعليم العام الجديد» الذي دعا إلى تأسيس ثلاثة أنواع من المـدارس : الابتدائية والإعدادية والخاصة [30] . ونتج عن هذا التنظيم الهرمي فـتح خمسين مدرسة ابتدائية لمد المدرستين الإعداديتين بالطلبة ، وأثمرت هاتان المدرسـتان طلبة مؤهلين للمدارس السبعة الخاصة ، وكانت المدارس الابتدائية تقـدم تعليمًا أفضل مما تقدمه مناهج الكتاتيب العامة ، إذ لم تكن دراسة التلاميذ

---

(30) لتحلـيل أكثـر تفصيلا انظر كتاب الدكتور أحمد عزت عبد الكريم: **محمد علي** ص ١٤٩، والـصفحات ١٥٩ و ٦٨١ ، وكتاب هيوارث دن ص١٩٦-١٩٨ ، وفي كتاب فويتز سـتيبات: **مشروعات التعليم القومي في مصر قبل الاحتلال البريطاني من بولك وشيبارز** ص ٢٨.

تقتصر على الدين فحسب ، وإنما تشمل القراءة والكتابة واللغة العربية ومبادئ الحساب أيضًا . وليس واضحًا ما إذا كان التعليم الديني في تلك المدارس يتضمن حفظ القرآن الكريم ضرورة أم لا . وقد اشترط القانون أن تتراوح أعمار التلاميذ . بين السادسة والثانية عشرة ، ويتمتعون بصحة جيدة ، وأن يكون لكل مدرسة ناظر يرأسها ، ويقوم بالتدريس أيضًا إلى جانب المدرسين الآخرين . وتقوم المدرسة بتقديم الطعام للتلاميذ ، وكسوتهم وإسكانهم في المدرسة. وبعد إجراء الاختبارات يحدد المجلس أي الطلاب يصلحون للالتحاق بالمدارس الخاصة وأي شاب يتم اختياره لإحدى المدرستين الإعداديتين الكبيرتين يدرس العربية والتركية والفارسية والحساب والجبر والهندسة والتاريخ العام والجغرافية والخط والرسم ، وهو منهج شبيه بمناهج المستوى الثانوي بكل تأكيد . وإلى جانب ذلك ينتظم التلاميذ في صفوف عسكرية ، ويعرضون على هيئة كاملة من الأطباء ، إضافة إلى كوكبة كبيرة من المربين . مرة أخرى يطمح طلاب تلك المدارس دخول إحدى المدارس الخاصة ! لكن نظام المدرسة الجديدة لم يحقق مع الأسف الآمال التي كانت معقودة عليه ، فقد كان الديوان (ديوان المدارس) مشغولا إلى جانب المدارس بالأمور الآتية : المعامل والمكتبات والمتاحف والقناطر الخيرية (قناطر الدلتا) ومطبعة بولاق وجريدة "الوقائع المصرية" وهي الصحيفة الرسمية للحكومة المصرية ، والخدمات الهندسية ، وإسطبلات شبرا ، ومزارع خراف المارينو [31].

كما أن المدارس العليا كانت تفتقد العدد الكافي من الأساتذة الأكفاء ، ورغم ذلك كانت المكاتب التي أُطلق عليها رسميًا اسم "المبتديان" أو "الابتدائي" وفُتحت حديثًا ، أو أعيد فتحها ، تتجاوز بكثير الرقم المرغوب فيه عددًا ، فقد تم إنشاء ٧٨ مكتبًا بين عامي ١٨٣٧ و١٨٤١م . ومن ثم عانت تلك المدارس الابتدائية

---

(31) القائمة مأخوذ من هيوارث دن ص٢٠٨.

الجديدة من نقص في العاملين المؤهلين ، كما حدث في المدارس العليا وكان لكل مدرســة تقريبًا ناظر ، شيخ من الأزهر ، دون أي إعداد من نوع خاص ، وحقًا لم يكن معقولا أن يتولى هؤلاء تنفيذ برنامج تعليمي جديد ، ولم تبتكر أي طريقة جديــدة لتعليم اللغة العربية ، وكان القرآن الكريم هو الكتاب الدراسي الذي يمثل المقــرر الأول فــي أغلــب الأحوال ، مع أن ألفية ابن مالك في النحو كانت قد طــبعت عــام ١٨٣٤ ليتم توزيعها مع شرحها على المكاتب [32] ورغم أن مادة الحــساب كانت ، فيما يفترض ، جزءًا من المنهج ، ليس ثمة ما يثبت أنها كانت تــدرس فعــلا. ولكــن من الواضح أن التلاميذ أظهروا نقدًا ما في تعلم القراءة والكــتابة يفوق ما كان عليه الحال في الكُتّاب المعتاد. ولأن مدرسة الإسكندرية الإعدادية لم يكن تم إنشاؤها بعد ، كما تضمن القانون ، فقد اشتد تنافس التلاميذ علــى الأماكن التي في المدرسة الإعدادية ، والتي تم نقلها من قصر العيني إلى أبو زعبل .

كمــا ألمحنا من قبل كانت المقررات التي تُدرس في المدرسة متقدمة بعض الشيء في ضوء ما كان يتلقاه التلاميذ فعلا من تعليم في المكاتب الجديدة .

أمّا العناية التي كان يوليها ديوان المدارس للنظام المدرسي الذي تدعمه الدولة فتركــز فــي الإغــلاق الفظ لأغلبها عام ١٨٤١ ، وكان هذا تطوّرًا مأساويًا ، يرجعه **هيوارث دن** تحديدًا إلى معاهدة ١٨٤١ [33] ، التي ألزمت الحكومة بخفض

---

(32) أول كتاب مدرسي طُبع ليستخدم في المدارس المصرية الابتدائية أو الإلزامية.

(33) تــشير الباحثة بهذه المعاهدة إلى سنوات الصراع الحاسمة في تاريخ مصر الحديثة ، حين تجمعت الدول الأوربية الكبرى : إنجلترا وفرنسا وبروسيا والنمسا وروسيا لمواجهة قوة مصر الصاعدة ، وأنذرت محمد علي بالشروط التالية:

- يصبح الحكم وراثيا في أسرة محمد.
- يناط به إدارة فلسطين مدى الحياة .
- تعــيد مــصر جميع الأراضي التي استولت عليها من الخلافة العثمانية ، وكان الجيش المصري يسيطر على الشام كله ، ووصل إلى طرسوس على الحدود التركية.=

المصروفات ، وقامت في الوقت نفسه- بفرض بعض القيود عليها . ومن الجليّ الواضح أن المدارس الجديدة لم ترق إلى المستوى المنشود فيها ، ولكن هذا وحده غير كاف أبدًا لتفسير إلغائها.

وقد استمر إرسال البعثات التعليمية إلى أوربا حتى بعد إلغاء معظم المدارس الابتدائية ، مما يدل على اهتمام الحكومة بالتعليم الخاص ؛ لأنه إذا كانت الغاية من تلك المدارس توفير الكوادر الفنية المعاونة للجيش ، وإذا كان مطلوبًا من الجيش بقوة تخفيض عدد أفراده ، فإن صفوة قليلة منه ، غير كبيرة تكفي لتوفير احتياجات الحكومة المصرية ، ويمكن – بكل سهولة – إعداد هذه الصفوة القليلة في أوربا ، كما في مصر ، وبنتائج أفضل ، وثقة أقوى [34] . وعلى الرغم من سقوط نظام التعليم القومي في سنوات محمد علي الأخيرة ، إلا أولئك الذين تم إعدادهم في الخارج ، أو ممن تخرَّجوا في المدارس الجديدة ، واصلوا الاهتمام إيجابيًا بتقدم التعليم العام ، ونضرب لذلك المثل بما قام به علي إبراهيم أدهم باشا ، أحد الذين رافقوا بعثة عام ١٨٣٧ إلى انجلترا ، فقد قدَّم لسعيد باشا (١٨٥٤ – ١٨٦٣) مشروعًا جديدًا شاملا لنظام "مدرسة شعبية " ، قد توفر فيما بعد تعليمًا ابتدائيًا ذا مستوى عالمي ، ورغم أن أحدًا لم يلتفت إلى المشروع ، إلا أنه لم يُنس أيضًا [35] ، وتجلّى ذلك واضحًا في إنفاق الخديوي سعيد أموالاً طائلة على المدارس الخاصة ، حتى بعد إلغاء ديوان المدارس في ديسمبر ١٨٥٤ ، فَور توليه الحكم ، وقد أسهمت زيادة أعداد المدارس الأجنبية في مصر إذ ذاك

– إذا لم يقبل محمد علي هذه الشروط خلال عشرين يومًا يعزله الحلفاء مشتركين.

رفض محمد علي هذه الشروط بدءًا ، ولكن تحرك جيوش هذه الدول وأساطيلها ، وتخلي فرنسا عنه ، جعله يوافق عليها أخيرًا ، ودخلت هذه الاتفاقية التاريخ تحت اسم معاهدة لندن ١٨٤١. (المعرب).

(34) استمرت البعثات التعليمية إلى أوربا حتى الأيام الأخيرة من حكم محمد علي، وطوال عصر عباس الأول، غير أن هذا الأخير وجَّه البعثات إلى عدد من الدول الأوربية المختلفة، وليس إلى فرنسا وحدها، ولم يكن في ذهنه أي هدف عسكري أيضًا.

(35) ستيبات، ص٢٨٢.

في نمو الاهتمام بالتعليم بين طبقات المجتمع المصري ، وهو ما لم يكن موجودًا فيما سبق[36] .

• تجديد التعليم في ظل إسماعيل :

أجل عمل تم في ظل التعليم في مصر كان في عام ١٨٦٣ مع تولي **إسماعيل باشا** سدة الحكم في مصر .

كـــان **إسماعيل باشا** حينئذ في الثلاثينيات من عمره ، وقد أصبح حكمه مادة لدراســـات كثيرة[37] ، وحين توليه الحكم لم تكن للمدارس أي إدارة خاصة بها ،

---

(36) المصدر نفسه ص٢٨٣ – وهيوارث دن ص٣١٦ - ٣١٧.

(37) لـــيس هدفي هنا أن أصف تفصيلا الأحداث والتطورات العامة بحكم إسماعيل، ولكن الدراســـات التالية، مع اختلافها تقييمًا وتركيزًا لهذه السمات المختلفة، تمد القارئ بالمزيد من المعلومات. وتكاد وجهات نظرها تعكس اهتمامات مؤلفها وجنسياتهم المتنوعة:

أ. ســانماركو، A. Sanmarco, La Regne du Khedive Ismail (Rome,1935).

حكم الخديوي إسماعيل، روما ١٩٣٥. G. Douin, Histoire du Regne due Khedive .4 Ismail, vole. (Rome. 1933 - 1938).

ج. دوين، **تاريخ حكم الخديوي إسماعيل**، ٤ مجلدات. (روما ١٩٣٣ - ١٩٣٨).

محمد صبري، **تكوّن الروح الوطني المصري** ١٨٦٦ – ١٨٨٢ (باريس ١٩٢٤).

La Genes de l'asprit national egyptien, 1866 -1882 (paris 1924)

David Landes, Bankers and Pashas (Neu York 1958, Torchbock edition, Neu Tork 1969) chater 5 f f.

ديفيد لنديس، مصر فيون وباشاوات، (نيويورك ١٩٥٨، طبعة تورشبوك ١٩٥٨، نيويورك ١٩٦٩) الفصل الخامس والصفحات التي تليه.

ب. كربيتِس P. Carbites Ismail, the maligned Khaive (London 1933)

إسماعيل، الخديوي المفتري عليه (لندن ١٩٣٣).

عبد الرحمن الرافعي، **عصر إسماعيل**، الطبعة الثانية، في جزئين، القاهرة ١٩٤٨.

أحمـــد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسألة المصرية من ١٨٧٦ إلى ١٨٨٢م. وعلاقات مـــصر بتركيا في عهد الخديوي إسماعيل ١٨٦٣- ١٨٧٩. وتوجد دراسات أخرى متخصصة في:

=

فكـان أول أعماله إعادة "ديوان المدارس" في (٥ شعبان ١٢٧٩هـ . ٢٦ يناير ١٨٦٣م) بقـيادة **علـي إبراهيم أدهم باشا** ، وكانت المدارس الحكومية الوحيد الموجـودة هـي : مدرسة الطب والتوليد في القاهرة ، والمدرسة العسكرية في شمال القاهرة عند قناطر الدلتا ، ثم تولي **محمد شريف باشا** القيادة من أدهم باشا في منتصف عام ١٨٦٣ ، وظل محتفظًا بالمنصب حتى أبريل ١٨٦٨.

مـع الأيـام الأولى من حكم **إسماعيل** بدأ **علي مبارك** يلعب دورًا حيويًا في التعلـيم المصري بخاصة ، وفي الحكومة بعامة ، وعلى حين حمل شريف باشا وعلـي مبارك مسئولية التعليم لمدة خمس سنوات ونصف متوالية ، لم يتول أحد منـصب ناظر المعارف بعد عام ١٨٧١ لمدة تزيد عن سنة في المرة الواحدة ، فـيما تبقـى مـن أيام حكم إسماعيل ، مع أن عددًا منهم تولى المنصب لفترتين مختلفتـين علـى الأقل ، كما في حالة الأمير طوسون ، ورياض باشا ، وثابت باشا.

يكسر **هيوارث دن** السياسة التعليمية في ظل إسماعيل على فترتين أساسيتين : الفترة الأولى من عام ١٨٦٣ إلى ١٨٧١م ، وفيها تم إعادة إنشاء المدارس ذات الطراز القديم ، التي أنشأها **محمد علي** ، والفترة الثانية من ١٨٧٢ إلى ١٨٧٩ ، وفيها أصبحت أهداف المدارس التي تم أنشاؤها تعليمية خالصة ، رغم أن عددًا

- رؤوف عـباس حامـد، **النظام الاجتماعي في مصر في ظل الملكية الزراعية الكبيرة ١٨٣٧ – ١٩١٤**، القاهرة ١٩٧٣.
- يعقوب أرتين Yacob Artin التعليم العام في مصر L' Instrucction Pulipue en Egypte (paris 1890)
- إدوار دور Edouard Dor التعليم العام في مصر (باريس ١٨٧٢).

وانظـر L' Istruction Publique en Egypte (paris, 1872) and TTM Vol: 2 أيـضًا: تـاريخ التعلـيم في مصر ومن نهاية حكم محمد علي إلى أوائل حكم توفيق. الجزء الثاني.

مــنها كــان يركــز على الهدف العسكري [38]. والحق أن التمييز المفترض بين الفترتين لا يبدو واضحًا .

لقد أعطى إسماعيل منذ البداية أهمية قصوى للتعليم ، وتجلى ذلك واضحًا في إحــيائه نظـــارة المعارف فورًا ، وفي اختياره الأغلبية العظمى من الموظفين ، الــذين عينهم في المناصب التعليمية البارزة من بين الرجال النشطين جدًا ، من ذوي الخبــرة العالــية إلــى جانــب ميلهم إلى الانفتاح على الحضارة الأوربية وقــيمها ، ولــو قليلا ، ومن المرحبين – ربما – بالمشاركة في التجديد ، وكان **إسماعيل** نفسه معجبًا بأوربا ، واستعان بعدد من الخبراء الأوربيين يمدون له يد العــون فــي المجــال التعليمــي ، وكان أبرزهم المعلِّم السويسري (**ف . إدوار دوربك**) (*).

حـــاول **إسماعيل** ومستشاروه أن يدخلوا على مستويات التعليم التي وجدوها تغييــرات جوهــرية ، قوية التأثير ، وعماد هذه الكتاتيب والمدارس الابتدائية ، وكان يرجى من التعليم الوطني الذي يبدأ من أدنى المستويات أن يقود إلى نظام مدرسي متطور ، وأن يصنع من مصر دولة أقوى ، وفي أوائل عام ١٨٦٤ قدَّم

---

(38) هيوارث دن، ص٣٤٦.

* ف . إدوار دوربــك أحــد رجال التربية السويسريين ، جاء مصر زائرًا ومستشفيًا عام ١٨٧٢ ، ثم دفعته غريزة المعلِّم إلى أن يدرس نظام التعليم في مصر ، وأثمرت دراسته كتابه "التعلــيم العــام في مصر" L Instruction pulique en Egypte ، ونشره في باريس عام ١٨٧٢، وفــيه دعا الحكومة المصرية إلى العناية بالتعليم الأولى ، على أن يكون تعليمًا قوميًا أساســه الكتاتــيب بعــد إصلاحها ، وراقت آراؤه الخديوي إسماعيل فدعاه إلى معاونته على تحقيقها وعينه لرياسة التفتيش في ديوان المدارس في مارس ١٩٧٣ ، وتلقى الدعم كاملا من الخديوي ، ومن رياض باشا ، وظل يؤدي عمله إلى أن توفي في ١٨٨٠. (المعرب)

إسماعيل قانون إنشاء المدارس الابتدائية ، دون أن يتم اتخاذ أي إجراء خاص بخطة الدراسة [39] .

وقد ناقشت غرفة المندوبين التي أنشأها إسماعيل حديثًا عام ١٨٦٦ ، وأراد بها منذ البدء أن تشارك في تطوير التعليم في مصر ، ناقشت إيجاد خطة تسير عليها المدرسة الوطنية في مصر ، وقدمت هذه الخطة للمجلس الذي وافق عليها في ٣ يناير ١٨٦٧ ، وكانت تقوم على الأسس الآتية :

- إنشاء مدرسة في كل محافظة أو مديرية ، وفي المدن الكبرى.
- قبول التلاميذ دون أي تفرقه اجتماعية أو دينية.
- مجانية التعليم وتقديم وجبات للتلاميذ وإذا تطلب الأمر يقدم السكن والكسوة مجانًا أيضًا .
- تمول هذه المدارس من المدن والمحافظات وقد تشارك الأوقاف في هذا .
- على المجتمع أن يسهم بتبرعاته في مساندة المدارس.

وقد وافقت الحكومة على هذه السياسة الجديدة فورًا [40] ، ودعم الخديوي المشروع عند بدئه بوضع عائد عدد كبير من العقارات تحت تصرفه.

ساعد تصديق الفرقة وحماستها للبرنامج الجديد على التمهيد لإصدار قانون المدرسة الابتدائية في ١٨٦٨ ورغم مناقشة الفرقة لموضوع المدارس الابتدائية الحكومية لم تحاول إدراج الكتاتيب في برنامجها الإصلاحي ، أو في نظام الدولة ، ولكن مرسوم ١٨٦٨ استطاع أن يفعل ذلك ، وعلى الرغم من مشكلات حجوزات الوقف ظلت الكتاتيب فرع التعليم الأكثر طلابًا وعددًا ، وقد رأى القانون الجديد أن تشرف الحكومة على الكتاتيب الصغيرة ،وأن تتولى إدارة

---

(39) **تقويم النيل**، ٣، جزء ٢ ، ص ٥٣٣ ، والصفحات التالية.

(40) ستيبات، ص٢٨٨.

الكتاتـــيب الكبيرة فعلا ، وكان هذا اللون من التعليم يصنف وفقًا لمستوى التعليم الذي يقدمه (41).

إن سَرْد كل النقاط التي تضمنها قانون ١٨٦٨ سيكون زائدًا عن الحاجة غير أن ذكــر بعــض الملامح الهامة ضروري جدًا ، خاصة أن بعضها قويّ الصلة بإنشاء دار العلوم بعد عدة سنوات :

أولا : فـئات المــدارس الثلاث التي ذكرها القانون تحدثت عن معاهد تقدم تعليمًا من الإلزامي إلى الإعدادي.

فالمستوى الأقل هي المدارس الصغيرة التي تدرس القراءة والكتابة والحساب على نحو قريب مما يحدث في الكتّاب النموذجي منذ قرون كثيرة ، والفئة الثانية مــن المدارس نضم أكثر من سبعين تلميذًا وتقدم تعليمًا في الحــساب والجغرافيا والــتاريخ واللغــات الأجنبية ، إلى جانب منهج الكُتّاب التقليدي. والفئة الثالثة ، ويطلــق علــيها : «المــدارس المركزية» تقبل أفضل طلاب الابتدائي فحسب ، ويــضاف إلـــى منهجهم دراسة علم النبات ، وعلم الحيوان ، والزراعة ، وهذا المــستوى التعليمـــي أعلى بكثير من مستوى التعليم الابتدائي ، وربما أمكن أن تقول عنه بتعبير آخر ، إنه مستوى إعدادي.

ويـــتم تمويل تلك المدارس في جانب منها من الأوقاف ، وفي جانب آخر من التبــرعات ، وحول أنفاق أموال الأوقاف الإسلامية على تلاميذ غير مسلمين في مــدارس المدن والبلديات قد يكونون مؤهلين للالتحاق بهذه المدارس ، دار نقاش

---

(41) يطلــق على هذا القانون عادة قانون ١٠ رجب ١٢٨٤هـــ = ٧ نوفمبر ١٨٦٧، لأن اللجــنة التي شكلت له ثم تكوينها في هذا التاريخ، وأقر الخديوي إسماعيل هذا القانون في ٢٩ إبــريل ١٨٦٨م ويــرى ستيبات في كتابه ص٢٨٩ أن التصديق على القانون تم في ١٧ مايو ١٨٦٨.

جوهـــري ، وانتهـــى الاتفاق أخيرًا على أن يُوفر فائض أموال الوقف للمدارس سنويًا ، حتى لا تتلقى هذه الأموال بشكل مباشر [42].

وبقـــى الأمـــل معقودًا في ألاَّ تضم الحكومة المدارس الصغيرة إلى ميزانيتها السنوية.

وفي عام ١٨٦٧ تمَّ تصنيف ٢٢٢ كُتَّابًا في القاهرة على النحو التالي:

- مدارس وقف تحت إشراف الحكومة.
- مدارس وقف خارج هذا الإشراف.
- مدارس لا تُمول من عائد الأوقاف وليست تحت إشراف الحكومة [43].

وقدَّم القانون تصورًا للنظام الذي سوف يحكم سير العمل في هذه المدارس ، فـــرأى أن تمتد سيطرة الحكومة إلى المدارس التقليدية جميعها ، وتجعلها جزءًا مـــن الـــنظام الحديث وهو الخطوة الرئيسية الأولى ، فيما يبدو ، لمد جسر بين النظامـــين. ويـــستطيع المـــرء ، من وجهة نظر أخرى ، أن يرى فيها الخطوة الرئيـــسية الأولـــى نحو تحقيق مركزية التعليم المصري ، وفي تطوير لا يعتبر بالضرورة إصلاحًا ، لأنه أدى إلى مزيد من البيروقراطية ، وضياع الكثير من السيطرة المحلية.

فـــيما بين عامي ١٨٦٨ و١٨٧٩ تم افتتاح إحدى وثلاثين مدرسة ابتدائية في القاهـــرة والإســـكندرية وبعض المحافظات الرئيسية . وكان يطلق على مدارس المحافظـــات المركزية ، وعددها خمس ، اسم "المكاتب الأهلية" ، وكان من بين هـــذه المـــدارس الإحدى والثلاثين ، إحدى عشرة مدرسة تتبع نظارة المعارف

---

(42) يوجد النص الكامل للقانون في تاريخ تقويم النيل ، ٣: ٣٤ – ٦٠، وقدم هيوارث دن ملخـــا له في كتابه ص ٣٦٣ – ٣٦٩ ، واستخدم سيتبات هذه المصادر في دراسته ص٢٨٩- ٢٩٥.

(43) ديكسترا Dykstra ص٢٥٠ - ٢٥١.

إشرافًا وتُمولها نظارة الأوقاف العامة . وإحدى عشرة مدرسة أخرى ، تُموّل من خــلال الأوقاف وتشرف عليها نظارة المعارف ، وأخيرًا ثمة تسع مدارس تعتمد علـــى الهبات المقدمة من الأوقاف الخاصة ، وتم افتتاح مدرستين أخريين للبنات خاصة.

وعلـــى الـــرغم من ذلك كله استرعى إنشاء هذه المدارس الابتدائية جميعها النظـــر إلـــى بعــض العــيوب الخطيرة في الخطة وهي: النقص في المدرسين المؤهلــين المكلفين بتنفيذ الخطة في كفاءة ، وغيبة نظام التفتيش المناسب الذي يـــساعد على ضمان ترقي الكتاتيب ، فقد ظل المدرسون الأساسيون المتوفرون لدى الحكومة إما من الذين درسوا في الزهر أو من الذين تلقوا تعليمًا عامًا – كما يـــشير إلى ذلك المقرر الذي ألمحنا إليه سابقًا – وأكمل المشايخ بمقتضاه تعليمًا يرتكز كلية ، في مجمله ، على دراسة اللغة العربية والإسلام ، من خلال النظام التقلـــيدي غالـــبًا . وعلى حين أكسب هؤلاء النظام الجديد شيئًا من الاحترام من وجهة النظر التقليدية لم يكونوا بوصفهم مدرسين ، وليس ذلك في وسعهم ، تقديم أي شـــيء أزيـــد من التعليم الديني في كلياته فأدى ذلك على نتائج غير متساوية ومن ثم تبين أنه إذا أريد القيام بأي تجديد صحيح للتعليم في المدارس الجديدة فلا بـــد مـــن البحث عن مدرسين جدد ، يجمعون إلى مهارات المدرس الديني كفاءة المدرس العلمي الحديث وكانت هذه معضلة ، يرجع الفضل إلى علي مبارك في تقـــديم حل لها ، وكان علي مبارك قد أمضى سنوات طويلة في خدمة الحكومة المـــصرية ، أكـــسبته معرفة واسعة ، جعلت منه خبيرًا متمكنًا . ورسم صورة ســـريعة ، وموجـــزة ، لنشأته ، وحياته المهنية تساعدنا في فهم هذا الجانب من حياته [44] .

---

(44) هيوارث دن ٣٦٩ – ٣٧٠.

يُعتبـر علـي مبارك أحد أكثر موظفي الحكومة ورودًا في تاريخ مصر في القرن التاسع عشر . ولد في قرية برنبال الجديدة ، في شمالي شرق الدلتا ، عام ١٨٢٣ أو ١٨٢٤م ، ولأنه وحيد والديه ، كان متوقعًا أن يترسم خطى العائلة في الوظيفة الدينية وهو في السادسة أو السابعة انتقلت العائلة إلى الشرقية ، حيث بدأ علـي يتلقـى تعليمه على شيخ يعرفونه في الدقهلية [45] . وفيما يبدو نلقي بعض مبادئ القراءة والكتابة بمساعدة والده ، وذلك قبل أن يقرر الوالد أن وظيفة كاتب هي الأنسب لابنه.

وبعد أن وكلت العائلة هذا الصبي لعدد من الكتبة لدفعه إلى الأمام في مستقبله المهنـي كاتـبًا ، زُج به في السجن لحجزه أموال الإيجارات التي تجمعت لديه مقابل رواتبه التي تأخرت عدة شهور ،وقد استطاع الوالد أن يُعدَّ لإطلاق سراح ابنه ، ولكن الصبي الصغير آنذاك ، كان قد دبَّر أموره.

وأخذ للأمر عدته ، عن طريق صداقته للحارس الذي أوجد له وظيفة أخرى مع موظف مصري ، ومن خلال هذا الموظف سمع الصبي نبأ المدارس الجديدة التـي أنـشأها محمد علي ، وفي ضربة حظ اكتشف وجود واحدة منها في قرية اسـمها "مُنـية العز" ، ورغم معارضة أسرته أصر الصبي على الالتحاق بهذه المدرسـة ، وفي خلال سنة ، أو ما يقرب منها ، تم اختياره أحد أفضل طلابها لاستكمال دراسته في مدرسة قصر العيني [46].

وهكـذا ، وهـو في الثانية عشرة من عمره التحق علي بالمدرسة الإعدادية الحكومـية ، وكـان يغلب على مدرسة قصر العيني ، كما ألمحنا سلفًا ، المناخ

---

(45) كـتب علي مبارك سيرته الذاتية في كتابه الخطط التوفيقية، الفصل التاسع ص٣٧ – ٦١، ومـن يرد الاطلاع على تحليل موضح وشامل لحياة علي مبارك وكتاباته وأفكاره، فعليه الرجوع إلى دراسة ديكسترا، فهي ذات قيمة عظيمة.

(46) عند ذكر المحافظات المصري، ستكتب دون أداة التعريف.

العسكري ، كما أن تجاربه السابقة لم تشجعه أيضًا على الانسجام ، ولكنه وضع أخيـرًا في فصل يتولى التدريس فيه شخصيًا **إبراهيم بك رأفت** ناظر المدرسة ، فـساعد شرحه الواضح على تقدم **علي مبارك** بسرعة كبيرة ، ومنه تعلم التلميذ قـيمة وجـود مدرس واعٍ مخلص ، له القدرة على التواصل مع طلابه ، ومرة أخـرى ، يتم اختيار **علي مبارك** عام ١٨٣٩ - ١٨٤٠م من بين خبرة الطلاب ليلتحق بمدرسة التقنيات المتعددة في بولاق (المهندسخانة) ، وهي المدرسة التي سوف يصبح ناظرًا لها بعد عشر سنوات فقط من دخولها تلميذًا ، وقد ابتعث إلى بـاريس ، وبعـد دراسـة خاصة لمدة عامين تلقاها في المدرسة المصرية في بـاريس ، أرسـل إلى مدرسة الهندسة العسكرية في ميتز Metz عام ١٨٤٩ ، وبعد إتمام دراسته التحق مع فريق من المهندسين المصريين بالجيش الفرنسي ، ونظـرًا لوفاة **إبراهيم باشا الكبير** في أواخر عام ١٨٤٨م ، تم استدعاء الطلاب المـصريين الـذين يدرسون في الخارج ، وأمر الحاكم الجديد **عباس الأول** ، بإغلاق المدرسة المصرية في باريس [47] .

انتعش مستقبل علي مبارك المهني برعاية شخصية من عباس الأول وتحمس علـي مبارك لإقامة علاقات عمل طيبة مع المهندسين المؤهلين الذين لم يكونوا يمـثلون جـزءًا من النظام القديم ، وما لبث أن ترك منصبه سريعًا في "مدرسة سلاح المدفعية" ليصبح واحدًا من مجموعة المساعدين الشخصيين لعباس الأول ، وفـي وظيفته الجديدة عمل مع زملاء الدراسة السابقين في باريس ، يفتش على مخـتلف المدارس والمهندسين العاملين في المحافظات [48] . وزاد وضعه أهمية فـي مدرسـة التقنيات المتعددة عندما قدَّم لعباس الأول مشروعًا بإنشاء الأقسام الابتدائـية والثانوية في المدرسة ، وبوصفه ناظرًا لها أخذ على عاتقه الشخصي الاهتمام بدراسات طلبته ومستقبلهم المهني.

---

(47) **الخطط التوفيقية**، ج٩ ص٣٧ - ٤١.

(48) لم يشأ عباس الأول أن تعتمد مصر كثيرًا على فرنسا.

وعـــندما اندلعت حرب القرم تم استدعاء علي مبارك عام ١٨٥٤م للمشاركة فـــي إعداد الفريق المصري الثاني ، وتم عزله عن منصبه في مدرسة التقنيات المـــتعددة ، وأُرســـل إلى اسطنبول ليقضى عشرة أشهر في Crimea ، وثمان أخرى فى الأناضول [49] ، وفور عودته إلى مصر تم الاستغناء عن خدماته .

وبعد فترة وجيزة استدعى للعمل فى عدة أقسام مختلفة ، قبل أن يتم الاستغناء عنه مرة أخرى في عام ١٨٦١/ ١٨٦٢ ، كجزء من برنامج **سعيد** الاقتصادي ، ومع ذلك استغل الفرصة وبدأ يتاجر فى الممتلكات الحكومية الفائضة ، ويخطط لتكوين شركة إنشاءات.

بعـــد وفـــاة **ســعيد** عام ١٨٦٣ ، استدعاه الخديوي الجديد **إسماعيل** ، وكان معاصرًا له وهو في مدرسة باريس ، وخلال حكم إسماعيل بلغ علي مبارك أوج نجاحه وتوفيقه ، وعمل في أوقات مختلفة عمل رئيسًا لإدارات أو نظارات مثل : قناطـــر الدلـــتا والـــسكك الحديدية والتعليم والأشغال العامة والمدارس الابتدائية والأوقـــاف ، كما تقلّد عددًا من المناصب الاستشارية . وفي الواقع شغل مبارك وظائف متنوعة و متعدِّدة في تلك السنوات وللإلمام بها من الأفضل الرجوع إلى جدول ديكستر حيث سرد فيه وظائفه بالترتيب [50] .

حاولـــنا ، فـــيما ســـبق ، أن نعرض كيف تطور نشاط **علي مبارك** قبل حكم **إسماعيل** ، لنغوص قليلا ببصيرتنا في أعماقه بحثًا عن الحوافز التي جعلته يتقدم بمشروع **إنشاء دار العلوم** .

كـــان **علـــي مـــبارك** ناظرًا للمعارف أثناء حكم إسماعيل لثلاث مرات ومرة واحـــدة خـــلال حكـــم توفيق ، وكما ذكرنا كان له دور مؤثر في إصدار قانون

---

(49) ديكسترا ص ١٠٦ و ١١٢.

(50) المصدر نفسه ص١٢٨ - ١٣١.

١٨٦٨ ، وفـــي الواقـــع كان هو الذي أعاد تنظيم التعليم الإلزامي والابتدائي ، ويـــشير كنـــزي إلى أن **علي مبارك** هو النموذج الوحيد في مصر القرن التاسع عشر الذي حاول مرارًا أن ينشئ نظامًا شاملا للتعليم الابتدائي تديره الحكومة ، نظامًا يوائم ظروف الناس الحالية [51] . وفي ضوء خبراته التعليمية الأولى ليس غريبًا أن يعطي علي مبارك هذه القضية أولوية كبرى طوال حياته.

قـــبل أن تنتهـــي أيامـــه فـــي الإدارة التعليمـــية قـــدم علي مبارك عددًا من المـــشروعات لـــزيادة عـــدد الكتاتيب وفتح قسمًا خاصًا داخل **دار العلوم** لإعداد مدرســـي الكتاتيب وإصلاحها نفسها ، وهي خطوات كانت تتجه بذاتها نحو تعليم شـــامل ضخم لا يقتصر على الصفوة وحدها ، وكذلك أنشأ المكتبة القومية (دار الكتب المصرية) والصحيفة التعليمية ، ممثلة في «**روضة المدارس**» عام ١٨٧١ ، ١٨٧٠ على التوالي.

وركـــز **علي مبارك** اهتمامه على المصري المسلم الأصيل ، فقد نبغ هو من هـــذه المجموعة وسط عدد من الظروف المحظوظة ، فأراد أن يزيد من الفرص لمن هم في هذه المجموعة.

ليس من الضروري أن نذكر أن **علي مبارك** لم يسلم من النقاد ، وأكثر نقاده من الموظفين البريطانيين الذين عرفوه بعد احتلال بريطانيا مصر عام ١٨٨٢ ، وحكمـــوا عليه من خلال أفكارهم المتعلقة بطريقة أداء الإدارة الحكومية ، والتي كانوا يؤمنون بها ، فقد أطلق عليه **اللورد كرومر** في عام ١٨٨٣ ، وكان الحاكم الفعلي لمصر بين عامي ١٨٨٣ و١٩٠٧ : "الرجعي الفاسد المسرف" .

---

(51) في ملحقه رقم ١ أورد علي مبارك ص٦٢٣ -٦٢٨ قائمة بالوظائف التي تقلدها من سنة ١٨١٨ إلى سنة ١٨٩١.

وبعد سبع سنوات وصفه موظف بريطاني آخر بأنه "مراوغ عجوز متعصب ضيق الأفق ، من أسوأ نوع" [52] . وربما كانت هذه الكراهية البريطانية لعلي مبارك موجهة نحو أسلوب إدارته.

كانت طريقة **علي مبارك** مرنة في حل مشكلات الطلاب ، فهو يستثني الطلاب الذين رسبوا في مستوى واحد ولكنهم لا يزالون مؤهلين للنقل مؤقتًا إلى المستوى التالي ، كما وافق أيضًا على طلبات "منح" ترتكز على الحاجة أو الوضع الاجتماعي وليست حقًا تتوفر فيه شروط اللوائح ، وظهرت قضية اتهامه بالإسراف ، لرغبته في زيادة المدارس ، وكان من سوء طالعه أنه يصارع من أجل تعليم تدعمه الدولة في زمن كانت تحتل مصر دولة أجنبية ، لها في الميزانية أولويات كبرى بعيدة تمامًا عن التعليم ، ولا بد أن **علي مبارك** أصيب بالإحباط أيضًا بسبب خلافاته حول الكم والكيف التي أدانه بها الموظفون البريطانيون [53] .

كانت طريقة **علي مبارك** الشخصية في الإدارة ، من وجهة نظر البيئة المصرية ، صائبة تمامًا ، وكان اهتمامه بالعدالة الاجتماعية بدل **العدالة المقاسة** بعناية شيئًا يدعو للإعجاب ، وقد أدت البيروقراطية التي فرضها الاحتلال البريطاني إلى اتخاذ **علي مبارك** شكلا تقليديًا للغاية ، أشد مما هو عليه بين معاصريه من المصريين في الحقيقة ؛ فقد كانوا يرونه حداثيًا ومتجددًا إلى حد

---

(52) كنزي Kinsey ص١٣٩.

(53) بارنج Baring إلى جرانفيل Granville ، ٣١ ديسمبر ١٨٨٣ وزارة الخارجية ، السجل العام ، بريطانيا العظمى ٦٣٣/ ٦/ ١٨ بورشيل Portal إلى سالسبري Salisbury ٩ يوليه ١٨٩٠، أوراق سالسبري المستشهد بها في كتاب كنزي ص ١٤٠.

مـــا ، وقد اتهم أيضًا بالمحسوبية ومحاباة أقاربه فيما يخص مدرسة الطب [54] ، ويـــرجع بقـــاؤه في الحكومة إلى بعض ما يتمتع من انتهاز الفرص ، والاهتمام باحتـــرام الذات ، ومع هذا أطلق عليه أحد الرجال الذين حجب عنهم المعونة في لحظـــة حاسمة من عام ١٨٨٢ ، وهو رياض باشا ، أنه : "رجل مصر الأفضل والأكثـــر حـــنكة" [55] . ورغـــم النقد المتنوع لا بد أن يعترف المرء بتأثير علي مـــبارك فـــي جيل جديد من المصريين في الحقل التعليمي ، رجال قدَّروا تفهمه الواقعـــي لمـــشكلات الشعب المصري وأحاسيسه ، وعدد ليس بالقليل من هؤلاء الرجال ، أجيال من الطلبة الذين التحقوا بدار العلوم [56] .

- **إنشاء دار العلوم :**

كمـــا تثبت التطورات التي أوردناها في التعليم المصري في عصر **الخديوي إســـماعيل** ، لم يأت إنشاء دار العلوم من فراغ ، وإنما كان جزءًا لا يتجزأ من المجهـــود المصري المنظم الذي يسعى لتوصيل التعليم إلى الجمهور المصري ، ولـــم يـــبدأ علـــي مبارك في مشروعه إلا بعد أن اكتسب خبرة واسعة بالتعليم ، وهكذا انبثقت دار العلوم عام ١٨٧٢ من سلسلة محاضرات افتُتحتْ عام ١٨٧١ ، ومرت بالمراحل الثلاث التالية :

- افتتاح سلسلة محاضرات في مدرج دار العلوم في مايو ١٨٧١.
- انتقاء فريق من شيوخ الأزهر لحضور المحاضرات ، مع إضافة المواد الإسلامية إلى جداول المحاضرات في يونيه ، يوليه ١٨٧١.

---

(54) كما سيتضح في الفصل السادس دعمت السلطات البريطانية أهدافًا تعليمية قريبة الشبه جدًا بتلك التي دافع عنها علي مبارك، ربما لغايات مختلفة، فقد ركزت على أهمية تعليم الشعب في مصر، غير أنهما سلكا طريقًا متباينًا في التمويل، ومختلفًا في الإدارة.

(55) نجيب محفوظ، **تاريخ التعليم الطبي في مصر**، القاهرة ١٩٣٥، ص٥١.

(56) مـــن ماركوتي Macortie إلى ميلنر Milner ١٦ أغسطس ١٨٦٣. أوراق ميلنر، رسالة خاصة استشهد بها كنزي في كتابه ص ١٤١.

ب- إنشاء كلية لإعداد المدرس يدخلها الشيوخ في أغسطس ١٨٧٢.

وقد لعب **علي مبارك** دوره مؤسسًا في المرحلتين الثانية والثالثة.

في ١١ من ربيع الآخر ١٢٨٨ هـ - ٢٩ يونيه ١٨٧١ نُشر إعلان في جريدة "الوقائع المصرية " عن تقديم سلسلة من المحاضرات في الدراسات العامة في مدرج أطلق عليه **"دار العلوم"** في قصر درب الجماميز الذي أصبح المقر الرئيسي لديوان المدارس وبعض المعاهد العلمية ، وكذلك المكتبة القومية (دار الكتب المصرية) حيث تم الانتهاء من بناء المدرج حديثًا.

ثمة بعض اللبس حول زمن افتتاح سلسلة المحاضرات فعلا ، ويبدو أن **حسين المرصفي** ألقى محاضراته ابتداء من ٦ مايو ، وهي محاضرات تم نشرها في مجلة روضة المدارس [57] .

ويتفق معظم المؤلفين على أن السلسلة بأكملها أتيحت للجمهور ابتداء من يولية ١٨٧١ ، عندما تم الوصول إلى المرحلة الثانية من التطوير الذي أومأنا إليه [58].

ويفسر لنا الأهداف العامة والخاصة لهذه السلسلة من المحاضرات ، في هذه المرحلة نوعية الذين دعوا إليها وهم : كبار موظفي الديوان ومدارسه ، وطلبة المدارس الحكومية العليا من جانب ومن جانب آخر حضرت مجموعة منتقاة من طلبة الأزهر ، وكتب علي مبارك إلى شيخ الأزهر طالبًا منه تحديد عشرة من الطلاب ، وأساتذة مناسبين لتدريس مناهج معينة لم يتم إدراجها في سلسلة المحاضرات[59].

---

(57) سيركز الفصل السابع على الخريجين وسوف تشير الخاتمة إلى تاريخ دار العلوم قبل ١٩٢٣.

(58) انظر ديكسترا ص٢٧٣، **وتقويم دار العلوم** ص٧٠٦.

(59) انظر تقويم دار العلوم ص٧ و ١١ ، **وتقويم النيل** ٢ ج٣ ص٩٢٨، **وكتاب تاريخ التعليم في مصر** من نهاية حكم محمد إلى أوائل حكم توفيق ص٥٧٩، والتعليم في سنتي

جدول رقم (١)

جدول محاضرات دار العلوم في ١٨٧١ [60]

المحاضر	المادة	أيام الإلقاء	الزمن
إسماعيل الفلكي	فلك	الثلاثاء	٨,٣٠ - ١٠,٣٠
منصور أحمد	طبيعة (مع التجارب)	السبت	٨,٣٠ - ١٠,٣٠
فيدال باشا	السكك الحديدية	السبت والاثنين	٣,٣٠ - ٥,٣٠
جناب[61] فرانس بك	فن العمارة	الأحد والثلاثاء	٣,٣٠ - ٥,٣٠
جناب جيجون بك	ميكانيكا	الأربعاء	٣,٣٠ - ٥,٣٠
هنري بروكاش باشا	تاريخ عام	الخميس	٣,٣٠ - ٥,٣٠
الشيخ عبد الرحمن البحراوي	الفقه الحنفي	السبت والاثنين	٧ - ٨,٣٠
الشيخ أحمد المرصفي	تفسير وحديث	الثلاثاء والخميس	٧- ٨,٣٠
جناب بكتيت	فيزياء (مع شرح للميكنة)	الأربعاء	١٠ - ١١
أحمد ندى بك [63]	علم النبات	الخميس	٩- ١٠[62]

١٩١٤ و ١٩١٥، الجزء الثاني ص ٥٧٨، ويقدم هيوارث دن ص٣٧٧، جدول رقم ١ ، ويتضمن المحاضرات كاملة.

(60) أخذت الجدول من عدة جداول موجودة في: **تقويم النيل** ٢، ج ٣ ، ص ٥٢٩ ، **والتعليم في مصر سنتي** ١٩١٤ و ١٩١٥ ص٢٤، بما في ذلك أسماء اثنين من المحاضرين: بحراوي (أو الجيزاوي، واعتقد أنهما نفس الشخص) ، وأحمد شرف الدين المرصفي ، اللذين تم الاستعانة بهما خصيصًا للدراسات الأزهرية.

انظر: تقويم النيل ٢، ج٣ ج٩٣٨ وللاطلاع على مسوغات تعيينهما في ١٨ و١٢ من ربيع الآخر على التوالي، ويشرح تقويم دار العلوم هذا الجدول ص٧٠٦.

(61) كلمة "جناب" لقب يسبق اسم الشخص لمزيد من الاحترام.

(62) دفتر ٤٣٨ مدارس عربي رقم ٤٣٦، ١٣ ربيع ثاني ١٢٨٨ هـ، ص١٤٠. ورقم ٤٤٧، ١٥ ربيع ثاني ١٢٨٨هـ، ص ١٥٦، ورقم ٤٥٢ ١٨ ربيع ثاني ١٢٨٨هـ، ص١٦٤، = واستشهد بها في **تاريخ التعليم في مصر من نهاية حكم محمد علي إلى أوائل حكم توفيق،** ج٢ ص ٥٧٩ -٥٨٠.

أراد علي مبارك دعوة شيوخ الأزهر لاعتقاده أنهم سوف يستفيدون من هذه الفرصـــة فـــي توسيع مداركم وتقوية قدراتهم مدرسين للغة العربية في المدارس الابتدائية الحكومية ، والأسس التي كان الاختيار يتم طبقًا لها جديرة بالذكر:

- يجب أن يتراوح عمر الشيخ ما بين الثلاثين والأربعين عامًا.
- ويجب أن يتمتع بمعرفة عالية لقواعد النحو العربي.
- ويجـــب عليه أن يحضر خاصة محاضرات العلوم العربية والشريعة لمدة ســـاعة ونـــصف الساعة يوميًا ، على ألا يعوق هذا متابعة دراساتهم في الأزهر .

أمـــا المحاضـــرات الأخرى كالتي تتناول الفيزيقا والكيمياء مثلا ، فيشجعون علـــى حـــضورها ، بطـــريقة اختيارية ، ويحصل الطلبة المحتاجون في مقابل الحـــضور علـــى خمسة وعشرين قرشًا شهريًا ، كما يحصلون أيضًا على أجر يتناسب مع مؤهلاتهم الإضافية فور تعيينهم مدرسين في المدارس الحكومية.

كانـــت المحاضـــرات التي تقدم في دار العلوم متنوعة المواد إلى حد كبير ، علـــى نحـــو مـــا نرى في الجدول رقم ١ ، وعلى المرء أن يتذكر أن الميزانية الكاملـــة لسلـــسلة المحاضرات هذه قُدرت بمبلغ ٤٩,٥٧ ، تسعة وأربعون جنيهًا مصريًا وسبعة وخمسون قرشًا في الشهر وتتوزع الميزانية على النحو التالي :

رواتـــب مدرســـي العلوم الأدبية والتفسير والحديث: ٤ جنيهات مصرية لكل مدرس شهريًا ، وراتب مدرس الفقه الحنفي ٣ جنيهات.

أما راتب المتعاقدين من محاضري الفيزيقا والكيمياء فجنيهان.

وراتب المساعد الأول لحفظ المعدات والسجلات: خمسة جنيهات.

---

(63) فـــي هيوارث دن ص٢٥٢ و٢٦١ يأتي اسم ندى، وقد أتبعت الترجمة الحرفية نفسها اعتقادًا مني بأن ذلك سينتقل بدقة نطق الألف الممالة.

وراتــب المساعد الثاني لتنظيف المقاعد والمعدات وصالة المحاضرات ثلاثة جنيهات شهريًا.

وراتب الأزهريين : جنيهان ونصف.

وثمن أشياء ضرورية للمكتبة : ورق وحبر، وغيرها : ثمانية جنيهات وسبعة قروش [64].

وكانت الرواتب تدفع من أموال نظارة الأوقاف فحسب للمحاضرين الذين لا يعملون أكاديميًا في وظائف تدفع لها رواتب عالية من المدارس الحكومية العليا ، مــثل أحمد المرصفي ، البحراوي ، وتكتيت ، وكان البحراوي مفتيًا في وزارة العــدل [65] ، وكــان أحمــد شــرف الدين المرصفي عالمًا موصى به من شيخ الأزهــر ، ومثل البحراوي ، وأصبح فيما بعد عضوًا في هيئة التدريس في دار العلوم.

ويرجع ارتفاع راتب تكتيت إلى أنه لا يشغل منصبًا تعليميًا آخر في المدارس الحكومية.

أمــا بقية المحاضرين فكانوا كلهم مدرسين بارزين في المدارس العامة العليا فــي مصر: كان فيدال ناظرًا لمدرسة الإدارة واللغات [66] ، وكان الفلكي ناظرًا للمهندسخانة ، وبعد ذلك أصبح كبير مهندسي نظارة الأوقاف.

---

(64) تــاريخ التعليم في مصر من نهاية حكم محمد علي، ج٢ ص٢٨٠، وقد استشهد بدفتر ٤٣٨ مــدارس عربي، رقم ٩٦ ص١٣٧، وفيه يذكر البند الأخير على أنه ٧,٠٨ وأحسب أن إجمالي الرقم، وهو ٤٩,٥٧ صحيح، وان الرقم الأول لا بد أن يكون ٨,٠٧.

(65) شخص يصلح لتقديم الفتاوي القانونية المتعلقة بالفقه الإسلامي.

(66) أصــبحت هذه المدرسة فيما بعد مدرسة الحقوق، وستستخدم هذه الأسماء بالتبادل إلى أن تم انفصال قسم اللغات.

وأدار جواجـين مدرسة العمليات (المدرسة الفنية) ، وأما بروكاش فلمدرسة علم المصريات ، ودرَّس أحمد ندى في كل من الكلية العسكرية ومدرسة الطب (67) ، ودرَّس حسين المرصفي في مدرسة المكفوفين (68) . [وكان هو نفسه كفيفًا].

وقـد اختار شيخ الأزهر ، محمد العباسي بناء على طلب علي مبارك بعض طلبة الأزهر لحضور المحاضرات ، وهم :

- أحمد بركة الله
- محمد عمر الزعفراني المنفلوطي.
- إسماعيل أحمد القناوي.
- السيد علي الجرجاوي
- محمد العروسي
- محمد الطحلاوي.
- محمد الطنبشاوي
- محمود الجزيري (69).

وهـذه الأسـماء وفقـا لقائمة الذين تسلموا فعلا الرواتب العشرة ، ويبدو أن الاسـمين الأخيـرين اللـذين لم يظهرا في آخر القائمة لم يحضرا المحاضرات فعلا ، وأن أربعة أسماء أخرى تلت هؤلاء وهم :

- إبراهيم عمر القناوي.
- مصطفى عبد الله.
- وأحمد محمد القاضي.
- وعلي بدوي.

---

(67) في كتاب جورجي زيدان تاريخ آداب اللغة العربية تفصيلا أكثر لسيرته ج٤ ص١٦٩ ، القاهرة ١٩٣٧.

(68) أحـد أكثـر العلماء شهرة في مصر، في أواخر القرن التاسع عشر، وسأتناول حياته وعمله تفصيلا في الفصل الثالث حيث أصبح عضوًا في هيئة التدريس في دار العلوم.

(69) **تقـويم النـيل**، ج٣ ص٩٣٥، وربما يكون اللقب تحريفًا لاسم الجزائري، وقد ينطق الجزايري.

الـــذين أكملوا الفرقة الأزهرية [70]. وكل هؤلاء الرجال ، فيما يبدو ، وجدوا وظائـــف مناسبة في التدريس خلال السنة التالية ، لأن أيًّا منهم لم يعد جزءًا من الكيان الطلابي بعد تنظيم مدرسة دار العلوم [71] .

كيف تم إنشاء هذه المدرسة الجديدة ؟

في ٢١ فبراير ١٨٧١ تم تعيين **علـــي مبارك** ناظرًا للمكاتب العمومية ، وهو منصب تزامن مع منصبه ناظرًا للمعارف في ١٣ مايو ١٨٧١.

وبعـــد ذلـــك الـــتاريخ قـــرر **علـــي مـــبارك** أن يلحق فريق الشيوخ بسلسلة المحاضـــرات في دار العلوم ، واستمر **علي مبارك** رئيسًا لديوان المدارس حتى ٢٦ أغـــسطس ١٨٧٢ ، وبعـــد هـــذا التاريخ أصبح مستشارًا لنظارات الأشغال العامة والأوقاف والمعارف ، وكلها تحت إدارة الأمير حسين كامل (السلطان فيما بعد) ، أحد أبناء الخديوي إسماعيل. ومن ثم استطاع علي مبارك أن يلحظ خلال العـــام الأول مـــن سلـــسلة المحاضـــرات هذه ، التقدم الذي أحرزه الأزهريون الدارســـون فـــي مـــدرج دار العلوم ووجد فيهم الحل الممكن لمشكلة العجز في مدرســـي المـــدارس الابتدائـــية الجديدة ، وأدرك أن مصر تحتاج إلى مدرسين قـــادرين علـــى التدريس في النظام العام ، ويتمتعون أيضًا بالمؤهلات المطلوبة لـــتدريس اللغتين العربية والتركية في مشروعه لإنشاء مدرسة في دار العلوم ، ويذكر **علي مبارك** ، حقيقة : «إن هؤلاء العاملين الآن في وظائف تدريس اللغة العربية والتركية ليسوا مؤهلين بالقدر الكافي لأداء هذه المهمة» [72] .

---

(70) المصدر نفسه ص٦٣٨.

(71) يذكـــر تـــاريخ التعلـــيم في مصر ج ٢ ص٥٨٣ أن ديوان المدارس بدا في تعيينهم مدرسين للغة العربية والقرآن الكريم في المكاتب العامة، ولكن تقويم دار العلوم ص١٤- ١٧ لا يتضمن أيًّا من أسمائهم في قائمته التي أوردها لأوائل الطلاب في دار العلوم.

(72) حـــاول ديكسترا في ص٦٢٤ – ٦٢٥ أن يحل مشكلة تضارب التواريخ التي تتصل بتعيينات علي مبارك كما وردت في تقويم النيل، وتاريخ التعليم في مصر، والخطط.

إن تـواريخ هـذا المـشروع الأصـلي ، وخطاب علي مبارك إلى مجلس مستـشاري الخديـوي ، والأمر الخديوي بإنشاء دار العلوم ، مادة خلاف غير مقـصود بـين أربعـة مصادر هامة عرضت لهذا الموضوع وقدمت مجموعة مخـتلفة من التواريخ: تقويم النيل والتعليم في مصر لأمين سامي باشا ، وتقويم دار العلوم لمحمد عبد الجواد ، وتاريخ التعليم في مصر للدكتور أحمد عزت عبد الكـريم ، وعلـى الـرغم مـن هذا ، لا يبدو أنهم أدركوا ما فعلوه ، فقد اتخذ الأخيران في دراستهما من أمين باشا مصدرًا رئيسيًا لهما دون أن يلحظا اختلاف الـتواريخ . بالنسبة لأمين سامي باشا في تقويم النيل ، أرسل طلب **علي مبارك** في ٢٤ جمادي الأولى ١٢٨٩ هـ - ٣ يوليه ١٨٧٢، وأعلن الأمر الخديوي في ٢٧ جمادى الآخر ١٢٨٩ - أول سبتمبر ١٨٧٢م ، ويتفق كتاب أمين سامي باشا «تاريخ التعليم فى مصر» على أن طلب مبارك كان فى التاريخ نفسه ، ولكنه لا يذكر أي تاريخ لرد الخديوي عليه ، فيما عدا التاريخ الذي أرسل فيه على مبارك المشرع الأصلي ، ويعتبر تقويم النيل أن تاريخ إنشاء دار العلوم هو نفس التاريخ الذي أرسل فيه المشروع (73) .

ويذكـر كـتاب تاريخ التعليم فى مصر لأحمد عزت عبد الكريم تاريخ الأمر الخديـوي علـى أنه فى ٢ أغسطس ١٨٧٢ معتمدًا على كتاب أمين سامي باشا التعليم فى مصر ، على حين يتفق مع سامي باشا فى التاريخ الذي وضعه لطلب علي مبارك .

وفى تقويم دار العلوم حيث يدعى مؤلفه أنه استخدم تاريخ التعليم فى مصر ، وعملـيًا يقـدم أمين سامي باشا التاريخين على أنهما ٢٩ أغسطس لخطاب علي مبارك ، وأول سبتمبر للأمر الخديوي . وإضافة لكل هذا التضارب ، عندما يقدم

---

(73) للاطلاع على النص انظر: تقويم النيل ٢ ، ج٣ ، ١٠٠٧ و١٠١٦، والتعليم في مصر ص٢٦، وتقويم دار العلوم ص١٢ -١٣، وتاريخ التعليم في مصر ج٢ ص٥٨٣.

كـتاب «التعليم فى مصر» تاريخ الثاني من أغسطس فى نص الدراسة ، يشير الهـامش إلى التاريخ الهجري المقابل له على أنه ٢٧ من جمادى الآخرة ، وهو كما ذكرت – فيما سبق – كان الأول من سبتمبر .

بداهـة ، دون الاطلاع على النسخ الأصلية للرسالتين يصعب تحديد التواريخ الأصح .

كـان أمـين سـامي باشا ناظرًا لدار العلوم من ١٨٩٥ إلى ١٩١١م ، شديد الـتعلق بالمدرسـة ، بالغ الدقة فيما يكتب ، وربما كان ممكنًا أن نستبعد التاريخ الـوارد فـى تقـويم دار العلوم بالنسبة للرسالة الأولى ، التي تحمل تاريخ ٢٩ أغـسطس ، لأن الـتاريخ الهجـري ٢٤جمادى ١٢٨٩محيِّر جدًا ويدل على أن المؤلف لم يكن يعرف ما إذا كان الشهر جمادي الأول أم جمادى الآخر ، ومن ثم يصبح الخلاف الرئيسي حول تاريخ الأمر الخديوي : إذا افترضنا أنه الثاني من شهر أغسطس ، يكون التاريخ الهجري المذكور فى تاريخ التعليم فى مصر خطأ بكـل بـساطة ، خاصـة وأن المؤلف ذكر أن التاريخ الهجري المقابل للتاريخ الميلادي الأول من سبتمبر ١٨٧٢ هو ٢٧ جمادي الآخر ١٢٨٩هـ [74]

كان الهدف من أنشاء دار العلوم كما ذكر **علي مبارك** فى «الخطط التوفيقية» (ج ٩ ص٥١) ، إعداد مدرس اللغة العربية واللغة التركية للمكاتب العامة. ووفقًا للأمـر يجـب أن تكـون أعمـار المتقدمين بين العشرين والثلاثين . ويبدو أن المجموعة الأولى من الشيوخ التي كانت أعمارهم تتراوح بين الثلاثين والأربعين كانـت أكبـر بكثير من أن تستفيد من التعليم الجديد ، ومن المفترض أيضًا أن

---

(74) في الحقيقة لا يذكر **تقـويم النيل** التاريخ الثاني صراحة على أنه ٢٧ جمادي الآخرة، ولكـن بمـا أن المؤلف يقدم الأحداث مرتبة يومًا بيوم، وشهرًا بشهر ، وبما أنه يضع المستند الثانـي في مكانه من القائمة بتاريخ ٢٧ جمادي الآخرة علينا أن نقطع بأنه يعتبر هذا التاريخ صحيحًا.

يتمتع الطلاب بصحة جيدة ، وأن يتم اختيارهم من بين طلاب الأزهر بامتحان ، وأن يتمتع المتقدم له بالسلوك الحسن ، حتى يسمح لهم أن يشاركوا فى الاختلاف إلى مقررات متعددة ، ويستمروا في متابعة مواد مختلفة ، وبقدر المستطاع رأت نظـــارة المعـــارف أن تمنحهم راتبًا سخيًا ، مائه قرش فى الشهر من الميزانية المخصصة من نظارة الأوقاف لدار الكتب .

كـــان هذا المبلغ أكبر مكافأة تمنح لأي طالب فى المدارس الحكومية فى ذلك الـــوقت ، كما تلقى الطلبة وعدًا بوظائف بمرتبات مناسبة بعد استكمال مناهجهم الدراسية .

بمجـــرد صـــدور الأمر الخديوي بإنشاء **دار العلوم** ، أعلن عن المشروع فى الوقائع المصرية واشترط فى الطلبة المتقدمين أن يحفظوا القرآن الكريم كاملا ، وألفـــية ابـــن مالك ، وبلغوا فى النحو مستوى يسمح لهم بفهم شروح ابن عقيل. وكـــان المنتظر ممن أرادوا الالتحاق بالقسم التركي أن يكونوا على دراية باللغة التركية ، إلى جانب القدرة على التحدث باللغة العربية وفهمها .

وكـــان مقـــررًا أن يمضى الطلاب ما بين سبع ساعات إلى ثمانية يوميًا فى الاســـتماع إلـــى أربع محاضرات ، اثنتان فى الصباح وأخريان فى المساء (75) . ومع أنه لم يذكر صراحة فى مشروع علي مبارك ، أو في الأمر الخديوي نوعية المتقدمـــين ، كان جليًا أن طلبة الأزهر وحدهم المؤهلون للالتحاق بدار العلوم ، رغـــم أن **علي مبارك** يذكر فى خططه أن نيته كانت إعداد الأزهريين ممن هم علـــى درايـــة بالمواد المقدمة فى الكتاتيب ، وفى مواد تسمح لهم أن يعملوا فى المكاتب العامة الحكومية الحديثة مدرسين معتمدين .

---

(75) **تقويم النيل** ٢ ، ج٣ ص١٠١٦ – ١٠١٧، وتاريخ التعليم في مصر ص٢٦ – ٢٧ .

أدى نــشر الإعلان إلى تقدم عدد كبير من الطلاب إلى الامتحان ، وتكونت لجــنة خاصـــة لفحــص الطلبات ، من : وكيل ديوان المكاتب العامة ، وحسين المرصـــفي ، وقد سجلت أسماء الطلبة الذين جازوا الامتحان فى ديوان الأوقاف ليحـــصلوا علـــى رواتـــبهم . ورغم وجود عدد كبير من الطلبة المؤهلين للقسم العربي لم ينجح أحد - فيما يبدو- من المتقدمين للقسم التركي ، ومن ثَمَّ تم افتتاح دار العلوم مدرسة لإعداد مدرسي اللغة العربية.

لم يحدد مشروع علي مبارك ، ولا الأمر الخديوي فترة البرنامج الذي سوف يلـــتحق به الطلاب ، ولكن ككون فى كتابه «مصر كما هي» Egypt as it Es يرى أن فترة التدريس كانت عامين [76] .

ومع ذلك يبدو أن الفترة الزمنية كانت مرنة ، وتعتمد على مستوى كل طالب على حدة ، فبعض الطلبة - مثلا - كانوا يدرِّسون فعلا فى المدارس الابتدائية . ومن بين الطلبة الذين التحقوا بالسنة الأولى بدار العلوم لم يستكمل العام الدراسي التالي سوى طالبين ، والتحقا بوظائف التدريس فى المكاتب العامة [77] .

وأنهـــى عدد كبير من أول اثنين وثلاثين طالبًا دراستهم بحلول عام ١٨٧٩ ، ومـــع ظهـــور أول جدول للسنة الدراسية عام ١٨٧٤ - ١٨٧٥م بدأ أن الطلبة سيتبعون نظام السنوات الخمس .

أمـــا عـــن المـــنهج الفعلـــي قبل عام ١٨٧٤ - ١٨٧٥ فكان على الطلبة أن يحـــضروا المحاضرات العامة التي ظلت تلقى فى المدرج ، إلى جانب ما يلقيه مدرســـوهم (ثلاثـــة مـــن ســـنة ١٨٧٢- ١٨٧٤) ، وقد خص علي مبارك فى

---

(76) تـــاريخ التعلـــيم في مصر، ص٥٨٤. حيث البيان المرسل للجريدة الرسمية في ١١ رجب ١٢٨٩هـــ، ويوجد أيضًا في مدارس عربي، دفتر ٤٥٩، رقم٢ ص١٦.

(77) أشـــير إلـــيها في تاريخ التعليم في مصر ص ٥٨٦، وتقديم دار العلوم ص ١٤-١٧ وص٥٥٦.

مشروعه بالذكر: أن على الطلبة اجتياز المواد الآتية المنتظمة فى فئتين مختلفتين :

- مواد أزهرية : لغة عربية ، وتفسير وحديث وفقه .
- مواد غير أزهرية : حساب وجغرافيا ، وفيزياء ، وتاريخ ، وهندسة ، وخط.

وفى بحر سنتين من إنشاء دار العلوم ، تم اختيار الطلبة فى معظم هذه المواد ، وربما لهذا السبب يغلب على الظن أن مدة المنهج الدراسي كانت عامين قبل سنة ١٨٧٤- ١٨٧٥م .

إذا ألقينا نظرة إلى الوراء على إنشاء دار العلوم في المناخ التعليمي ،وحالة المجتمع المصري في أواخر القرن التاسع عشر يستطيع المرء منا أن يكتشف أنه على حين استهدفت المدرسة تطوير الشيخ المتعلم تعليمًا تقليديًا والذي سوف ينقل الأفكار الحديثة إلى مواطنيه إلا أنها أيضًا شكلت تهديدًا قويًا للأزهر ولقبضته على التعليم الديني ، بجعلها المجتمع عامة يتقبل المواد العامة والحديثة والعملية ، وربما تؤدي الصحوة الجديدة " للعلماء " المتحوّلين إلى تفويض المبادئ الدينية نفسها وليس إلى اتساع التفكير ، وذلك عن طريق انتشار العلمانية secularism ، مع أن من الواضح أن هذا لم يكن من أهداف علي مبارك ، ولا كان يبدو أنه كان مدركًا لهذا الخطر.

* * * *





• فاتحة العدد

الثقافة واللغة والتعليم في مصر الحديثة (١٨٧٢-١٩٢٣)

ودور دار العلوم في تحديثها

للدكتورة لويز آرمين أروين– جامعة ميشتجين

تعريب وتقديم وتعليق: د الطاهر أحمد مكي

الفصل الثاني

التنظيم والإدارة

• مقدمة:

كما يحدث لمعظم معاهد التعليم مرت دار العلوم في تجربتها بتطورات مختلفة، متأثرة في ذلك بالأحداث والقضايا التي عاصرتها، ومع ذلك ظل هدفها الأول، وهو إعداد مدرسي اللغة العربية للمدارس الحكومية، ثابتاً لا يتزحزح، غير أن طرق الوصول إليه تنوعت، وفقاً للظروف المحيطة

بها، فخضعت لتطورات منهجية سوف نناقشها فيما بعد، في الفصل الخامس؛ وهذه التطورات تعكس إجمالا تحولات في السياسة التعليمية العامة في مصر، إلى تغييرات في السياسات الخاصة بدار العلوم، فأُلحقت في بعض عقود القرن التاسع عشر، كما سنرى فيما بعد، بمعاهد أخرى تعليمية عالية، وعادة كان هذا التغيير الجديد تعبيراً عن واقع اقتضى هذا الإلحاق. وعبره نصف الخمسين عاماً الأولى من إنشائها، على الأقل، عرفت دار العلوم باسم آخر، ولم يرجع لها اسمها الأول بشكل نهائي إلا في عام ١٩٢٠.

عكست إدارة دار العلوم التغييرات الجوهرية التي حدثت في مصر ما بين عامي ١٨٧٢و١٩٢٣، وأبرز هذه التغيرات تنامي البيروقراطية، وتفتيت النظام التعليمي إلى أجزاء مستقلة خلال فترة الاحتلال البريطاني. واقتضت البيروقراطية أن تنشر نظارة المعارف العمومية قوانين رسمية يعاد كتابتها كل عام تقريباً من أجل قيادة كل معهد تعليمي، وكانت أول مجموعة من القوانين تسمى القوانين الأساسية [1] لدار العلوم، وصدرت في ٢٥ أبريل ١٨٨٧م وقد تم تنظيم المدرسة

---

[1] سوف استشهد بوثائق نظارة المعارف العمومية وفقاً لعنوان الوثيقة وتاريخها ورقمها، متى كان ذلك مناسباً، ورقم الصفحة عند الضرورة، وأي تفاصيل أخرى تميز الوثيقة، وكانت نسخ القوانين العربية المتصلة بدار العلوم متوفرة في معظم الأحوال، ومع ذلك وجدت نسخاً لبعض القوانين أيضاً باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، وكان لوجود تلك القوانين في أكثر من لغة أحيانا، أعظم الأثر في تحديد الاستخدام الرسمي للمصطلحات الواردة في الوثائق التي لا تتوفر إلا في لغة واحدة، وسيتم الاستشهاد بنصوص من تلك اللغة ما لم أشر إلى غير ذلك، وقد استخدمت قوانين دار العلوم

قبل هذا التاريخ بقرار مؤقت بناء على توصية المجلس الأعلى للتعليم أو لجنة خاصة [٢]، وتستخدم هذه الدراسة النسخ الرسمية للقوانين واللوائح المنظمة للمدرسة بين عامي١٨٨٧ و ١٩٢٥، وتظهر هذه الوثائق مدى الجهد الذي بذلته نظارة المعارف العمومية في تنظيم دار العلوم. وبينما سنت لجان الوزارة قوانين دار العلوم حققت هذه المدرسة قدراً من الاستقلالية، وتمتع ناظرها الذي تعينه الوزارة بسلطة واسعة جداً على مدرسي المدرسة وطلبتها، وقد سبق لكل النظار أن درسوا في مدارس مصر العامة، وبالمناسبة ودرسوا في دار العلوم أيضاً، إضافة إلى مهامهم الإدارية. ولأنهم مدرسون،

الواردة في هذا الفصل، وسوف أستشهد بها فيما يلي بصرف النظر عن اللغة التي كتبت فيها، مثل: قوانين دار العلوم، السنة، رقم المقالة، وأى تفاصيل أخرى ضرورية: قانون مدرسة دار العلوم (فرنسي وعربي)، في ٢٥ إبريل ١٨٨٧، وقانون مدرسة قسم المعلمين العربي، في ١٧ يولية ١٨٩٥، وقوانين مدرسة الناصرية في ١٥ يولية ١٨٩٦، وقانون المدرسة العادية العربي، ٥ سبتمبر ١٨٩٠، وهو باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية، وقوانين مدرسة الناصرية ١٣ سبتمبر ١٨٩٩، وقانون وبروجرام مدرسة المعلمين الناصرية ١١ يولية ١٩٠٣، وقانون وبروجرام مدرسة المعلمين الناصرية ١٥ أغسطس ١٩٠٦، والقرار الوزاري ٢٢١٦ بضم القوانين المؤقتة للمدرسة الإعدادية (التجهيزية) لمدرسة دار العلوم، ٧ أكتوبر ١٩٢٠، وهو باللغتين العربية والفرنسية، قرار وزاري رقم ٢٢٨٢ باللغة الفرنسية، قرار وزاري رقم ٢٦١٥ بإلغاء المدرسة التجهيزية الملحقة بدار العلوم في فبراير ١٩٢٥. أقسام البروجرام سيتم الاستشهاد بها فيما بعد، باسم برامج ملحقة، بالسنة ورقم الصفحة.

[٢] ويعرف أيضاً باسم: مجلس المعارف، والمجلس الأعلى للمعارف العمومية، ومجلس المعارف العمومية، والمجلس الأعلى للتعليم وسوف تستخدم هذه المسميات بالتبادل.

وفي الوقت نفسه إداريون ذوو كفاءة عالية، كان في استطاعتهم — عادة – أن يقيموا علاقات عمل جيدة مع هيئة التدريس والإدارة في دار العلوم، ومع كل هذا كانت مسؤوليةالناظر الأولى تكون أمام الوزارة، وفي زمن سابق لهذه الفترة فإن مسؤوليته إدارية أكثر منها أكاديمية، ورغم أننا نعرف أسماء كل هؤلاء النظار وتواريخ تعيينهم إلا أن المعلومات الخاصة بسيرهم الذاتية متفاوتة، وفي حالات النظار المعروفين فقط، كان من السهل أن نتصور الدور الذي قاموا به في وضع سياسة دار العلوم.

وبينما كان النظار مسؤلين أمام الوزارة، كان للتغييرات المتكررة في منصب ناظر المعارف وناظر دار العلوم تأثير في المدرسة على التعليم والإدارة معا، فعلى حين تولي إدارة دار العلوم ثلاثة أشخاص فقط فى الفترة ما بين عام ١٨٧٢، وبداية العام الدراسي (١٨٨٢–١٨٨٣)، تقلد أحد عشر شخصاً منصب (ناظر) المعارف، في ثلاثة عشر نعبيرا خلال الفترة الزمنية نفسها، وهو ما يعكس حالة من عدم الاستقرار السياسي التي سادت السنوات الأخيرة من حكم إسماعيل، والبدايات العاصفة لحكم الخديوي توفيق (١٨٧٩–١٨٨٢). وبعد الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢ لم يحدث سوى واحد وعشرين تغييراً وزارياً، وعشرة تغييرات في نظار وزارة المعارف في فترة الإحدى وأربعين سنة التي تلته، وواحد فقط من نظار دار العلوم،هو أمين سامي باشا الذي عمل أكثر من سبع عشرة سنة تقريباً.

كيف كانت طبيعة العلاقة إذن بين الحكومة والمدرسة ؟

أدت التغييرات المتكررة لناظر المعارف إلى اعتماد الوزارة على مجموعة من البيروقراطيين المصريين من ذوى الخبرات الطويلة في التعليم ممن عملوا مستشارين سياسيين، وأحد هؤلاء البيروقراطيين كان يعقوب أرتين باشا [٣]، ومع أنه لم يعمل ناظراً للمعارف، إلا أنه كان وكيلا للنظارة من أبريل ١٨٨٤ إلى سبتمبر ١٨٨٨، ومن مايو ١٨٩١ إلى نوفمبر ١٩٠٦، وأدى اهتمامه بإعداد المدرس إلى تقديمه بعض الاقتراحات التي تخص دار العلوم وخريجيها. ويحدث أحياناً أن يكون لناظر المعارف أيضاً بعض الأفكار الخاصة بالتعليم في دار العلوم، فيستغل فترة تواجده القصيرة في المنصب ليجري بعض التغييرات الجوهرية، والمثل الأوضح لهذا الشخص علي مبارك منشىء دار العلوم، وكان ناظراً للمعارف في الفترة من يونيه ١٨٨٨ إلى مايو ١٨٩١ [٤]، وكان مسؤلا عن إيجاد قسم خاص داخل دار العلوم للإعداد للمهن القانونية، كما افتتح قسماً آخراً أيضاً لإعداد مدرسي الكتاتيب، ولم تكتب لأي من هذين التجديدين الحياة لأكثر من سبع سنوات، على الرغم من وجود عدة أسباب لهذه الإضافات، وسوف نتناولها فيما يلي، إن أحد هذه الأسباب الرئيسية –فيما أرى– نقص الولاء والانتماء لهذه المشروعات عند خلفاء علي مبارك ومشكلة الاستمرارية والانتماء من الأسباب التي جعلت – ربما – معظم نظار المعارف لا يفكرون في مشروعات تتصل بالمعاهد التعليمية.

---

[٣] لم يقترن اسمه بأي عمل مميز، وهو أرمني وسوف أذكر عنه المزيد في الفصل السادس.

[٤] ديكسترا ص (٦٢٦– ٦٢٨).

لقد استطاعت السياسة التعليمية العامة للنظار المتميزين بالطبع، أن تؤثر فعلا في التعليم في دار العلوم، حتى لو لم تشغل هذه المدرسة المكان الأول من اهتمام الوزير، والمثل الواضح لهذا محاولة سعد زغلول التوسع في إعداد المدرسين، وهو اتجاه أدى إلى تضخم الهيكل الطلابي في دار العلوم.

وبينما كانت الوزارة مسؤولة عن السياسة التعليمية العامة، وعن إصدار القوانين لكل مدرسة، كان الناظر مستقلاً تماماً فيما يتصل بالأعمال اليومية المتصلة بإدارة المدرسة، كما يستطيع أن يقيم علاقة متناغمة مع موظفي الوزارة وعلى الرغم من هذا كله، فإن هذه العلاقة تعقدت أثناء الاحتلال البريطاني (١٨٢٢-١٩٢٢) لأن المواطنين البريطانيين شغلوا مناصب كبيرة في نظارة المعارف العمومية، وفي نطاق هذه الظروف المحبطة كان من المتوقع أن يعمل الناظر مع المستشارين البريطانيين بنفس كفاءة عمله مع نظار المعارف المصريين.

وكان دوجلاس دنلوب أبرز هؤلاء الموظفين البريطانيين، من أبناء الاستعمار، الذين كانو يعملون في نظارة المعارف [٥]. وقد خفضت درجة إبراهيم مصطفى أحد نظار دار العلوم الأوائل إلى وظيفة مدرس فقط، لأنه درج على نقد دنلوب، ويعقوب أرتين [٦]. وهذا الضيق البريطاني بنقد الإداريين المصريين، دفع بكثير من المخالفين منهم، إلى تجنب العمل في الحكومة. لقد رفض

---

[٥] انظر الفصل السادس فيما بعد.

[٦] انظر كنزي، ص (٢٧٨-٢٧٩). والمناقشة التي سوف ترد فيما بعد في هذا الفصل.

المجددون قبول دور التابع ثم تشجعوا فأصبحوا معارضين للحكومة، وكان خريجو دار العلوم الذين عملوا مدرسين مخلصين، ثم تركوا التدريس والعمل في الحكومة، ليشغلوا مناصب في الصحافة والسياسة، وفي أماكن أخرى تتبع القطاع الخاص، من أشرس نقاد المؤسسة التعليمية والاستعمار البريطاني، واستطاعوا –رغم قلة عددهم– أن يكونو تياراً متميزاً من خريجي دار العلوم، بين عامي (١٨٧٣–١٩٢٢) أما معظم الخريجين، وكذلك هيئة التدريس في دار العلوم والإداريين فرضوا بالواقع، وكيفوا أنفسهم على التعامل مع النظام القائم.

- **الموقع:**

كان إنشاء دار العلوم لإعداد شيوخ الأزهر للتدريس، لذا صور – عادة – على أنه جزء من نظام التعليم التقليدي، لكني انتهيت إلى أن هذا السبب لم يكن غاية منشىء دار العلوم، ولا كان هذا الغرض من إنشائها، وفي سياق المناقشة هنا، من المهم جداً أن نلحظ أن دار العلوم والأزهر لم يكونا متجاورين موقعاً. والحق أن مكانة دار العلوم البالغة القوة في النظام المدرسي، عززتها ثلاث حقائق جغرافية:

١– بعد موقعها عن الأزهر.

٢– قربها الشديد من مدارس حكومية أخرى.

٣– انتقالها اللاحق إلى مكان جديد غربي القاهرة مع مدارس حكومية عامة أخرى، وهذا وضعها أخيراً في حرمها الحالي كلية جامعية في قلب منطقة "ديوان" القاهرة.

عند إنشاء دار العلوم كانت جزءاً من سلسلة مدارس ووزارات حكومية في مجمع قصر درب الجماميز، وفي عجالة، تلك المنطقة التي تحيط بها بركة الفيل السابقة من الشمال والشرق والجنوب، وبشارع درب الجماميز الذي كان يتجه شرقاً ومواز للخليج المصري القديم تماماً، وأثناء الفترة المملوكية بنى الأمراء قصورهم على طول شاطىء البركة، وحتى في أيام الخديوي إسماعيل لم تكن المنطقة كثيفة السكان، وتم ردم جزء من البركة وغرس بالحدائق والبساتين، ولم يحدث هذا إلا في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، وفي أحد القصور، ربما كان قصر محمود كخيا بك، كانت تقع كل من دار العلوم ودار الكتب المصرية وعدة معاهد ومدارس، وهى موجودة في الموقع نفسه حتى اليوم [٧]. أما القصر الآخر، وهو قصر السيدة هبات هانم برهان، فكان في الركن الشمالي الغربي من درب الجماميز وشغلته فيما بعد مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية [٨].

طول الوقت الذي ظلت فيه دار العلوم بلا منهج رسمي، ولم يقسم الانتظام إلى فصول دراسية، كان موقعها في مدرج دار العلوم في درب الجماميز، ومع بداية أول منهج دراسي في عام

---

[٧] استمدت جانيت أبو لُغد معلوماتها عن ردم البحيرة من إدوارد لين في كتابه "القاهرة منذ خمسين عاماً". إعداد ستانلي لين بول، ص ٧٢-٧٣، وتشير فقط إلى قصر محمود كخيا بالاسم، وربما أصبح القصر نفسه موقعاً للمدرسة الخديوية الثانوية الآن.

[٨] تقويم دار العلوم، ص ١٠١ يظهر موقع المدرسة بالتحديد، وذلك باستخدام خريطة القاهرة الموضحة للآثار المحمدية (بحث عن مصر، القاهرة ١٩٥٠).

(١٨٧٤-١٨٧٥)، انتقلت إلى الجهة الشرقية من أرض القصر، وبقيت فيه حتى عام (١٨٧٩-١٨٨٨)، ثم انتقلت بعد ذلك إلى موقع آخر في القصر نفسه، وظلت فيه بين عامي (١٨٧٢-١٩٠١)، وفي هذا العام الأخير انتقلت إلى مكانها في المنيرة. تلك الفترة هى الوحيدة التي انتقلت فيها المدرسة خارج درب الجماميز، حيث ألحقت بمعهد تعليمي آخر. وفي عام ١٨٨١ أصبحت دار العلوم القسم الأول بكلية إعداد المعلمين المركزية الجديدة، والتي عرفت فيما بعد لكلية التوفيقية للإعداد، والتي تأسست في سبتمبر ١٨٨٠ [٩].

وفي عام ١٨٨٢ انتقل هذا القسم الجديد إلى موقع المدرسة في قصر علي بُعد صفين قصيرين من البيوت المتلاحقة شرقي حدائق الأزبكية، شمال العتبة الخضراء قليلا [١٠]، وفي عام (١٨٨٣-١٨٨٤) استرجعت دار العلوم اسمها السابق ووظيفتها، وعادت أيضاً إلى درب الجماميز.

وفي العام الدراسي (١٨٩٦-١٨٧٩)، أُلحقت دار العلوم بمدرسة المبتديان الناصرية، وهى مدرسة ابتدائية حكومية نموذجية، تحت إدارة أمين سامي إذا ذاك، وانتقلت دار العلوم إلى مبنى هذه

---

[٩] المصدر نفسه.

[١٠] يشير إليه تقويم دار العلوم ص ١٠١، على أنه المبنى الذي شغلته المحاكم الأهلية بعد عام ١٩٢٧، وتسميه خريطة "الآثار المحمدية" موقع المحكمة المستعجلة، وكانت المدرسة التوفيقية قد انتقلت خلال وقت قصير إلى مكانها الحالي في شبرا، وضم إليها في ذلك الوقت قسم إعداد المدرسين.

المدرسة في موقعها القديم في حي الناصرية، وشغلت جزءاً منه [١١] وكان هذا المبنى، والذي شغلته مدرسةُ السنية فيما بعد، على بُعد متساو من الموقع القديم في درب الجماميز، والموقع المستقبلي في المنيرة، والتي أصبحت في مطلع القرن العشرين موقعاً حديثاً، مأهولا بالسكان، على نحو متفرق.

تمثل هذه التغيرات في موقع دار العلوم، وتشرح في الوقت نفسه، التحرك التدريجي للوزارات والمؤسسات التعليمية الحكومية الجديدة، نحو المناطق النامية حديثاً في اتجاه نحو غرب قاهرة العصور الوسطى وجنوبها، وهو يعزز في أذهاننا فكرة اقتران دار العلوم مبكراً بالتيارات الحديثة في المجتمع المصري وفي التعليم. أما اليوم فأصبح كل من درب الجماميز والأزبكية والناصرية جزءاً مما أسمته جانيت أبو لُغد، مستخدمة اصطلاحاً ديموغرافيا "المنطقة الانتقالية"، على حين يقع الحرم الجامعي الجديد في المنيرة، وعمره الآن (زمن زيارة الباحثة) سبعة وسبعون عاماً، في المنطقة التي تقع على الحافة الداخلية للساحل الذهبي للقاهرة، الذي يضم معظم الوزارات الحكومية، والكثير من مواطني القاهرة الأغنياء والأكثر ثقافة، بالإضافة إلى كثير من الأجانب الذين يقطنون فيه، وتفصل المنطقة

---

[١١] عرفت هذه المدرسة في البدء باسم مدرسة المبتديان ثم أطلق هذا الاسم – فيما بعد — على مدارس التعليم الابتدائي بعامة، وسميت هى "مدرسة الناصرية" وبعد انتقالها إلى المنيرة أصحبت مدرسة المنيرة، وقد أدار أمين سامي باشا هذه المدرسة لأكثر من أربعة وعشرين عاماً، وتزامنت انتقالات دار العلوم نحو الجهة الغربية مع زمن مد خطوط الترام من مناطق القاهرة الشمالية إلى أجزاء المدينة الجديدة، حيث كان موقعها.

الانتقالية هذا الحي الغني، عن الأحياء الأخرى الفقيرة، تلك الأحياء المثقلة بالسكان، قبل برامج الخديوي إسماعيل التوسعية (١٢).

ظلت دار العلوم في المنيرة، ابتداء من أكتوبر ١٩٠١ باستثناء سنوات الحرب العالمية الأولى، حيث احتل الجيش البريطانى مبناها، وانتقلت هى إلى قصر في السيوفية، وانتقلت مدرسة المبتديان في الوقت نفسه إلى مبان في شارع المبتديان أمام دار العلوم (١٣).

---

(١٢) جانيت أبو لُغد، ص: ١٨٧، ٤٠٢، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢١٠.

(١٣) يقع الحرم الجامعي لدار العلوم غرب سكة حديد حلوان مباشرة، وهو القطار الذي يسير بين حلوان وباب اللوق، جنوب المبنى الذى يضم وزارة التربية والتعليم ووزارات وهيئات حكومية أخرى وشماليها يقع المعهد الفرنسي للآثار d.Institut francois arche logie

- أصاب هذا الوصف الذي كتبته الباحثة في أواخر السبعينيات من القرن الماضي شيء من التغيير: انتقلت دار العلوم إلى حرم جامعة القاهرة في الجيزة في مبنى جديد خاص بها عام ١٩٧٨. وقررت جامعة القاهرة بيع موقعها في المنيرة وهى قلب العاصمة إلى المستثمرين، وأعلنت عن ذلك في الصحف، فثار الرأي العام المثقف على هذا الاتجاه وعارضه بشدة، وكان على رأس هؤلاء الوزير السياسي اليساري المثقف الدكتور إسماعيل صبري عبد الله الذي دعا إلى تحويل المكان إلى حديقة عامة تحمل اسم "دار العلوم" تقديراً لدورها الثقافي المجيد، وتم ذلك فعلا: قامت الحديقة،في نفس المكان، وحملت اسم "دار العلوم"، وبقى أن تتوسطها مكتبة عامة متخصصة، ليكتمل الرمز والمعنى والرسالة. (المعرب).

ورغم كل التسهيلات التعليمية التي ظلت تتمتع بها دار العلوم إلا أن أول معمل كيمائي حصلت عليه، كان – فيما يبدو – عند التحاقها بمدرسة المبتديان، وبدأت في الوقت نفسه توسع مكتبتها عندما انتقلت إلى حرمها الجامعي، حيث شغلت مبنى يتكون من طابق واحد، به فصول مناسبة للدراسة، و"كافيتريا"، ومكتبة، ومعمل كيمائى، وغرفة للفيزيقا، بالإضافة إلى غرفة جانبية للصلاة، وخلال ثلاث سنوات قررت وزارة المعارف أن تضيف إليه طابقاً ثانياً، يضم فصولا إضافية، وغرفة لموظفي المدرسة ومدرجاً للدراسات العامة، وزادت هذه الإضافات مرة أخرى عندما ضمت دار العلوم القسم الإعدادي إليها في عام ١٩٢٠، ثم استكملت هذه الإضافات عام ١٩٢٤، وفي الأعوام التالية تم إضافة عدد من السلالم الخارجية والأرصفة لاستكمال مباني المدرسة.

- **التمويل:**

عند إنشاء دار العلوم أدرجت بين المدارس الأهلية، وتلقت التمويل الخاص بها من الأوقاف، وتميزت دار العلوم بصفة "الأهلية" من بين المدارس العليا الحكومية الأخرى، التي توصف بأنها أميرية، وتمول من ميزانية الحكومة المعتادة [١٤]، وهذه التعددية في التمويل تمثل لونا من اللامركزية في التعليم المصري قبل الاحتلال البريطاني. ويعكس عدم تمويل دار العلوم بخاصة من ميزانية الدولة حالة

---

[١٤] أوضح ستيبان في كتابه ص (٢٩١-٢٩٣) أن كل المدارس التي لا تعتمد على ميزانية الدولة في عصر إسماعيل كان يطلق عليها المكاتب الأهلية وأن هذه المدارس التي تقوم الحكومة بتمويلها قليلة جداً، وكانت هناك أوقات كثيرة تحت رقابة الحكومة مباشرة، تمكنها من استخدام مواردها في الإنفاق على مدارسيها.

الفوضى المالية في السنوات الأخيرة من حكم إسماعيل، قبل فرض الرقابة الثنائية (١٨٦٧-١٨٨٢)، التي وضعت الميزانية المصرية تحت إدارة مراقبين أجنبيين. وأثناء الرقابة الثنائية، وبعد تقرير لجنة ١٨٨٠ بخاصة، انتقلت دار العلوم إلى الفئة الأميرية وظلت فيها، وأصبحت تمول من ميزانية التعليم السنوية.

لم تتوفر لي معرفة الميزانيات السنوية الخاصة بدار العلوم في معظم السنوات المذكورة في هذه الدراسة، ومع ذلك توفرت لي بعض اللمحات عن هذا التمويل من خلال ميزانية نظارة المعارف لعام ١٨٨٩، وخاصة بالنسبة للمدارس الحكومية الأخرى [١٥]، وكانت دار العلوم في عام ١٨٩٠ إحدى سبع مدارس عليا هى الطب والصيدلية والحقوق (الإدارة) وكلية التوفيقية لإعداد المعلمين، والكلية الخديوية لإعداد المعلم والمهندسخانة والزراعة [١٦] وكانت مدرسة الطب أكبرها، فهى تضم ١٤٠ طالباً، وتليها دار العلوم، وفيها ٧٦ طالباً، والحقوق ٧٠، والمهندسخانة والزراعة ٤٤ طالباً لكل واحدة منهما، والكلية الخديوية للإعداد بها ٤٣ طالباً، وكلية التوفيقية للإعداد ١٦ طالباً،وكانت الخديوية أكبر مدرسة ثانوية حكومية، وفيها ٤٠٩ طلاب، وتضم أرقام الموازنة الحكومية ميزانيات كل من: قسم إعداد المعلم، والقسم الثانوي في مدرسة الخديوية، وتضمنت ميزانيات التوفيقية ميزانية أقسام الابتدائي والثانوي وإعداد المعلم.

---

[١٥] تقرير ١٨٩٠.

[١٦] التعليم في مصر، جـ٢ ص ١٣-١٤. ويتضمن إحصاءات وقائمة بالأسماء.

وكانت الخديوية تتمتع بأعلى ميزانية مرتبات بين تلك المدارس الحكومية، إذ بلغت جملة مرتباتها ٨٣٦١ جنيهاً، وهى ميزانية لا تعكس فقط أعداد الأسماء المدرجة الكثيرة التي تعمل في أقسام المدرسة مجتمعة ، وإنما تعكس أيضاً المستوى التعليمي العالي، ومدى الاحترام الذي توفره الدولة لهيئة التدريس.

وتأتي في المرتبة الثانية ميزانية مدرسة الطب وتبلغ ٦٨٧٣ جنيهاً، وتليها مدرسة التوفيقية، وتضم ميزانيتها الأقسام الثلاثة التي تضمها، وأما دار العلوم فعلى الرغم من أن ترتيبها الثاني حجماً بين المدارس العليا، كانت ميزانيتها الأقل، فهى ١٨٤٨ جنيها، وعلى حين كانت كل هذه المدارس علمانية، كانت دار العلوم الأقل في هذا الجانب ونصف هيئة التدريس فيها تقريباً تلقوا تعليمهم الديني الأساسي في الأزهر، بدل التعليم العام العالي لمعظم هيئة التدريس في المدارس العليا الأخرى. ولم تثقل دار العلوم بهيئة تدريس أجنبية، والتي كانت في تلك المدارس الأخرى تطلب مرتبات عالية بشكل غير مناسب، وكانت المرتبات تبلغ إجمالا ٥٤,١٥٧ جنيها مصرياً أو ما يساوي ثلثي ميزانيات المدارس الأميرية ونصف إجمالي ميزانية التعليم في عام ١٨٩٠ تقريبا [١٧].

---

[١٧] ملحوظة: عام ١٩١٣ ص ١٩٦- كنزي ص ٥٤١، ويقدم عام ١٨٩٠ ص ١١-١٢ أرقاماً تشبه تلك الأرقام الواردة في المصدرين الأخيرين، ولكنها غير متطابقة. وبارنج إلى سيلسبيري، وزارة الخارجية ٧٢/٤٠٨٨/٧٨ يقرب الأرقام كما يفعل كنزي.

إحدى المشكلات الرئيسية التي تواجهنا عند مناقشة ميزانية المدارس أثناء الاحتلال البريطاني هى أن التعليم كان يشكل بنداً قليل الأهمية، وأهم مصادر تمويله ميزانية الحكومة المخصصة له ورسوم المدارس، وريع الأوقاف والمخ والهيئات الخاصة.

وحتى سنة ١٩٠٤ لم يكن مسموحاً للحكومة المصرية أن تنفق على التعليم أكثر من سبعين ألف جنيه مصري في العام، دون تخصيص أي مبلغ آخر تعزله من المبلغ المخصص لسداد الدين القومي لمواجهة أي زيادة في النفقات [١٨]. وبعد عام ١٩٠٧ أصبحت الحكومة تستولي على الأموال غير الحكومية بموجب إيصالات وتضمها إلى الأموال التي خصصتها لميزانية التعليم، لكي يشكلا معاً ميزانية موحدة له [١٩]. وكانت ميزانية التعليم طول معظم فترة الاحتلال تمثل أقل من ٢% من مصروفات الحكومة السنوية، وخلال السنوات التي أصبح فيها كرومر المعتمد البريطاني في مصر (١٨٨٣-١٩٠٦) هبطت إلى أقل من ١%.

وكان اعتماد دار العلوم في التمويل على المبلغ المقرر لها في الميزانية، وتحدده الوزارة في ضوء ميزانيتها الخاصة، ومن ثم لم يشكل موضوع التمويل بأكمله — في حد ذاته — أي موضوع للجدل.

وعندما تثير دار العلوم موضوع التمويل، فإنما يجرى هذا في مجال التنافس مع المدارس الحكومية الأخرى، وعلى أية حال فإن زيادة للدعم الحكومي للتعليم أصبحت مطلباً مصرياً عاماً.

---

(١٨) كنزي ص/٥٤.

(١٩) المصدر نفسه.

- **النظام والسلوك:**

منذ البدء، صنفت دار العلوم على أنها إحدى المدارس الحكومية العليا،وعند إنشائها لم تكن ثمة مدرسة حكومية عليا أخرى في القاهرة سوى مدرسة االطب. وبين عامي (١٨٧٢-١٩٢٣)، وحتى بعد إنشاء مدارس أخرى مماثلة عديدة ظلت دار العلوم إحدى أكبر المدارس العليا الحكومية والمدرستان الأخريان الوحيدتان اللتان كان بهما قوائم إدراج مشابهة دوماً، وهما مدرستا الطب والحقوق ، لم تنافسا دار العلوم مباشرة في اجتذاب الطلاب، أو حتى في كفاءة التدريب المهني، ومع ذلك كان بعض خريجي دار العلوم يلتحقون بعد التخرج بإحدى هاتين المدرستين للدراسة، ويعملون في المهن الطبية أو القانونية.

وكانت اللوائح التي تنظم دار العلوم تدرج دائماً مستوى المدرسة وأهدافها في المادة ١ أوالمادة ٢، على أن هدف دار العلوم تكوين معلمي المدارس الابتدائية الأهلية والحكومية لتعليم المواد التي يتضمنها البرنامج[٢٠] أي أن خريجيها لا يدرسون اللغة العربية فحسب، وإنما أيضاً كل المواد الموجودة في المنهج الدراسي للمدارس الابتدائية، فيما عدا اللغة التركية والرسم واللغات الأجنبية. وفيما بين عامي (١٨٦٩-١٩٠١)، كان نص المادة ١ كالآتي: "الهدف من مدرسة

[٢٠] قوانين دار العلوم ١٨٨٧ ص٣ وتتحدث النسخة العربية عن المدارس على أنها المكاتب والمدارس الابتدائية.

الناصرية العادية هو إعداد الطلبة ليصبحوا معلمين في المدارس الابتدائية التابعة لنظارة المعارف العمومية، وتعتبر المدرسة إحدى المدارس العليا بالحكومة المصرية" [٢١].

والتعديل الوحيد في النص خلال تلك الفترة الزمنية التي حدث عام ١٨٧٩ وما تلاه، فقد نصت القوانين في المادة الأولى منها على: "أن يكون الطلبة مصريي الجنسية، وأن يعدوا ليكونوا معلمين". وفي عام ١٩٠١ تم تغيير النص، فألغى شرط المدرسة الابتدائية من وتم التركيز على مؤهلات الخريجين في تدريس مواد اللغة العربية، وأصبح: "الغرض من مدرسة المعلمين الناصرية هو تخرج معلمين مصريي الجنسية لتعليم اللغة العربية، وكل ما يدرس بها في المدارس التابعة لنظارة المعارف العمومية، وتعتبر هذه المدرسة من المدارس العليا التابعة لنظارة المعارف العمومية" [٢٢].

وتأتي قوانين (١٩٠٣-١٩٠٦) فتقيد أيضاً خريجي دار العلوم بمهنة تدريس اللغة العربية[٢٣]. على أن القوانين المؤقتة المعمول بها في ما بين (١٩١٣-١٩٢٠) لا تقيد الخريجين بمستوى معين، أو بتدريس مادة معينة: فغاية الناصرية للمعلمين أن تقدم لتلاميذها ما هو ضروري

---

[٢١] قوانين دار العلوم: ١٨٩٥، ١٨٩٦، ١٨٩٧، ١٨٩٨، ١٨٩٩، المادة ١ص٣.

[٢٢] قوانين دار العلوم ١٩٠١، مادة ١ص٩.

[٢٣] قوانين دار العلوم ١٩٠٣، ١٩٠٦ مادة ١ص٧,٥.

معرفياً وتربوياً ليكونو قادرين على التدريس في المدارس المصرية [٢٤] دون أن يركز النص على مهمة دار العلوم في إعداد المعلمين.

إحدى سمات دار العلوم الدائمة تقديم التعليم مجاناً، وحصول الطلبة في أوائل العهد على جنيه مصري واحد راتبا شهريا،وهو أعلى راتب – إذ ذاك – كان يدفع لطالب في أي مدرسة حكومية، ومنذ تحديد هذا المبلغ لم يطرأ عليه تغيير بين عامي (١٩٠٢–١٩٢٠) ومع ذلك أصبح الحصول عليه مرتبطاً بحاجة الطالب الشخصية، ومستوى اجتهاده في الدرس وسلوكه [٢٥].

وهذا الراتب شهري، ويصرف فقط للطلاب الذين يقرر أساتذتهم استحقاقهم له،بتوفر الشروط المطلوبة فيهم، ويقوم الناظر بتسليمه لهم، وأدى هذا بداهة إلى أن الطلبة المحتاجين كانوا يتبعون سلوكاً مستقيمًا على طول الخط[٢٦].

[٢٤] قوانين دار العلوم ١٩٣٠ مادة ١.

[٢٥] بينما تذكر الأرقام القديمة، والأرقام الحديثة المتوفرة، الخاصة بمرتبات دار العلوم مبلغ الجنيه الواحد أو ما يقرب منه تشير إلى أن أي مبلغ يعتبر لازما، يتم صرفه لمستحقيه من الطلاب.

[٢٦] في سنة ١٨٨٧ كانت المرتبات تمنح على أساس سنوي وفقا للمادتين ٣، ٤ من قوانين ١٨٨٧. أما عن قوانين المرتبات من ١٨٩٥ إلى ١٨٩٩، الموضحة في المواد ٢٠، ٢٢، وفي قوانين (١٩٠١، ١٩٠٦)، في المادة ٩، وفي المادة ٩، وفي قانون ١٩١٣ في المادة ٨،فقد ذكرت أن أي طالب يفشل في استكمال المنهج الدراسي، ولا يقوم بالتدريس لمدة معينة بعد التخرج يُلزم بأن يرد الراتب الذي قبضه للحكومة.

وتتضمن القوانين الخاصة بدار العلوم فصولا تنظم الموضوعات السلوكية، فالطلبة ملزمون بحضور كل المحاضرات والدروس. إلا في الحالات المرضية، وإذا تطلب أمر ما إذنا بالغياب كان على الطالب أن يتقدم بطلب إجازة كتابي إلى الناظر. وبموجب قوانين ١٨٨٧ اعتبرت الوساطة، في بادئ الأمر حدثا غير أخلاقي، إلى جانب سوء السلوك، وعدم احترام الأساتذة والغياب المعتمد، والإخفاق والكسل مع إنذارات التنبيه، ثم تم إلغاء الفقرة الخاصة بها من القوانين الخاصة بالسلوك، وأُبقي على المفردات الأخرى فيما يرجح، وفيما بعد ركزت القوانين على الإجراءات الخاصة بالقضايا الأخلاقية بدل التركيز على الموضوعات الأخلاقية نفسها، وأبرز شاهد على هذا أن قانون ١٩٠١ تضمن فقرة تمنع الطلبة في حالة تعرضهم لعقوبة الطرد من الإدلاء بأي معلومات للصحف، أو كتابة رسائل لها، أو مقالات فيها، أو أن يصبحوا وكلاء لها، أو مراسلين[٢٧]. وكانت هذه اللائحة جزءاً من الميثاق الأخلاقي (المادة ٩٠) الخاص بالمدارس المصرية. وعددت اللوائح الكثيرة مستويات مختلفة من التصرفات غير الأخلاقية، وبطريقة مفصلة جدا، فذكرت قوانين (١٩٠١، ١٩٠٣، ١٩٠٦) (المادة ١٣) ستة مستويات من السلوكيات الأخلاقية لتطابق المادة ٨٩ من الميثاق الأخلاقي للمدارس المصرية، أوردتها على النحو التالي:

---

[٢٧] ذلك ما تتضمنه الماده ١٢، ومن الواضح أن هذا الإجراء كان رد فعل ضد النضال السياسي المتزايد ضد الاحتلال البريطاني بعد بداية القرن العشرين.

١- تأنيب رسمي خاص.

٢- تأنيب رسمي عام.

٣- الطرد المؤقت بما لايزيد عن ثمانية أيام.

٤- إلغاء منحة الطالب، كليا أو جزئيا لمدة يقررها الناظر.

٥- الحرمان من أداء الامتحان آخر العام.

٦- الطرد النهائي من الدراسة.

ويستطيع الناظر أن ينفذ العقوبات الثلاث الأولى، وباستطاعة الأساتذة أن يوقعوا العقوبة الأولى والثانية فقط، أما العقوبات الثلاث الأخيرة فتتطلب موافقة نظارة المعارف العمومية، وتوقع بناء على طلب ناظر المدرسة[٢٨].

وثمة أمثال كثيرة، للعقوبات السلوكية التي تمت بين عامي (١٩١١-١٩١٢) توضح لنا كيف كان يتم تنفيذ هذه العقوبات وفقا للمادة ٨٦ من الميثاق الأخلاقي، حيث تم منع خمسة طلاب من أداء أي امتحانات، ومن دخول أي مدارس أخرى تديرها نظارة المعارف العمومية. كما مُنعوا من الالتحاق بأي وظيفة حكومية تعتمد في أساسها على شهادة اثنين موظفين معينين من قبل الحكومة، على أن يكون أحدهما بريطاني والآخر مصري، وكانت تهمتهم أنهم سرقوا أسئلة الامتحان النهائي للعام الدراسي (١٩١٠-١٩١١) في دار العلوم. وفي يناير ١٩١٢ مُنع طالبان

[٢٨] نظارة المعارف العمومية، النشرة العمومية رقم ١١٤٦، في ٢ رجب ١٣٢٩هـ ٢٨ يونية ١٩١١م.

في دار العلوم أيضا من الامتحان النهائي للعام الدراسي (١٩١٠-١٩١١)، وفي عام ١٩١٢ مُنع طالبان بالمدرسة نفسها من دخول أي امتحانات حكومية أخرى لما بدر منهما من سلوك سئ خارج المدرسة، وفقا للمادة ٨٨ من الميثاق الأخلاقي في هذه الحالة، وأخطرت دار العلوم الوزارة بهذه التأديبات(٢٩).

والمثال الثالث يرتبط أيضاً بالمادة نفسها وهى خاصة بسوء السلوك خارج المدرسة، وقد تم طرد هذا الطالب المتهم بهذا من المدرسة ومنع من دخول امتحاناتها النهائية، بناء على خطاب أرسلته دار العلوم إلى النظارة(٣٠)، ولم تذكر طبيعة الإساءة، وكل ما أشير إليه أنها وقعت في الريف.

بالطبع كان سلوك الطلاب أحد المجالات فقط، في المساحة الواسعة التي تغطيها سلطات الناظر المحددة رسمياُ ويمارسها فعلا، أما سلطاته فيما يتصل بالالتحاق بالمدرسة فسوف نناقشها فيما بعد، في الفصل الرابع من هذا البحث. وثمة مجال آخر كان تأثير الناظر فيه كبيرا، وهو تحديد المنهج الدراسي، فباستطاعته أن يقترح على نظارة المعارف العمومية بعض التعديلات، فيتم في ضوئها

---

(٢٩) نظارة المعارف العمومية، النشرة العمومية رقم ١١٧٨، في ١٩ محرم ١٣٣٠ هـ ٩ يناير ١٩١٢م.

(٣٠) نظارة المعارف العمومية، النشرة العمومية، في ذو القعدة ١٣٣٠هـ ٢٧ أكتوبر ١٩١٢م. وكان الطالب الذي تعرض للعقوبة في الفرقة الرابعة، ومن ثم يبدو أن عقوبة الطرد كانت مدمرة له تماماً.

تحديد منهج السنة القادمة، وتضم هذه الجدولة أيضا زيارات يقوم بها الطلبة لمدارس عديدة، من أجل التدريس للتلاميذ[٣١].

وقد تضمن قانون ١٨٨٧ تكليف الناظر بتدريس حصة أسبوعيا في مادة أصول التدريس لطلبة السنتين الأولى والثانية إلا أن هذه الفقرة لم ترد في القوانين اللاحقة[٣٢].

ومع ذلك نص هذا القانون على حقه في اختيار أسئلة الامتحانات من بين الأسئلة المقترحة من الأساتذة لامتحانات نصف العام، كما أعطاه حق الإشراف على لجنة الامتحان[٣٣]، وهى لجنة تُعين للإشراف على الامتحانات وامتحان الدبلوم، وتتكون من أشخاص يختارون خصيصا لهذه المهمة، وليسوا من أعضاء لجان امتحان نصف العام، ويرجح ألا يكونوا من أساتذة دار العلوم.

ورغم كثرة الكلام عن اللوائح الخاصة بالسنة الدراسية، إلا أن تحديدها انحصر في ما تقرره نظارة المعارف العمومية[٣٤]. وكان هذا عكس القوانين المنظمة للأزهر تماما، وهو مستقل عن

---

[٣١] تم إدراجها في كل القوانين ما بين عامي (١٨٨٧-١٩٢٠).

[٣٢] قوانين دار العلوم ١٨٨٧، المادة ٢٠ ص ٨.

[٣٣] Instructions relatives, article 7, p.9 Du Regulation, 1913, aricle 11

قوانين دار العلوم سنة ١٩١٣، ص٩ مادة ١١.

[٣٤] قوانين دار العلوم ١٩١٣، مادة ٩ ص٣.

الوزارة، فقد كانت لوائحه تحدد السنة الدراسية بدقة، متى تبدأ ومتى تنتهي، وأي المناسبات يحتفل بها رسميا فتعطل فيها الدراسة.

لقد رسمت اللوائح العامة للمدارس الحكومية –ربما– إطاراً عاما للتقويم المدرسي الذي يعمل به، أما تواريخ الامتحانات فتضع نظارة المعارف العمومية جداولها، في صورة أوامر وزارية، وتقرر الأوامر المذكورة أن العام الدراسي لدار العلوم، على الأقل بعد عام ١٩٠٠، يبدأ عادة في سبتمبر، بعد امتحانات الالتحاق المتعددة التي تتم في الشهر نفسه، وأما الامتحانات النهائية فتكون في شهر مايو، وقد تجئ في الجدول مبكرة بعض الشئ فتكون في شهر إبريل، أو متأخرة قليلا فتعقد في يونيه، والاستثناء الوحيد في كل التواريخ حدث عام ١٩١٩ حيث لم تجر الامتحانات أثناء الثورة[٣٥]. وامتحانات النقل والدبلوم التي كان يجب أن تتم في تلك السنة، تقرر

---

[٣٥] وثائق نظارة المعارف العمومية العديدة هى كالآتي:

- قرار وزاري رقم ٦٤٠ بتاريخ ٢٢ أبريل ١٩٠١.
- قرار وزاري رقم ٨٧١، في ١٤ يناير ١٩٠٢.
- قرار وزاري رقم ٧٧٤ في ١٧ مارس ١٩٠٤.
- قرار وزاري رقم ٤ في ٢٦ نوفمبر ١٩٠٥.
- النشرة العمومية رقم ١٠٢٢ في مارس ١٩٠٩.
- قرار وزاري رقم ١٦٧٥ في ١٤ نوفمبر ١٩١٢.
- قرار وزاري رقم ١٨١١ في ٢٢ مارس ١٩١٤.

أن تكون في يناير ١٩٢٠، ولا يتضح من الوثائق ما إذا كان قد تم عقد امتحانين أم ماذا حدث. أما بعض المدارس الحكومية الأخرى فقد أجرت الامتحانات، وفقا للجدول المقرر، ولكنها أخرته عن موعده كأن تجري الامتحانات في شهر يولية مثلا: وعلى أية حال يبدو لنا جلياً أن نظارة المعارف وليس ناظر دار العلوم، هى التي تحدد جدول امتحان الدار، ويتم ذلك على أساس سنوي.

الملاحظة الأخيرة عن تنظيم دار العلوم وإدارتها يتعلق بتعدد الأسماء، وتعدد ارتباطها بالمدارس الأخرى في الفترة ما بين (١٨٧٢-١٩٣٢)، وتشير الوثائق الأولى إلى أن اسمها كان "مدرسة الخوجات" بدار العلوم، أو مدرسة الخوجات بدار العلوم الخديوية[٣٦]. وفي عام ١٨٨١ أصبح اسمها لفترة مؤقتة دار العلوم، القسم الأول لكلية المعلمين المركزية[٣٧] إلا أنها استردت اسمها القديم وهويتها المميزة بعد عامين[٣٨].

- قرار وزاري رقم ١٨١٢ في ٢٢ مارس ١٩١٤.
- قرار وزاري رقم ٢١٢٥ في ١٧ سبتمبر ١٩١٩.
- النشرة العمومية رقم ١٧٦٠ في ٢٥ فبراير ١٩٢٠.
- قرار وزاري رقم ٢٢٢٥ في ٧ نوفمبر ١٩٢٠.

[٣٦] نتيجة عام ١٨٧٥، ص١١، ٣٤٥.

[٣٧] تقويم دار العلوم ص٢٠، التعليم في مصر في سنتي (١٩١٢، ١٩١٥)، ص٤٩.

[٣٨] تقويم دار العلوم، ص٢٠.

وفي سنة ١٨٨٥ تحولت مدرسة الألسن إلى "قلم الترجمة" وضمت إلى دار العلوم، وصار تعلم إحدى اللغتين: الفرنسية والإنجليزية مباحا للطلبة حسب رغبتهم[٣٩]. ومع ذلك، سرعان ما ضم قلم الترجمة هذا إلى كلية التدريب الخديوية عام ١٨٨٩. وبين عامي (١٨٩٥-١٩٠٠)- ألحقت دار العلوم بمدرسة المبتديان وعرفت باسم "قسم المعلمين العربي"[٤٠]. وفي عام ١٩٠٠ غير اسم مدرسة المبتديان، لتصبح مدرسة الناصرية[٤١]. وأخيرا في عام ١٩٠٠ تغير اسم دار العلوم، ليصبح "مدرسة المعلمين الناصرية"[٤٢]. ولم تسترد المدرسة اسم دار العلوم نهائيا إلا في أواخر عام ١٩٢٠[٤٣].

---

[٣٩] المصدر نفسه، ص٢١-٢٢.

[٤٠] المصدر نفسه، ص٢٨، التعليم في مصر في سنتي (١٩١٤-١٩١٥)، ص٤٦، ٤٧، كنزي، ص٣٠٢، ص٥٥٢.

[٤١] نظارة المعارف العمومية، المنشور رقم ٤٣٨، في ١٥ يولية ١٨٩٧.

[٤٢] نظارة المعارف العمومية، المنشور رقم ٦١٥، في ٢٩ أغسطس ١٩٠٠.

[٤٣] الدليل على أن اسم دار العلوم لم ينس، واستخدم الاسم نفسه في الوثائق التالية لوزارة الخارجية البريطانية: النبى إلى كورزن في مايو ١٩١٩، وزارة الخارجية ٢٣٦/٨٤٥٤٠/٣٧١٧/٣٧١: تقرير المخابرات رقم M /ME/ ١٤٨٢٧٠ ، ١٤ أكتوبر ١٩١٩، وزارة الخارجية ١٤٨٢٧/٣٧٢/٣٧١. أما عن الوثائق التي استعادت اسم دار العلوم فانظر/ وزارة المعارف العمومية، القرارات الوزارية رقم ٢٢١٤، ٢٢١٥، ٢٢١٦ التي صدرت في جريدة الوقائع المصرية العدد رقم٩٠ في ٢٥ أكتوبر ١٩٢٠.

- **نظارة دار العلوم:**

كان ناظر دار العلوم يدير المدرسة، ويعد منصبه من أعلى االمناصب التي يشغلها مصريون في نظارة المعارف العمومية، ومن ثم من الضروري جداً أن ندرس مؤهلات هؤلاء الرجال الذين شغلوا هذا المنصب بين عامي (١٨٧٢-١٩٢٣م)[٤٤] (انظر الجدول رقم٢)، ونلاحظ أن أمين سامي باشا هو الوحيد الذي تقلد النظارة لمدة طويلة جدا، بلغت ستة عشر عاما ونصف العام، وعمل ناظران آخران هما: حامد نيازي، وعبد الرحيم أحمد مدة خمس سنوات فأكثر، وأقصر مدة تولاها ناظر كانت لكل من:علي فهمي، وعبد الرازق عنايت، فقد شغل كل واحد منهما المنصب لمدة سبعة شهور فقط.

جدول رقم ٢

نظار دار العلوم (١٨٧٢-١٩٢٣)[٤٥]

حامد نيازي أفندي	سبتمبر ١٨٧٢- أبريل ١٨٧٤
	أبريل ١٨٧٤- مارس ١٨٧٦
محمود فوزي بك	مارس ١٨٧٦- نوفمبر ١٨٧٨

[٤٤] باستثناء علي حسن المصري وعبد الرازق عنايت، فقد كانت المعلومات قليلة عن سيرتهم، وغير محددة.

[٤٥] تقويم دار العلوم ص ١٣٨-١٤١.

علي فهمي رفاعة بك	نوفمبر ١٨٧٨- ٨ يونيه ١٨٧٩
* [بلا ناظر] لمدة شهر ونصف	نوفمبر ١٨٧٨- يوليه ١٨٧٩
حامد نيازي أفندي	٢٣ يوليو ١٨٧٩- سبتمبر ١٨٨٢
* [بلا ناظر] لمدة شهر	
علي شعبان بك	نوفمبر ١٨٨٢-٣١ أكتوبر ١٨٨٦
أحمد نظيم[٤٦]	نوفمبر ١٨٨٦- ديسمبر ١٨٨٦
أحمد نظيم بك (للمرة الثانية)	يناير ١٨٨٧- ٣١ أكتوبر ١٨٨٩
عبد الرازق عنايت أفندي	نوفمبر ١٨٨٩- ١٨ يونيو ١٨٩٠
إبراهيم مصطفى بك	١٩ يونية ١٨٩٠- فبراير ١٨٩٥
أمين سامي باشا	مارس ١٨٩٥- سبتمبر ١٩١١
إسماعيل حسنين باشا[٤٧]	سبتمبر- أكتوبر ١٩١١
عبد الرحيم أحمد بك	نوفمبر ١٩١١- ١٨ نوفمبر ١٩١٦
محمد شريف سالم بك	نوفمبر ١٩١٦- أغسطس ١٩١٩

[٤٦] عمل مفتشا في نظارة المعارف، قبل تعيينه رسميًا، ناظرا لدار العلوم.

[٤٧] كان في هذا الوقت ناظرًا لكلية إعداد المعلم السلطانية (الخديوية السابقة).

علي الحسني المصري بك	سبتمبر ١٩١٩– ٧ سبتمبر ١٩٢٠
* [بلا ناظر] (لأقل من شهر)	٧ سبتمبر ١٩٢٠–٢٠ سبتمبر ١٩٢٠
علي عمر بك	أكتوبر ١٩٢٠– ديسمبر ١٩٢٢
محمد السيد	يناير ١٩٢٣–أغسطس ١٩٢٧

في ضوء المعلومات التي توفرها السير الذاتية لهؤلاء النظار يمكن الوصول إلى العديد من الصفات المشتركة التي تجمع بينهم بعامة مرتبة على النحو التالي:كان النظار عادة مدرسين وإداريين من ذوي الخبرة في نظام المدرسة العامة، وفي الحكومة إجمالا، وخمسة منهم على الأقل درسوا في الخارج، وكان اثنان من خريجي دار العلوم، ونحو نصف النظار من المتخصصين في الرياضيات أو العلوم، واثنان فقط فيما يبدو، سبق لهما الدراسة في الأزهر لمدة غير محددة، ثم تخرجا بعد ذلك في دار العلوم، وكانت أوراق اعتمادها الأشد تنوعاً، والأكثر تأثيراً، من بين الجميع. ولم يسبق لأي من خريجي دار العلوم أن درس في الأزهر، ما عدا عبد الرحيم أحمد الذي كان الأنسب –على الأرجح– في شغل هذه الوظيفة[٤٨] ومن خلال الحكم على هؤلاء النظار في ضوء مؤهلاتهم التعليمية والمناصب الأخرى التي تقلدوها يبدو لنا أن اختيارهم نظاراً تم وفق المعايير التالية:

- التعليم العلماني
- الخبرة في التدريس

[٤٨] قضى عشر سنوات في الأزهر، وربما حصل على شهادة أو أكثر من شهاداته.

- الخبرة الإدارية

- العلاقات الشخصية

ولكن في فترة ما بعد أمين سامي باشا، زيد عامل الخبرة المباشرة بدار العلوم، في اختيار نظارها.

كانت قلة المصريين المؤهلين نسبياً ويرغبون في شغل هذا المنصب إحدى المشكلات التي تلعب دوراً في هذا الاختبار وبما أن دار العلوم تدخل في نطاق التعليم المدرسي العام الذي يتبع الدولة، تطلب الأمر في ناظرها أن يكون شخصية ذات خلفية تعليمية علمانية قوية، ومناسبة من الوجهة الإدارية أيضاً، وكانت الخبرة بالتعليم الابتدائي تدريساً، أو تفتيشاً على مدارسه أو إدارة لها، من العوامل المساعدة، في العمل بمدرسة تعد في الأصل مدرسي المرحلة الابتدائية أساساً. وقبل مطلع القرن العشرين عندما غيرت دار العلوم بتركيزها على تخريج مدرسين متميزين للمدارس الابتدائية، إلى إعداد مدرسي اللغة العربية في كل المدارس، كان التأهيل للتدريس في الابتدائي أهم من تعليم اللغة العربية عامة، لأن فرص الترقي في نظارة المعارف العمومية خلال فترة الاحتلال البريطاني أصبحت نادرة، ومن ثم فضل رجال التعليم المدني العام الخالص البحث عن عمل مناسب لهم في أمكنة أخرى[٤٩].

---

[٤٩] يقول كنزي في صفحة ٢٩٥ خاصة: "ماعدا مهنة مفتش الكتاب التي قبلت مدرسين من شيوخ الأزهر بعد سنة ١٩٠٠، وبعد التعيينات الإدارية القليلة، التي أسندت للمدرسين الذين تدربوا في انجلترا، لم تكن ثمة فرص مشجعة

أما عن المؤهلين في اللغة العربية فالمصدر الأول لهم الدارسون من حملة هذه المؤهلات وأيضاً الذين لديهم شهادات معتمدة من التعليم العام المناسب، وهم مجموعة المتخصصين من خريجي دار العلوم نفسها، الذين حصلوا على شئ من التعليم العام، إلى جانب خبرتهم في دار العلوم، وإلى جانب بعض خبرتهم الإدارية، وبما أن الحصول على تعليم وخبرة إضافية لا يتم بين ليلة وضحاها، وبما أن أمين سامي باشا شغل منصب ناظر دار العلوم من سنة ١٨٩٥ إلى سنة ١٩١١، فلا عجب أن أبناء دار العلوم لم يشغلوا هذا المنصب حتى عام ١٩١١، وبالطبع لم يسع هؤلاء الخريجون في الحصول على شهادات تعليمية إضافية، مع قلة عددهم نسبياً قبل عام ١٩٠٢، ومن ثم كان من النادر جداً أن نجد أحداً منهم بين الرجال الذين تدربوا بعناية[٥٠].

علينا في هذا السياق أن نذكر أن مصر لم يكن لديها جامعة قبل عام ١٩٢٥، باستثناء الجامعة المصرية الأهلية، والتي أسهم خريجو دار العلوم في إنشائها عام ١٩٠٨ وقبل إنشاء دار العلوم لم يكن ثمة أي معهد لإعداد المدرسين على الإطلاق، أضف إلى ذلك أن أساس فكرة

حتى عام ١٩٠٦ لمدرس متدرب في مصر أن يترقى إلى درجة أعلى داخل الوزارة، والبيانات المتوفرة عن خريجي دار العلوم تؤكد هذا المعنى، ولم تكن هذه الفرص بعد عام ١٩٠٦ أفضل حالاً، ولم تتغير إلى الأفضل إلا بعد ثورة ١٩١٩.

[٥٠] س.س. آدمز، الإسلام والحداثة في مصر، لندن ١٩٣٣ Islam and Modernism in Egypt ص٢٢٥ ويقدم لنا "من جور ست إلى جراي" معلومات أوفر عن الجامعة ٨ أبريل ١٩١١ E.D ١٣٠٢٩/٣٣/٨/١٢.

انظر: ١٩١٣ ص٢٠٤.

استحقاق الترقية إلى هذا المنصب لم تكن واردة فيما بين عامي (١٨٧٢-١٩٢٣)، ومن ثم لم يكن أوائل نظار دار العلوم مُثُلا نموذجية لتلك الوظيفة، وعندما اتسعت دائرة الترشيح لها سمت كفاءة نظار دار العلوم، وملاءمتهم للمنصب.

يوضح لنا تعيين حامد نيازي أفندي أول ناظر لدار العلوم طبيعة المعيار العام الذي كان يطبق في اختيار النظار الأوائل، لقد شغل الوظيفة وهو يمزج بين التعلم والخبرة معاً، وفي غياب معرفتنا بصلاته الشخصية يصعب علينا التأكد بدقة من أسباب تعيينه، ومع ذلك فإن ماضيه يشير إلى أنه اشترك في بعثة تعليمية إلى باريس، أرسل إليها عام ١٨٦٦، لدراسة عملية في كلية الحرب[٥١]، وأنه لم يؤد امتحاناته على نحو جيد بعد استعداد استمر ثلاث سنوات، غير أن ذلك لم يشكل عائقاً فيما بعد، فقد تم تعيينه فور عودته في منصب حكومي مسئول، إذ عُين مساعداً للتدريس في المدارس العسكرية، وبعد هذا عمل مديراً للخزانة الهندسية في نظارة الأشغال العمومية[٥٢] وفي عام ١٨٧٢ عُين مراقبا لدار الكتب المصرية (الكتبخانة الخديوية) وقاعة الفيزيقا[٥٣]، وتضمنت الوظيفة الإشراف على دار العلوم، دون أن يُعين ناظراً لها بصفة رسمية حتى

---

(٥١) تاريخ التعليم في مصر من نهاية حكم محمد علي إلى أوائل حكم توفيق: ج٢ ص٧١٠-٧١١.

(٥٢) المصدر نفسه، ج٢ ص٢٩٧ وبمعنى آخر جاء تعيينه ناظراُ لدار العلوم.

(٥٣) المصدر نفسه، ج٢ ص٢٩٧، وبمعنى آخر جاء تعيينه ناظراً لدار العلوم نتيجة إشرافه على المباني التي كانت تشغلها الدار، وإشرافه على الميزانية التي تدعمها.

عام ١٨٧٤. وأثناء إدارته بدأ يطور بعض هياكل المدرسة، خاصة بعد بدء أول مقرر دراسي للسنة الدراسية (١٨٧٤-١٨٧٥)، ومع هذا لا يوجد أي دليل على أن حامد نيازي حصل على أي مؤهل دراسي خاص بالوظيفة في عام ١٨٧٢، سوى حصوله على قدر من التعليم الأجنبي، وبعض الخبرة الإدارية في العمل الحكومي.

عندما عاد حامد نيازي للنظارة مرة أخرى في عام ١٨٧٩ كان أكثر خبرة في الإدارة المدرسية، ففي الفترة الفاصلة بين المرة الأولى والثانية عمل ناظراً لمدرسة المبتديان بالقاهرة عام ١٨٧٦-١٨٧٨، ثم ناظراً لمدرسة رأس التين في الإسكندرية عام (١٨٧٨-١٨٧٩) وكلتا المدرستين من أرقى المدارس في مصر[٥٤].

واقع أن حامد نيازي لم يكن ناظر دار العلوم الوحيد الذي عمل ناظراً لإحدى هاتين المدرستين (أو لكلتيهما) بدعم الجدل القائم حول حفنة صغيرة من إداريي المدارس في أواخر القرن التاسع عشر، هي التي كانت تدور فيها دائرة التعيينات في المدارس الحكومية المتعددة لوظيفة الناظر، ومن ثم خلف نيازي في نظارة مدرسة دار العلوم فوراً محمود فوزي، وكان يدرس الفيزيقا والكيمياء في المدرسة نفسها[٥٥].

---

[٥٤] المصدر نفسه، ج٢ ص١٩١-٢٠٢، والتعليم في مصر، الملحق رقم ٥ ص٥٧.

[٥٥] المصدر نفسه، ج٢ ص ٥٩٧-٥٩٩.

وكان الناظر الثالث لدار العلوم علي فهمي رفاعة (١٨٣٨-١٩٠٣)، وهو ابن رفاعة رافع الطهطاوي الشهير (١٨٠١-١٨٧٣)، ويعد نموذجاً بارزاً في التعليم المصري والترجمة، ورغم أن علي فهمي لم يشغل وظيفة ناظر مدرسة قبل تعيينه ناظراً لدار العلوم لكنه كان مدرساً ذا خبرة، فقد شغل مناصب عديدة في إدارته نظارة المعارف العمومية، وذا صلة سابقة، غير مباشرة بدار العلوم.

وحين أنشأ علي مبارك "روضة المدارس" وعهد بنظارتها إلى رفاعة رافع الطهطاوي، كان على ابنه يدرس مادة الإنشاء في مدرسة الإدارة واللغات، ثم عينه والده في الصحيفة الجديدة أيضا[٥٦]. وعندما توفى رفاعة الطهطاوي عام ١٨٧٣، اقترب على أكثر من عبد الله أبو السعود الناظر الجديد لقسم الترجمة، والذي درس التاريخ أيضا في دار العلوم، والترجمة في مدرسة الإدارة[٥٧]. ومنصب علي الجديد ناظرا لقسم الإعلان أعطاه أيضا سلطة على بعض التعيينات في نظارة المعارف، والقسم الخاص للمكاتب العمومية، والتي كانت موجودة آنذاك[٥٨] وليس واضحا ما إذا كان على رفاعة بك استأنف تدريس مادة الإنشاء في مدرسة الحقوق بين عامي (١٨٦٨-١٨٨٢) أم لا. لكن اسمه، على أي حال، كان مدرجا ضمن هيئة التدريس خلال هذه الفترة،

---

[٥٦] المصدر نفسه، ج٢ ص١١٩، ١٤٩، ١٥٤.

[٥٧] المصدر نفسه، ج٢ ص١٤٩.

[٥٨] يذكر تاريخ التعليم في مصر: أن قلم المكاتب العمومية كان موجودا في الفترة ما بين ٢٧ مارس ١٨٧١، ١٨٨٢، عندما أمر الخديوي بذلك، انظر ص١٥٦.

ويعد محمد عبده، وحسونة النواوي، اللذان درسا في دارة العلوم أيضا[٥٩] رغم كفاءة علي رفاعة التي فاقت بكثير كفاءة حامد نيازي، كي يعمل ناظرا لدار العلوم، إلا أنه لم يشغل هذا المنصب غير سبعة شهور فقط، وهي فترة قصيرة جدا لا تمكنه من أن يترك تأثيرا دائما في المدرسة، مع أنه فيما يبدو لاقى رعاية من عبد الله فكري باشا[٦٠] لأنه في البدء خلف فكري وكيلا لقلم المكاتب العمومية في عام ١٨٧٩ عندما عُين هذا وكيلا لنظارة المعارف، وفيما بعد أصبح علي بك رفاعة وكيلا لنظارة المعارف، عندما أصبح عبد الله فكري باشا ناظرا لها في عام ١٨٨٢[٦١] وأدرجه سير خانك باشا عضوا في مجلس المعارف الأعلى في عام ١٨٨١، ولكن الدكتور أحمد عزت عبد الكريم لم يجد أي وثيقة تذكر القليل عن الموظفين الوزاريين الآخرين[٦٢]، ورغم بقاء عبد الله فكري ناظرا للمعارف لمدة أربعة شهور فقط[٦٣] إلا أن علي بك رفاعة استمر وكيلا لنظارة المعارف في عهد

---

[٥٩] المصدر نفسه، ج٢ ص٥٦٥، وسنتناولهما في الفصل الثالث وقد ضمت مدرسة اللغات إلى مدرسة الحقوق حتى عام ١٨٧٨ ثم ألحقت مدرسة اللغات بدار العلوم لفترة وجيزة ١٨٨٥-١٨٨٩.

[٦٠] عبد الله فكري (١٨١٤-١٨٨٩) مؤلف الآثار الفكرية، صدرت عن مطبعة بولاق ١٣١٥هـ = ١٨٩٧م، وأعمال أخرى وقد تلقى عبد الله فكري تعليمه في الأزهر، وأصبح علما بارزا في الحضارة والسياسة المصرية، انظر: الزركلي ج٤ ص٢٥٣-٢٥٢، وجورجى زيدان ج٤ ص٢٠٨، ويقدمان ملخصا لسيرته.

[٦١] تاريخ التعليم في مصر، ج٢ ص١١٩ و ١٦٠.

[٦٢] المصدر نفسه، ج٢ ص١٢٥.

[٦٣] استقال وانضم إلى الثورة الوطنية بقيادة أحمد عرابي، ثم سجن بعد ذلك، انظر الزركلي، ج٤ ص٢٥٢.

ناظرها الجديد الذي خلف عبد الله فكري باشا، وهو سليمان أباطة[٦٤] ومثل الكثير من نظار دار العلوم السابقين أصبح علي فهمي بك مؤلفا ذائع الصيت[٦٥].

كان علي شعبان ناظر دار العلوم في الفترة من نوفمبر ١٨٨٢ إلى ١٨٨٣[٦٦] متخصصا في الرياضيات، وقبل تعيينه ناظرا لدار العلوم عمل مدرسا في المدرسة الفنية (هندسة)، وفي مدرسة المساحة والمحاسبة (الهندسة والرسم)[٦٧]، كما أنه درس الرياضيات في التجهيزية (الخديوية الثانوية) —ربما- قبل هذا الاختبار أيضا[٦٨] وحين كان علي شعبان ناظرا لدار العلوم، ألحقت بها مدرسة اللغات، ومن ثم عمل ناظرا للمدرستين خلال عامه الأخير في الوظيفة. وبين أكتوبر ١٨٨٨ وأكتوبر ١٨٩٤ عند وفاته، كان شعبان ناظرا للمدارس الابتدائية والثانوية في رأس التين في الإسكندرية[٦٩]، ومن ثم يعتبر أحد النظار الذين شغلوا الوظيفة من خلال اتصاله القريب بنظام المدرسة العام. وكان أول صدور لقوانين دار العلوم خلال تولي خليفته أحمد نظيم، وكان مثل أحمد

---

[٦٤] تاريخ التعليم في مصر ج٢ ص١١٩.

[٦٥] الزركلي ج٥ ص١٣٦.

[٦٦] ظل منصب نظارة دار العلوم خاليا لمدة شهرين تقريبا إلى أن تولى علي شعبان المنصب رسميا، انظر: تقويم دار العلوم ص٣٨، تاريخ التعليم في مصر ج٢ ص٥٩٨ والتعليم في مصر في سنتي ١٩١٤و١٩١٥ الملحق ٥، ص٩٩.

[٦٧] تاريخ التعليم في ج٢، ص٥٢١و٥٤١.

[٦٨] المصدر نفسه ج٢ ص٤٠٨.

[٦٩] التعليم في مصر، ملحق ٥ ص٥٧.

شعبان متخصصا في الرياضيات، ودرس في مستويات تعليمية متعددة في المدارس العامة في مصر(٧٠)، وكانت إحدى أوائل وظائفه التدريسية تولية قلم المكاتب العامة في مدرسة المنيا، وهى من ضمن المدارس الابتدائية التي أنشأها الخديوي إسماعيل عام ١٨٦٩.

وثمة ناظر آخر لدار العلوم، أمين سامي باشا، درس في هذه المدرسة التاريخ والجغرافيا والرياضيات(٧١)، وقبل هذه الفترة عمل مربيا للأمير إبراهيم أحد أبناء الخديوي إسماعيل(٧٢)، وبين سبتمبر ١٨٧٢ وديسمبر ١٨٨٥ عمل أحمد نظيم ناظراً لمدرسة بني سويف، وهى إحدى المدارس الابتدائية الحكومية(٧٣)، وذكر اسمه بين هيئة التدريس في المدرسة الخديوية عام ١٨٨٠، وعندما طلب منه يدير دار العلوم، وقبل تعيينه رسمياً في يناير ١٨٧٠ كان مفتشا في نظارة المعارف العمومية(٧٤). ومن ثم يمكن اعتبار أحمد نظيم ناظراً لدار العلوم في الفترة ما بين نوفمبر ١٨٨٦- وديسمبر ١٨٨٩، وهى فترة كانت فيها مدرسة اللغات ملحقة بدار العلوم وعندما أصبح ناظرا للخديوية، بما في ذلك كل أقسامها، أصبحت مدرسة اللغات جزءا منها، ربما لأن التدريب على اللغة الأجنبية كان له مظهر أكثر

---

(٧٠) مصادر المعلومات عن سيرته: الزركلي، ج١ ص٢٥، وسركيس، ج١ ص٤٠٤، وكحالة ج٢ ص١٩٦، وتاريخ التعليم في مصر ج٢ ص١٨٣ و٢٤٧ و٤٠٨ والتعليم في مصر ملحق ٥ص ٦٥ و٩٧ و٩٩ و١٠٠.

(٧١) تاريخ التعليم في مصر ج٢ ص٢٤٧.

(٧٢) تاريخ التعليم في مصر، ج٢ ص٨٨٢-٨٨٣.

(٧٣) المصدر نفسه، ج٢ ص٨٨٢، ٨٨٣، والتعليم في مصر ملحق ٥ ص ٦٥.

(٧٤) تاريخ التعليم في مصر، ج٢ ص٤٠٨ تقويم دار العلوم ص١٣٨.

حسماً في منهج المدرسة الثانوية، ومنهج الإعداد للمدارس الأعلى، وكان أحمد نظيم آخر ناظر مصري لمدرسة الخديوية حتى عام ١٩٠٦[٧٥]. وكان له كتابان مدرسيان للمدارس الثانوية، أحدهما نشر بعد وفاته في عام ١٨٩٧، وهو في الحساب، أما الثاني فكان في الهندسة[٧٦] ويبدو أن تعيين عنايت خليفته في نظارة دار العلوم كان مؤقتا لأنه كان موظفاً في المدرسة قبل هذا التاريخ، ولا توجد أي وثيقة تدل على أنه درس أو أدار أي مدرسة حكومية أخرى[٧٧].

كان إبراهيم مصطفى أحد نظار دار العلوم الوحيدين الذي عمل لأكثر من أربعة أعوام (توفي ١٨٩١)[٧٨] ورغم أن كنزي يصفه حين يشير إليه بأنه "ناظر دار العلوم الشيخ"، والمفضل عند علي مبارك شخصيا، والذي يحمل مؤهلات مشكوكا فيها، لا يوجد دليل على أنه شيخ، أو غير مؤهل لمنصب ناظر دار العلوم[٧٩] والحق أنه كان ناظرا مناسباً جداً، في قامة من سبقوه، ممن تلقوا تدريباً

---

[٧٥] التعليم في مصر، ملحق٥ ص٩٧.

[٧٦] سركيس، ج١ ص٤٠٤ والزركلي ج١ ص٢٥٠ وكحالة ج٢ ص١٩٦.

[٧٧] تقويم دار العلوم ص١٣٨.

[٧٨] تتضمن المصادر التي تناولته: كتاب كحالة ج١ ص١١٢، والزركلي ج١ ص٦٩-٧٠ وسركيس ج١ص١٩-٢٠ وكنزي ص٢٧٩و٢٩٦. وهامش ص٥٠٥ وربما يكون المراد هو إبراهيم مصطفى من مدرسة الطب الذي طلب في عام ١٨٧٥ أن ينضم إلى البعثة التعليمية إلى فرنسا ولكنه لم يستطع أن يذهب لأن الوزارة تجاوزت العدد الذي تسمح به الميزانية وفقا لما ورد في تاريخ التعليم في مصر ج٢ ص٧٣٢.

[٧٩] كنزي ص٩٦ و٥٠٥ (الهامش رقم ١٥٤).

في الرياضيات والعلوم، وبعد أن درس في مدرسة الطب في القاهرة، حيث تخصص في الكيمياء والفيزيقا، عمل في بداية الأمر كيميائياً في الإسكندرية، ثم أستاذا في مدرسة الطب بالقاهرة قبل تعيينه ناظراً لدار العلوم[٨٠].

كان إبراهيم مصطفى أثناء تدريسه في مدرسة الطب نشطا أيضا في مجال الصحافة، فأنشأ مع محقق من المحاكم المحلية(حسن بك رفقي) نشرة دورية أطلق عليها اسم " الأزهر"[٨١] وهى جريدة علمية أدبية، ليست لها أي علاقة واضحة بالأزهر، تتضمن الأخبار التربوية والعلمية والمعلومات الفنية العامة، ثم تولى شئونها وليم ويلكوكس، يساعده أحمد الأزهري، شاب تخرج حديثا في دار العلوم*، كما تعاون إبراهيم مصطفى وزميله في دورية تعالج الموضوعات الصحية، سبقت في نشرها دورية "الأزهر" ويذكر كنزي ضمنا أن إبراهيم مصطفى كان منافساً لأمين باشا سامي. تولى بعده نظاره دار العلوم ، وحل إبراهيم مصطفى محل أمين سامى في عضوية اللجنة الاستشارية العليا لنظارة المعارف ليس ذلك فحسب، وإنما شارك في المؤتمر الدولي للتعليم الذي عقد عام

---

[٨٠] الزركلي، ج١ ص٦٩ وسركيس ج١ ص١٩ وكحالة ج١ ص١١٢.

[٨١] ديكسترا، ص٤٥٣-٤٥٥ تناول هذه النشرة الدورية لأن علي مبارك أصدرها ولكنه لم يكن يعرف الخلفية العلمية لإبراهيم مصطفى.

* لتكون لدى القارئ فكرة عن شكل هذه الصحيفة ومحتواها، نشرنا رفق هذا، الصفحة الأولى والفهرس لأحد أعدادها. (المعرب).

١٨٨٩ بدلا من أمين سامي، وتشي ملاحظات كنزي دائماً بأن إبراهيم مصطفى غير كفء، وغير مؤهل بالمقارنة لنظيره أمين سامي الكفء النشيط المخلص[٨٢] وإذا كان من الجائز أن يحابي على مبارك إبراهيم مصطفى غير أن هذا لا يفسر لماذا عينه رياض باشا رئيس النظار في لجان نظارة المعارف[٨٣] والتفسير الأكثر معقولية لرأي كنزي يمكن أن نرده إلى تعاطفه الواضح مع أمين سامي[٨٤] والجدل القائم حول الاستغناء عن إبراهيم مصطفى ناظرا لدار العلوم[٨٥].

نشأت القضية، فيما يرى كنزي، عندما اشتكى إبراهيم مصطفى من المعاملة المتغطرسة التي يلقاها من دوجلاس دنلوب، ويعقوب أرتين، واستقالته محتجاً عليها من منصبيه اللذين عين فيهما في النظارة، ثم تمت محاكمته وفقا لميثاق الأخلاق، ونتيجة لهذه المحاكمة خفضت وظيفته إلى درجة مدرس بدار العلوم[٨٦] وعلى حين لا تشير معاجم السير العادية إلى قصة الاستغناء عن خدماته،

---

[٨٢] كنزي، ص٢٧٩-٢٩٦-٣٠٠-٣٠٢ و٤٩٧ (هامش رقم ٧٤) و٥٠٥ (هامش رقم١٥٤).

[٨٣] يذكر الكتاب نفسه، هذا التعيين ص٢٧٩ وقد صدر أول كتاب لإبراهيم مصطفى عام ١٨٨١، وبعد ذلك بدأ في كتابة كتب الكيمياء للمدارس الابتدائية والثانوية ألف كتابا في الفيزيقا ويبدو أن كلا من رياض باشا وعلي مبارك باشا وجدا أسبابًا مقنعة في ذلك الحين لتعيين إبراهيم مصطفى المدرس والمؤلف في المناصب المتعددة التي تولاها.

[٨٤] كلنا ندين لأمين سامي بالعرفان لحفظه للوثائق الدقيقة واهتمامه الدائم بالتعليم وتاريخ مصر وهو ما يتجلى في كتابيه:تقويم النيل وتاريخ التعليم، (وهما مصدران هامان لهذه الدراسة) انظر بخاصة كتاب كنزي ص٣٢ وما بعدها.

[٨٥] كنزي ص٢٧٩-٢٨٠.

[٨٦] المصدر نفسه.

إلا أنها تشير إلى استقالته من العمل الحكومي، وعودته إلى بلدته الواسطة[٨٧] وبما أن قضية إبراهيم مصطفى إحدى أواخر قضايا التمرد على الحكم البريطاني خلال نظام كرومر، فهى قضية تقدم دليلا يدعم الأطروحة التي ذكرتها في مقدمة هذا الفصل وهى: على هؤلاء الذين ليسوا على وفاق مع البريطانيين أن يتركوا العمل الحكومي بدل محاولة الصراع معه أثناء وجودهم في النظام[٨٨].

خلف أمين سامي باشا إبراهيم مصطفى في نظارة دار العلوم، ورغم ذلك تمتع بعلاقة سعيدة وطويلة مع المدراء البريطانيين والمصريين على حد سواء[٨٩] وكان أمين مثل سابقيه المباشرين قبل تعيينه في المنصب متدربا في العلوم (مدرسة الهندسة) كما كان مدرسا ومدير مدرسة قبل تعيينه في دار العلوم: درس في المنيا، وعمل ناظرا لمدرسة المنصورة الابتدائية (١٨٨١–١٨٨٥)، وذلك قبل أن يُعين ناظراً لمدرسة المبتديان، وهو منصب شغله مدة تزيد عن أربعة وعشرين عاماً[٩٠] وأثناء عمله ناظراً للمبتديان اختير ناظراً لدار العلوم، وظل في منصبه إلى أن أحيل إلى التقاعد عام ١٩١١[٩١]

---

[٨٧] الزركلي ج١ ص٦٩–٧٠، وكحالة ج١ ص١٢ وسركيس ج١ ص١٩٠.

[٨٨] يقول كنزي ص٢٨٠: ثمة قضية أخرى واكبت قضية إبراهيم مصطفى.

[٨٩] يذكر كنزي ص٣٠٠ تواريخه على النحو التالي ١٨٥٥–١٩٤١ ويذكرها الزركلي ج١ ص٣٥٨ على أنها ١٨٥٧–١٩٤١، ويتناول سركيس إصداراته في ج١ ص٤٧٥–٤٧٦.

[٩٠] تاريخ التعليم في مصر، ج٢ ص٢٤٧، وكتاب أمين سامي أيضا: التعليم في مصر ملحق رقم٥، ص٥٦–٥٨.

[٩١] يقول كنزي ص٣٠٢ وما بعدها إنه تقاعد في عام ١٩١٠، وأنا أتفق مع التواريخ التي أوردها أمين سامي في كتابه التعليم في مصر.

وبما أن أمين سامي باشا ناظر دار العلوم الوحيد، في الفترة ما بين (١٨٧٢-١٩٢٣) الذي شغل أطول فترة في منصبه، فإن استمراره في المنصب وانجازاته جديرة بالاهتمام، وخاصة أن هذه الفترة الزمنية كانت من أشد الأوقات عصبية في تاريخ مصر، فبين عام (١٨٩٥-١٩١١) نشأت في مصر الأحزاب السياسية، كل حزب منها بصحفه ومجلاته الخاصة، كما وقع حادث دنشواي، وتقاعد اللورد كرومر، وأدى الغضب على محاولة مد امتياز قناة السويس إلى اغتيال بطرس غالي باشا رئيس الوزراء، وتشير مقالات تمت مع عدد من خريجي دار العلوم في هذه الفترة، إلى انغماس طلابها في هذه الأحداث، وفي موضوعات أخرى تتصل بدار العلوم نفسها مباشرة،ومنها -مثلا- قضية اللغة العربية[٩٢] إلا أن أمين سامي باشا استقر في منصبه دون تحد ظاهر، وبكل تقدير.

بعض وجهات نظر كنزي المتعلقة بشخصية أمين سامي تساعد في شرح أسباب بقائه واستمراره في منصبه في مثل هذه الظروف المتوترة، فعلى الرغم من أن خلفيته كخلفية على مبارك، الذي لم يكن الموظفون البريطانيون في مصر يحبونه، إلا أن أمين سامي كان إدارياً قديراً، تابعاً للسلطة العليا ووفياً لها، ومع أنه لم يكن مبدعاً، إلا أن أسلوبه في الإدارة كان يتضمن مراعاة

[٩٢] يناقش كنزي ص٣١٤ وما بعدها قضية اللغة، والموضوعات الأخرى التي عرضنا لها فيما سبق، وكلها موضوعات هامة تناولتها المصادر التاريخية المختلفة لمصر الحديثة، ومعظم الخريجين الذين أجريت مقابلات معهم توفوا الآن وكنت وعدتهم بالسرية أثناء إجراء هذه المقابلات.

القوانين والتفاصيل الصغيرة بخاصة وهي ملامح شخصية واضحة في دراساته عن مصر، وعن التعليم المصري.

وثمة صفة أخرى جعلت منه مديراً نموذجياً أثناء الاحتلال البريطاني، وهى "طبيعته المحترمة اللاسياسية"[٩٣]. وكل هذه الصفات ضرورية لكي ينال أي مصري أصيل الرضا البريطاني أثناء الاحتلال، ولأن قلة من المصريين فحسب كانوا على استعداد للتعاون مع الاحتلال البريطاني إلى هذا الحد، فلا عجب إذن أن ينال سامي تقدير كل من كرومر ودنلوب. والحق أن أمين سامي كان في استطاعته أن يتقلد مناصب أعلى، لولا تفانيه النام في خدمة التعليم المصري، وفيما يرى كنزي فإن أمين سامي رفض وظائف أعلى في نظارات أخرى[٩٤].

بروحه المتعاونة، وتفانيه في العمل لا غرابة أن يحظى تعيين أمين سامي ناظراً لدار العلوم بإطراء المصريين ورضا الموظفين البريطانيين أيضاً، وتذكر مجلة المقتطف في مقال لها بتاريخ أبريل ١٨٩٦: إن توحيد المبتديان ودار العلوم تحت إدارة أمين سامي لهو تطوير تعليمي مثير، لا لما يتمتع به أمين سامي من قدرات فحسب، وإنما أيضا لأن المبتديان وهى أفضل مدرسة ابتدائية في مصر،

---

[٩٣] المصدر نفسه، ص٣٠٢ وما بعدها.

[٩٤] المصدر نفسه.

ودار العلوم وهو معهد إعداد المدرسين، ستعود عليهما فائدة مشتركة من هذا الارتباط القريب[٩٥] وعلق كرومر بنفسه على هذا التوحيد بأنه تغيير هام في توجه دار العلوم، وفي برنامجها[٩٦].

ما هى إذن التغييرات، أو بعضها، التي حدثت أثناء إدارة أمين سامي لدار العلوم؟ بدءا تبنت المدرسة برامج توجيهية أكثر لإعداد المدرسين، وهذه البرامج سوف يتم مناقشتها فيما بعد في الفصل الخامس. ثانياً: بدأت دار العلوم تتحرك بعيدا عن الأزهر، وتفك ارتباطها به، وتجلى ذلك واضحاً عندما تضمنت امتحانات الالتحاق بها قدراً من المعرفة بمواد لم يدرسها طلبته ضمن برامجهم الدراسية[٩٧]. وسيرد فيما بعد أن سنوات أمين سامي باشا ناظراً لدار العلوم تمثل فترة بارزة في تاريخ دار العلوم، بسبب ما أحدثه من تجديد في نظام التعليم فيها، ثمة مظهر آخر من مظاهر تميز نظارته لابد أن نشير إليه.

قبل أن يتولى أمين سامي باشا نظارة دار العلوم، كان هيكلها الإدارى ضعيفاً للغاية،فلما تولى نظارتها، أعاد تنظيمها إداريا على نحو بيروقراطي، وهو مايعكس شخصيته تماما، وأعيدت كتابة القوانين التي تدار المدرسة بمقتضاها، حتى لو اقتضى الأمر الكثير من التغييرات في اللوائح التي كانت تطبق، وتتطلب صياغتها دقة أكثر، وتفصيلات أشمل، فيما يتصل بالموضوعات العديدة التي

---

[٩٥] انظر: "آراء العلماء: دار العلوم والمبتديان" مجلة المقتطف ٢٠ أبريل ١٨٩٦، ص٣٩٧

[٩٦] أشارت إلى تقرير كرومر هذا كل من المقال السابق، وكتاب تاريخ التعليم في مصر ص٨٠.

[٩٧] سوف نناقش هذا الموضوع تفصيلاً في الفصل الرابع.

تتضمنها. إن الإدارة التي تحكم سير المدرسة نحو غاياتها وهى: إعداد مدرسي اللغة العربية ربما تحولت بها في وقت ما، إلى معهد للفنون الحرة، تعد المدرسين للمدارس الحكومية والآخرين مما يرغبون في تعليم شامل، وكل هذا أسهم في تحديد هوية دار العلوم المتفردة، وتطورها المستقل، وهى عوامل لها نتائج ايجابية وأخرى سلبية معا، فالمحافظة على وظيفة دار العلوم في إعداد المدرس، وإبراز هذا الدور، زادت من نشاط أمين سامي باشا أيضا في الضغط على الحكومة لإنشاء جامعة تدعمها الدولة، مع أن هذا لم يكن قصده، أضف إلى هذا أن أمين سامي بوصفه مديراً له شعبية لدى الموظفين البريطانيين في نظارة المعارف العمومية، كان قادراً على تبني تغييرات كثيرة في دار العلوم بمساعدة الوزارة ومشاركتها، ومن ثم استطاع أن ينشئ مناهج وبرامج جديدة في وسط مستقر، رغم السياسة غير المستقرة أبدا آنذاك، وقد ساعده الهيكل الإداري القوي والإدارة المنظمة، التي أنشأها في دار العلوم على إحداث التغيير الذي يريده، مع اختلاف قليل نسبيا مع النظارة، وكبار موظفيها البريطانيين.

وساعده ذلك أيضاً على تدعيم مركز دار العلوم بوصفها معهداً لإعداد المدرسين، في عصر اتسم سياسياً واجتماعيًا بعرقلة المشروعات!

بقى أن نعرض هنا تفصيلا لاثنين من أواخر نظار دار العلوم، لأنهما يعكسان تحقيق ما اتجهت إليه دار العلوم تحت نظارة أمين سامي باشا، من التخصص في إعداد مدرسين اللغة العربية، وكلاهما تخرج في دار العلوم.

وإلى جانب إعدادهما مدرسين للغة العربية ساعد تعليمهما، وخبرتهما السابقة على أن يكونا مرشحين نموذجيين لنظارة دار العلوم.

أما أولهما فعبد الرحيم أحمد، ودرس لمدة عشر سنوات في الأزهر قبل أن يلتحق بدار العلوم[٩٨] وبعد أربع سنوات أنهى مقرره التعليمي الذي تضمن دراسة اللغة الفرنسية وعين مدرسًا مساعداً وموظفا بدار العلوم، وللاستفادة من معرفته باللغة الفرنسية اختير في عام ١٨٨٦ معلماً للأمير عباس حلمي الثاني والأمير محمد علي في جنيف[٩٩] ولأن دار العلوم قبل عام ١٨٨٧ لم تكن تمنح أي شهادة خاصة، لذلك منح عند استعداده للسفر إلى أوروبا شهادة تتضمن كل المواد التي درسها، وتقديراته فيها، والدرجة النهائية، وكانت "امتياز مع مرتبة الشرف" حتى يتمكن من الاستمرار في دراسته هناك[١٠٠]، وانتهى به الحال إلى دراسة القانون في فرنسا، وفي الوقت نفسه

---

[٩٨] تقويم دار العلوم ص١٤٥-١٤٩ أهم مصدر لسيرتهما الذاتية.

[٩٩] ذهب الأميران إلى جنيف عام ١٨٨٥ لتلقي التعليم، ويذكر أحمد شفيق اسم أحمد كمعلم لهما هناك، وذلك في كتابه مذكراتي في نصف قرن، في ثلاثة أجزاء (القاهرة ١٩٣٤)ج١ ص٢٨٢، ويشير له أحمد شفيق على أنه "أحمد عبد الرحيم"، وعندما انتقل الأميران إلى فيينا عام ١٨٨٦، ذهب عبد الرحيم أحمد إلى باريس (مذكرات أحمد شفيق ج١ ص٣٧٥)، والمناصب التي شغلها بعد أن تولى عباس حلمي الثاني الخديوية، تدل على أهمية علاقاته السابقة.

[١٠٠] تقويم دار العلوم ص١٤٨-١٤٩.

كان يدرس اللغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية[١٠١]، وكان أيضًا – فيما يقال- يدرس للشباب المصري الذي كان يدرس في باريس[١٠٢]. بعد عودة عبد الرحيم أحمد إلى مصر عمل محاميا في المحاكم الأهلية العديدة في مصر ثم انتقل إلى الحاشية الملكية عام ١٨٩٢، أمينا للمراسم الخديوية أولا، ثم وكيلا للأقلام العربية بالمعية السنية. وفي عام ١٩٠٣ عين قاضيًا في محكمة إسنا المحلية، في صعيد مصر، ثم وكيلا لمحكمة أسيوط.

خلال عمله في إسنا قاضيًا لم يفقد اهتمامه بالتعليم، وإنما تابع نشاطه في رعاية التعليم وبذل جهده في القضاء على الأمية وإصلاح الكتاتيب في تلك المنطقة، وهى جهود شكرته عليها نظار المعارف العمومية رسميًا، وشكره عليها الموظف المسئول عن تعليم الكتاتيب في مصر، والذي أصبح خليفته فيما بعد ناظرًا لدار العلوم، وهو محمد شريف سليم[١٠٣].

هذا الاهتمام الدائم بالتعليم جعل من عبد الرحيم زميلاً مناسبًا لمحمد شريف سليم في تفتيش المدارس عندما عينه سعد زغلول في هذه الوظيفة وكان يشغلها قبله محمد شريف حين أصبح هذا مفتشا عامًا.

---

[١٠١] المصدر نفسه ص١٤٥، مذكرات أحمد شفيق ج١ ص٣٧٥- إبراهيم سلامة، التعليم الإسلامي في مصر Education Islamigue in Egypt (القاهرة١٩٣٩) ص٢٤٤ الهوامش.

[١٠٢] إبراهيم سلامة، المصدر نفسه، ص٢٤٤، الهوامش.

[١٠٣] يتضمن تقويم دار العلوم ص١٤٧ خطاب شكر بتاريخ ٢٦ مارس ١٩٠٣ يحمل توقيع الأفراد الذين سبق ذكرهم.

لقد أصبح عبد الرحيم أحمد ناظرًا لدار العلوم بعد أمين سامي باشا عام ١٩١١، وفي تلك الفترة أيضًا أصبح رئيسًا لنادي دار العلوم وهو رابطة كانت تجمع الخريجين، وفي هذا النادي ألقى بعض المحاضرات، التي نشرت مع محاضرات بعض رؤساء النادي السابقين: حفني ناصف ومحمد عاطف بركات[١٠٤] وبما أننا ألمحنا من قبل إلى أن العلاقات الشخصية كان لها. دور في اختيار النظار. من الضروري أن نوضح هنا أن تعيين عبد الرحيم أحمد ناظرًا لدار العلوم جاء بعد انفصاله عن القصر لأسباب سياسية[١٠٥]. وعلينا أن نأخذ في الاعتبار، أنه كان قبل ذلك يقوم بدور "همزة وصل" بين الخديوي عباس حلمي ومصطفى كامل وتقديرًا لصفته هذه اختير ليخلف أمين سامي باشا في نظارة دار العلوم على الرغم من اختلافه مع الخديوي[١٠٦].

تحت إدارة عبد الرحيم أحمد تساهلت دار العلوم شيئًا في متطلبات الالتحاق بها فلم تعد تطلب من الراغبين في ذلك معرفة مواد عامة كثيرة[١٠٧]. وعلى حين اعتبر هذا تقهقرًا فيما يتصل بسياسة المدرسة الخاصة بإعداد المدرسين في العلوم العامة، لكن علينا أن نلحظ أن دار العلوم كانت ترفع لواء معايير اللغة العربية عند الالتحاق بها، ثم تخصص بعد ذلك وقتًا أوسع للمنهج الخاص

---

[١٠٤] هذان الشخصان من أبرز خريجي دار العلوم، وسنعرض لهما تفصيلا في الفصلين السادس والسابع.

[١٠٥] تقويم دار العلوم ص١٤٧.

[١٠٦] المصدر نفسه ص١٤٦.

[١٠٧] انظر الفصل الرابع فيما بعد.

بالعلوم العامة خاصة اللغات الأجنبية، وكانت دراستها اختيارية قبل ذلك الوقت[١٠٨] ويبقى من الضروري أن نذكر أن طلبة دار العلوم حتى ذلك الوقت كانوا من الذين تلقوا دراستهم الأساسية في الأزهر، وأن اختبارات الالتحاق أصبحت غير واقعية بعض الشئ في متطلباتها[١٠٩].

وعلى صعيد آخر من العدل، أن نقول عن متطلبات الالتحاق الجديدة أنها "تقلل من المعايير" نظرا للحاجة الماسة إلى كثير من المدرسين في ذلك الوقت، خاصة في المحافظات والمديريات التي قبلت أعدادًا أكثر بدل أن تتطلب كفاءات. ولا يستطيع المرء أن يتهم عبد الرحيم أحمد بأنه المسئول وحده عن هذا التغيير ذلك أن التمزق الذي عاشته دار العلوم والمدارس المصرية الأخرى أثناء الحرب العالمية الأولى وثورة ١٩١٩ أدى إلى تأجيل أي تحديث منهجي وأي تغيير في سياسة الالتحاق، إلى ما بعد انتهاء هذه الفترة.

[١٠٨] عن الموضوعات المتصلة بالمنهج، أنظر الفصل الخامس فثمة شرح أوسع تفصيلاً.

[١٠٩] على الرغم من صعوبة الالتحاق بدار العلوم دون دراسة سابقة في الأزهر، أو أي دراسة أخرى معادلة في جامع من الجوامع، إلا أن الشهادة الأزهرية لم تكن شرطا في الالتحاق، ومعظم الطلبة في دار العلوم، إما سبقت لهم الدراسة في الأزهر عدة سنوات إلى أن أتيحت لهم فرصة الالتحاق بدار العلوم، أو قويت عندهم الرغبة في الالتحاق بدار العلوم بعد دراستهم في الأزهر.

بعد عبد الرحيم أحمد شغل منصب ناظر دار العلوم محمد شريف سليم عام ١٩١٦ حتى أغسطس ١٩١٩[١١٠]، وهو منصب مسئول وهام وهو أمر أثار السخرية لأنه أول من يشغل منصب دار العلوم، وهو من أبنائها، تخرج فيها، وقضى كل حياته في التدريس.

ولد محمد شريف (١٨١٦-١٩٢٥) في القاهرة وبعد أن حفظ القرآن الكريم دخل مدرسة القربية واستكمل فيها دراسته الإلزامية، ثم التحق بالأزهر (١٨٧٥-١٨٨١) يدرس علومه في الصباح، وفي المساء يتعلم الفرنسية في مدرسة الشيخ صالح. وفي عام ١٨٨٣ التحق بدار العلوم وتخرج فيها عام ١٨٨٨، وعلى نحو ما حدث مع عبد الرحيم أحمد أرسل محمد شريف إلى فرنسا ليدرس اللغة العربية للطلاب المصريين الذين يدرسون هناك، وإذا كان عبد الرحيم أحمد قبله درس القانون، فقد آثر هو أن يدرس التربية وعلم النفس[١١١]، ومكث في باريس من (١٨٨٨-١٨٩٤)،

---

[١١٠] مصادر محمد شريف سليم تضم: تقويم دار العلوم ص١٥٠-١٥٤ وإبراهيم سلامة ص٢٤٤(هوامش)، ووثائق عديدة لنظارة المعارف تتضمن تعيينات مفتشي المدارس بين عامي ١٩٠٤ و١٩٠٨، وكحالة ج١ ص٦٧، والزركلي ج٧ ص٢٩، وسركيس ج٢ ص١٦٧.

[١١١] إبراهيم سلامة، ص٢٤٢ (هوامش) وتقويم دار العلوم ص١٥٠.

وقد سجل انطباعاته عن رحلته هذه، ونشر جانب منها فيما بعد[١١٢]. كما درس وهو في فرنسا بمدرسة المعلمين في "ميلون"، ونال منها شهادة مدرس.

وعندما عاد إلى مصر عُين مدرسًا للتربية وعلم النفس في دار العلوم، وخلال عمله هذا ألف أول كتاب من نوعه باللغة العربية في "علم النفس" وقامت المطبعة الأميرية بطبعه بعد ذلك عام ١٩١١[١١٣].

وفي عام ١٨٩٨ نقل إلى تفتيش المدارس، وخلال ذلك مثَل مصر في مؤتمر المستشرقين الدولي الذي عقد في روما عام ١٨٩٩، حيث قدم بحثا باللغة الفرنسية عنوانه: "مستقبل اللغة العربية" نشرته صحيفة نادي دار العلوم عام ١٩١٠[١١٤].

إن المناصب التي تقلدها محمد شريف سليم ومن سبقوه في إدارة تفتيش المدارس كانت من أعلى المناصب وأسماها في نظارة المعارف، وذات أهمية كبرى. وعلى الرغم من مناقشة موضوع التفتيش على المدارس في الفصل السابع فيما بعد يجب التركيز هنا على أن إنشاء نظام التفتيش

---

[١١٢] توجد هذه النسخة في دار الكتب المصرية.

[١١٣] تقويم دار العلوم ص١٥٠-١٥٢، وكحالة ج١ ص٦٧.

[١١٤] تقويم دار العلوم ص١٥١.

على المدارس تم على يد دوربك عام ١٨٦٩ أو ١٨٧٠، ويعتبر هذا النظام حجر الزاوية في إصلاح التعليم في مصر[١١٥] وكان إيجاده –واقعًا– جزءًا من العوامل التي أدت إلى إنشاء دار العلوم فقد أشار بضرورة الحاجة إلى مثل هذه المدرسة، من خلال معرفة أراء الناس في كل أنحاء مصر، واكتشاف احتياجاتهم إضافة إلى بحث حالة التعليم آنذاك.

والمنصب الذي كان يشغله محمد شريف مفتشا عامًا، أو مفتشًا أول، كان أعلى منصب في التفتيش على المدارس في ذلك الحين، وكان هو من أوائل المصريين الذين عينوا مفتشين أوائل، ولهم كل سلطات المنصب قبل عام ١٩٠٧[١١٦].

وبصفته مفتشًا عامًا أدار محمد شريف قسم اللغة العربية بأكمله في نظارة المعارف العمومية. وبينما يعمل محمد شريف سليم بك في مجال التفتيش على المدارس، واصل أيضًا محاولاته لتحسين التعليم المصري عن طريق التأليف في بعض المواد للمدارس المصرية[١١٧] فشارك في تأليف

---

[١١٥] تقرير عام ١٩٣٤ ص٨٠، ويستشهد بيعقوب آرتين.

[١١٦] نظارة المعارف العمومية، النشرة الدورية العامة رقم ٩٠٣، في ٥ فبراير ١٩٠٧، نشرت خبر تعيينه مفتشا أول، وكان قد تولى مسئولية التفتيش كاملة عام ١٩٠٢.

[١١٧] تقويم دار العلوم ذكر مؤلفاته ص١٥٢ الزركلي ج٧ ص٢٩، وسركيس ج٢ ص٦٦٥ وكحالة ج١٠ ص٦٧.

كتاب التهجي والمطالعة للمدارس الابتدائية بالاشتراك مع جمعية المتخرجين من كلية بورو رود Borough Road البريطانية، وألف معهم أيضًا كتاب المطالعة الابتدائية، وطبع هذا في مصر عام ١٩٠٢[١١٨] كما ألف "مجموعة من النظم والنثر" للمدارس، طبعت في بولاق ١٩١٢. وبعد ذلك كتب تاريخ الخوارج وشرح ديوان ابن الرومي في جزئين[١١٩]. إن اهتمامات محمد شريف متنوعة وخبرته واسعة، رفيعة المستوى، تؤهله لأن يكون ناظرًا عالي القدر لدار العلوم، وإنه لحظ سيئ أن سنوات الحرب حالت دون أن يمارس مسئولياته الإدارية في دار العلوم بحرية.

أما آخر النظار الثلاثة لدار العلوم فكانوا:

علي عمر المصري (١٨٧٠-١٩٣١)، وهو شخصية بارزة في التعليم المصري، درس في القاهرة وفي انجلترا، وعمل في التفتيش على المدارس وألف كتابين تعليميين، وكان من بين قادة

---

[١١٨] يذكر كنزي ص٢٦١ أن ١٩ طالبا مصريا أرسلو إلى هناك بين عامي ١٨٨٩ و١٩٠١، وكان عاطف بركات أول خريج في دار العلوم يرسل إلى هناك، وسنشرح فيي الفصل السادس لماذا تم اختيار هذه الكلية بعينها لإرسال الطلاب المصريين إليها لإعدادهم.

[١١٩] ابن الرومي الشاعر العربي الشهير (٨٣٦-٨٩٦)، وفي الأعلام للزركلي سيرة مختصرة له ج٥ ص١١٠.

التنظيم المهني للمدرسين الذي ضم خريجي دار العلوم، وكلية إعداد المعلمين العليا في أوائل العشرينيات من القرن العشرين[١٢٠].

والثاني محمد السيد بك الذي درس في كلية إعداد المعلمين في بورو رود وفي الوقت نفسه كان يدرس فيها درعمي آخر هو عبد العزيز جاويش، الذي تخرج في كلية الإعداد الخديوية[١٢١]. وهذه المعلومة تؤكد ما ذكرناه أعلاه من أهمية معرفة الخلفية الثقافية العامة في القرن العشرين، والخلفية التدريبية في التدريس لنظار دار العلوم. مرة أخرى يجب التركيز على أنه بتطوير إعداد المدرس مهنيًا في مصر أصبح فقط ممكنًا تعيين نظار لمعاهد إعداد المعلمين من رجال لهم خبرة في هذا المجال، وبمجرد توافر هؤلاء الرجال أصبحوا مديرين لمدارس إعداد المعلمين المصرية، وحتى لا يساء تمثيل

---

[١٢٠] دونلدم ديد، ظهور المهن والتنظيم المهني في مصر الحديثة، الدراسات المعاصرة في المجتمع والتاريخ CSSH (يناير١٩٧٤ ص٥٣).

[١٢١] يذكر الزركلي أنه شارك في ثورة ١٩١٩، وأنه نفى إلى رفح آنذاك، ويرد اسم محمد السيد. في السجل التعليمي، السلسلة الجديدة رقم ١٤، بتاريخ أكتوبر ١٨٩٨، ص٦١٩، والسجل التعليمي، السلسلة الجديدة رقم١٥، بتاريخ أكتوبر ١٨٩٩، ص١٩٦، والسجل التعليمي، السلطة الجديدة رقم ١٥، في أكتوبر ١٩٠٠، ص٤٣٦، وفي العدد الذي يحمل الرقم نفسه، وصدر بتاريخ ١٥ أكتوبر ١٩٠١ ص٧٠ وقد تول كلية إعداد المعلمين في بورو رود صيف عام ١٩٠٠، أما عبد العزير جاويش فسوف أعرض له في الفصل السادس.

وضع النظار لدار العلوم يجب أن أذكر أنه بعد محمد شريف سليم بعشرين عامًا لم يعين أحد من خريجي دار العلوم ناظرًا لها، ورغم ذلك، كان كل وكلاء المدرسة في عام ١٩٢٣ من خريجي دار العلوم. وبعد عام ١٩٣٩ يمكننا أن نقول الكلام نفسه عن نظار دار العلوم، وقد تغير الناظر فأصبح عميداً[١٢٢].

(وللحديث بقية في العدد القادم)

[١٢٢] تقويم دار العلوم ص١٤٤ و١٥٧.





- **فاتحة العدد**:

الثقافة واللغة والتعليم في مصر الحديثة

(1872 - 1923)

ودور دار العلوم في تحديثها

للدكتورة لويز آرمين أروين . جامعة ميشتجين

تعريب وتقديم وتعليق: د. الطاهر أحمد مكي

الفصل الثالث:

- **هيئة التدريس في دار العلوم**:

حتى أتمكن من دراسة هيئة التدريس في دار العلوم ما بين عامي (1872 – 1923) جمعت مادة وفيرة من المعلومات التي تتصل بسيرة حياتهم[1]. بعضهم مثل محمد عبده، وحسين المرصفي . أسهم في تطوير التعليم في مصر، وفي المجتمع أيضاً، مما أكسبهم شهرة وصيتاً في بلادهم وخارجها، فخلد اسمهم حتى يومنا هذا، وآخرون لم يحظوا بمثل هذه الشهرة الواسعة، أمثال إسماعيل رأفت، وعلي الجارم (تخرج في عام 1908)[2]، ومع أن

[1] يقدم الجدول رقم 3 المذكور فيما بعد، قائمة جزئية بأوائل هيئة التدريس ومرتباتهم.

[2] في أغلب الأحوال مثل هذه الأرقام تشير إلى سنة التخرج في دار العلوم.

بعض أعضاء هيئة التدريس يستحقون أن أتناولهم بالتحليل هنا، في هذا الفصل الخاص بدراسة هيئة التدريس، إلا أن غايتي منه ليست تقديم سير ذاتية لكل فرد ممن عملوا فيها، في الفترة المحددة للبحث، ولكني حررته رعايتي منه:

- إيجاد إطار واضح ومفهوم يعاون في تحليل العلاقة بين دار العلوم إدارة وبين هيئة التدريس فيها من جانب، وبينها وبين التعليم المصري كلاً من جانب آخر.

ولأن مثل هذه السيرة تحملني بعيداً عن الغاية من هذا التحليل.

جدول رقم 3

نموذج مختار من موظفي دار العلوم ومرتباتهم[3].

[3] تقويم دار العلوم، ص11. أما عن النظار فكان راتب حامد نيازي عشرة جنيهات مصرية شهرياً عام 1874، وكان خلفه محمود فوزي يتقاضى في عام 1876 سبعة جنيهات ونصف شهرياً، ثم أصبحت ثمانية، وتقاضى علي فهمي رفاعة خمسة عشر جنيهاً مصرياً شهرياً في المدة التي تولى فيها النظارة، وامتدت سبعة أشهر في العام المدرسي 1879/1878، وحصل حامد نيازي عند تولية النظارة للمرة الثانية. وخلف فيها علي فهمي. على الراتب نفسه، ثم ارتفع في عام 1880 إلى خمسة وعشرين جنيهاً شهرياً.

أسماء موظفي المدرسة ومرتباتهم في المدة من سنة 1872 إلى سنة 1881

أسماء المدرسين	المواد	المرتب من سنة 1872						
		72	73	74	77	80	81	
		جنيه	جنيه	جنيه	جنيه	جنيه	جنيه	
الشيخ حسن المرصفي	مدرس عام							كان ناظر المدرسة في سنة 74 هو حامد نيازي أفندي ومرتبه 10 جنيهات شهرياً وخلفه محمود أفندي فوزي بمرتب 7.5 شهرياً ثم 8.5 وخلفه علي بك فهمي بمرتب 25 جنيهاً ثم حامد نيازي بك للمرة الثانية بمرتب 25 جنيهاً من سنة 1880
الشيخ أحمد شرف الدين المرصفي	مدرس تفسير	4	6	6	6	11	15	
الشيخ عبد الرحمن الجيزاوي	مدرس فقه	4	4	4	4	4	4	
الشيخ سليم عمر القلعاوي	مدرس فقه	3	.	.	.	.	.	
الشيخ حسونة النواوي	مدرس فقه	.	3	3	.	.	.	
يعقوب أفندي جعفر	مدرس حساب	.	.	.	3	3	3	
محمد أفندي جعفر	مدرس خط	.	.	3	3	.	.	
يوسف أفندي وعدي	مدرس حساب	.	.	1.	1.	1.	1.	خلاف 6 جنيهات المرتب له على مدرسة التجهيزية
محمد أفندي أمين	مدرس طبيعة	.	.	.	.	3	3	
الشيخ محمد أحمد صالح	معيد	.	.	.	.	3	3	
الشيخ محمود عمر	معيد	.	.	.	.	.	5	
إجمالي مرتبات الهيئة في الشهر		.	.	.	.	.	5	
إجمالي عدد الهيئة في السنة		11	13	16	26	26	39	
المرتبات بالجنيه المصري		3	3	5	5	6	8	

يشمل هذا الإطار الذي قمت به لتحليل هيئة التدريس في دار العلوم من حيث

المحتوى: تأريخ الأحداث والخلفية التعليمية والأيديولوجية، وقد ذكرنا ونحن نناقش قضية

اختيار نظار دار العلوم أن الخريجين الذين تلقوا تدريباً أكثر كانوا المرشحين النموذجيين لشغل هذا المنصب[4] وسوف أقوم هنا بتحليل مماثل لهيئة التدريس في دار العلوم، وقد وجدت أن هؤلاء الخريجين بعامة يفهمون وظيفتهم ويتفاعلون مع المدرسة، ويملكون مزيجاً من التعليم الديني والتعليم العام مما يسَّر لهم سبل التواصل مع طلاب دار العلوم. أما أولئك الخريجون الذين أكملوا دراساتهم في أماكن أخرى بعد تخرجهم في دار العلوم فقد اكتسبوا ميزة إضافية إما بدراستهم في تعليم ذي منظور أجنبي، أو بتلقيهم توجهاً تعليمياً يختلف بعض الشيء عما درسوه في دار العلوم، ولكن في سياق مصري.

وبما أن دار العلوم أول معهد لإعداد المعلم في مصر، وأن التدريس لم يكن مهنة، ولا في أي مكان آخر من العالم[5]، فقد أكمل أوائل المدرسين في دار العلوم تدريبهم الرسمي

---

[4] انظر الفصل الثاني فيما سبق.

[5] انظر: جفري ميللر سون: رابطة التأهيل دراسة في الاحتراف، لندن 1964.

Geoffery Millerson: A study In Professionazation (London 1964).

- فنسنت تنتو: الإدراك الحسي للتكوين الحرفي والطموحات الصناعية بين الصفوة التركية الصاعدة.

Vencent Tinto: Perceptions of occupational structure and career aspirations among the future Turkish elite.

مقالة نشرت في الصحيفة الدولية لدراسات الشرق الأوسط، العدد 8، ص334 (يوليه 1977).

- ريد: ص24-57، المنظمة المهنية. Reid: "Professioni organization".

- أندريس م. كزميس، التعليم والتفتيش للتحديث في تركيا، (شيكاغو 1966)، ص62، 72-75.

Andreas M. Kazamias: Education and quest for modernity.

جدير بالذكر أنه أنشيء في تركيا العثمانية في أوائل عصر التنظيمات معهد يمكن أن يقارن بدار العلوم في مصر.

=

إما في مدارس عامة أو في الأزهر. ومع ذلك لم يكونوا في مستوى يسمح لهم بتنفيذ برامج إعداد المدرس المهني المتخصص. ويمكن القول إن كل ما قام به خريجو دار العلوم هو تطوير الوعي المهني، ومن ثم بدأ إعداد هذا المدرس يتحقق حين قام هؤلاء المدرسون الجدد الذين تخرجوا في دار العلوم واعتبروا أنفسهم مدرسين مدربين، بإعداد طرق تدريس وكتب جديدة، واستطاعوا أن ينقلوا هذا الوعي إلى طلابهم في دار العلوم.

تقدم لنا الفئات التالية إطاراً سهلاً ومتماسكاً لدراسة أعضاء هيئة التدريس في دار العلوم ما بين عامي 1872 و 1923:

1- **مصريون ليسوا من خريجي دار العلوم**، وهم إما:

أ- علماء من الأزهر.

ب- أو خريجو المدارس العامة.

=

وقد تناولت أنا أيضاً موضوع تطوير احتراف التدريس في مصر: "دار العلوم نموذجاً" في دراسة شاركت بها في الاجتماع السنوي لجمعية دراسات الشرق الأوسط عام 1975.

- أحسب أن المعهد الذي تشير إليه الباحثة هو "دار الفنون"، وعلى العكس من دار العلوم تماماً كانت غايته إعداد مدرسي المواد العلمية، وقد سبق دار العلوم في الإنشاء، ومن ثم جاءت تسميتها لتميزها عنه، لأنها تعد مدرسي اللغة والأدب والدراسات الإسلامية فحسب. (المعرب).

2- خريجو دار العلوم. وهم إما:

أ- من حملة شهادة دار العلوم فحسب.

ب- أو يحملون مع شهادة دار العلوم شهادات أو دبلومات أخرى.

3- أجانب[6].

وقد استقيت المحتوى التاريخي لبناء هذا الهيكل من الزيادة في الفئة الثانية حتى عام 1923، إذا كانوا يمثلون أغلبية أعضاء هيئة التدريس في دار العلوم، على حين بدأت الفئة رقم (1أ) تختفي، وارتبطت نسبة الفئات رقم (1ب) ورقم 3 ارتباطاً قوياً بمقررات الدراسة في دار العلوم. ولكن الفئة رقم (1ب) تآكلت قليلاً أيضاً عن الفئة رقم2. وليس ثمة أي دليل على تعرض دار العلوم لأي خطر من أي لون أن يسحقها، أو يسيطر عليها، هيئة تدريس أجنبية، كما هو الحال في معاهد إعداد المعلمين التي أنشئت بعد دار العلوم؛ مثل ما حدث في المدرسة التوفيقية أو المدرسة الخديوية، ولم يحدث أن اجتمع واقعاً أكثر من مدرسين أجنبيين في دار العلوم في وقت واحد.

- **علماء الأزهر**:

اللمسة البارزة في العلماء الذين درسوا في دار العلوم، في أواخر القرن التاسع عشر أنهم جميعاً، إما عرفوا ـ بعامة ـ بأنهم علماء أزهريون متفتحون، أو شاركوا ـ بخاصة ـ في حركة الإصلاح الإسلامية التي ارتبطت بقوة بالإمام محمد عبده[7].

---

[6] لن أتناول هذه المجموعة بالتحليل، لأن عددها قليل، ولا يعرف عن أفرادها غير معلومات يسيرة.

إن أي ذكر لدار العلوم قبل هذه الدراسة كان يشوه . غالباً . سمعة دار العلوم وعلاقتها بالأزهر. ومن ثم أرى أن وجود أزهريين بين أعضاء هيئة التدريس في تاريخ دار العلوم، وسمعة المدرسة نفسها في أيامها الأولى يستحقان منا هنا بعض التفكير.

والحق أن تقييم هيوارث دن وضع دار العلوم قبل الاحتلال البريطاني لا يفسر السمات الرئيسية للظواهر السلبية في العلاقة بين دار العلوم والأزهر، والتي تعرض لها عندما ناقش الطريقة الأزهرية وتأثيرها الضار في تكوين الطلاب، واستنتج من ذلك عدم

=

(7) تتضمن المصادر التي استخدمتها ما يلي:

- السيد محمد رشيد رضا تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، في أربعة أجزاء، القاهرة 1344هـ = 1925/1926.
- آدمز، الإسلام والحداثة. Islam and Modernism
- محمد عبده، رسالة التوحيد، إعداد محمود أبو ريّاح، القاهرة 1971، وترجمتها إلى اللغة الإنجليزية The Theology of unity التي قام بها إسحاق مسعد وكينيث كراج، لندن 1966.
- عثمان أمين، محمد عبده، الترجمة الإنجليزية التي قام بها تشالز زيندل، واشنطن D.C. 1953.
- أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث ط3، القاهرة 1971.
- جورجي زيدان، تاريخ أدب اللغة العربية، المجلد الرابع.
- كينيث كراج، Counsels in Contemporary Islam (ليدنبرج 1965).
- هاملتون أ.ر. جب، Studies in The civilization of Islam لندن 1962.

- ترجم الكتاب إلى العربية بعنوان: دراسات في حضارة الإسلام . الدكتور إحسان عباس وآخرون، ونشره في بيروت (دار العلم للملايين) عام 1964. (المعرب).

- تاريخ التعليم في مصر، معاجم بيوجرافية ومصادر أخرى، سوف أذكرها فيما بعد.

مناسبة دار العلوم لتخريج المعلم المناسب، وأن فشلها في تحقيق هذه الغاية كان أمراً ملموساً، ولكنه لم يؤد إلى إلغائها، وإنما أنشئت سنة تحضيرية حديثة لإعداد الطلاب في عصر الخديوي توفيق[8].

[لتعويد الطلبة البيان التحريري الذي لم يألفوه بالمعاهد الدينية، وأدخلت فيها دراسة علم الأخلاق وفن الإملاء، واعتبرت أساساً لانتخاب من يتمم مقررها ويظهر كفاءة للانتظام في سلك طلبة المدرسة][*].

إذا دققنا النظر في نقد هيوارث دن تبين لنا أنه لا يتحدث عن هيئة التدريس في دار العلوم، وإنما يتحدث عن طلبتها، فهو يقول عنهم: "إنهم ذهبوا لعملهم واكتسبوا علوماً جديدة، بنفس الطريقة التي حفظوا بها القرآن، وقواعد اللغة العربية، والفقه، وبقية المنهج الدراسي في الأزهر[9]. وهي مقولة أرسلها دن دون أن يسندها إلى أي مصدر ومع أن هذه المقولة تعبر عن شيء من الحقيقة إلا أنها لا تنتهي بنا إلى نتيجة تقرر أن دار العلوم فشلت في تخريج معلمين صالحين، وكل ما يمكن قوله إن طلبتها في العقد الأول من حياتها على الأقل، لم يكيفوا في سهولة توجهاتهم التعليمية السابقة وفق التدريس المهني المنتظر منهم.

---

[8] هيوارث دن في كتابه صفحة 380 وينتقد كنزي أيضاً في كتابه ص161 الأساليب العقيمة التي اكتسبها الطلبة من مناخ العصور الوسطى الذي كان سائداً في الأزهر.

[*] الفقرة الواردة بين معقوفتين زيادة عن الأصل، اقتبستها من قانون إنشاء هذه السنة لمزيد من الإيضاح. (المعرب).

[9] هيوارث دن ص379.

وكان تحديد سن القبول إحدى المشكلات الواضحة، وفي الفصل الرابع من هذا البحث سوف نتناول بالتفصيل قواعد تخفيض سن المتقدمين للالتحاق بدار العلوم تدريجاً، بعد أن اتضح صعوبة إعادة تعليم الطلاب من كبار السن في الفترة التي ناقشها هيوارث دن، وفيها لم تكن دار العلوم تدرس أي مقرر يتصل بعلم التربية وأصول التدريس، غير أن المنهج الدراسي لعام 1887 أضاف هذه المادة، وفي منهج عام 1891 أضيفت مادة التربية العملية. وإذا كان غياب تدريس المواد المقررة المتصلة بعلم أصول التربية في هذه الفترة من حياة دار العلوم قد حجب ما تمتعت به هيئة التدريس فيها من تدريس مبدع خلاق نسبياً، فهو لا يثبت بالضرورة أيضاً أن الطلبة لم يتلقوا أياً من طرق التدريس الجديدة قبل إدخال هذه المواد في المنهج الدراسي لدار العلوم.

يبقى، من هم هؤلاء العلماء الذين كانوا يدرسون في دار العلوم حينئذ، وما الدليل على تميزهم، وأنهم يختلفون عن أقرانهم في الأزهر؟

اثنان من أعضاء هيئة التدريس الأصليين في دار العلوم، وهما: الحسين المرصفي، وأحمد شرف الدين المرصفي، يمثلان علماء الأزهر الذين درسوا في دار العلوم[10]. واختيارهما

---

[10] توجد معلومات عن سيرهم في: محمد عبد الجواد، كتاب الحسين بن أحمد المرصفي، القاهرة دار المعارف 1952.

- في مواضع متفرقة من كتاب تاريخ التعليم في مصر، المجلد الثاني.
- خير الدين الزركلي، الأعلام 172/2. – محمد عبد الجواد، تقويم دار العلوم.
- محمد خلف الله أحمد، الحياة الأدبية في مصر الحديثة، وعلاقتها بالعالم المعاصر ص85-100، في مجلة عالم الإسلام Muslim World العدد 44 (1954). قد يذكر اسم حسين، دون أداة التعريف العربية، وآخرون كذلك، من

=

للتدريس يعطي فكرة عن نوعية المعهد، والنية المعقودة على شكله مستقبلاً، وما سوف يراد منه. وكان علماء الأزهر الذين درسوا في دار العلوم يشتركون بعامة في الخصائص التالية:

- ذاعت شهرتهم في الأزهر بأنهم علماء مجددون.
- درسوا في مدارس أخرى غير دار العلوم.
- تفاعلوا مع بعضهم بعضاً، زملاء وطلبة ومدرسين خارج دار العلوم وداخلها.
- اعتبرهم المجتمع شخصيات هامة في التعليم.
- في مجال التجديد ارتبط كلا الاثنين، الحسين المرصفي وأحمد شرف الدين المرصفي بطلبتهم في الأزهر أمثال: محمد عبده، وحسن الطويل، وحسونة النواوي، وجميعهم درسوا بعد ذلك في دار العلوم[11]. وكان الحسين المرصفي يختلف عن زملائه الأزهريين في أنه يقدم لطلابه في مادة الدروس الأدبية التي يدرسها لهم، في الأزهر أو في دار العلوم، معلومات حديثة عن بلدهم وعالمهم، ويجري معهم مناقشات عن قضايا مختلفة مثل: ما كان عليه الرق في سالف الأزمان والجغرافيا والأحياء والطبيعة والفلك والفنون مما يحتويه كتابه: "كتاب طريق الهجاء والتمرين على القراءة في اللغة العربية"، وهو

=

قرية مرصفي بجوار بنها، واقترنت أسماؤهم بدار العلوم، وهم: حسن نائل المرصفي، والتحق بدار العلوم 1872، ومحمد حسن قدوسة، والتحق بها عام 1894، وحسن محمد والتحق بها عام 1912، ونبيل إبراهيم الدسوقي، والتحق بها عام 1929، طبقاً لما ورد في كتاب الحسين ص145 وما بعدها.

[11] تاريخ التعليم في مصر 792/2، الحسين صفحات 100، 105.

مجلدان[12]. وإلى جانب ذلك ابتدع طرقاً تدرس للطلاب تعلمهم كيف يفكرون بأنفسهم، ويفهمون ما يدرسون بدل أن يحفظوه ببساطة عن ظهر قلب[13]. أما أهم كتبه وأعظمها تأثيراً فهو "الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية"، في مجلدين، صدر الأول منهما عام (1289-1292) = (1872-1875م)، والثاني عام (1292-1296) = (1875-1879م)، ويتضمن المحاضرات التي ألقاها على طلبته في دار العلوم[14].

ونشر في صحيفة روضة المدارس الكثير من هذه المحاضرات تحت عنوان: "ملخص الدروس الأدبية التي ألقاها بدار العلوم الخديوية حضرة العلامة الشيخ حسين المرصفي مدرس علوم الأدب بها" وقيام المطبعة الأميرية بطبع المجلدين اللذين يبلغ عدد صفحاتهما قرابة ألف صفحة دليل على أن هذا الكتاب كان يستخدم في المدارس الحكومية.

وقد لخص الشيخ الحسين المرصفي في كتابه "الوسيلة الأدبية" قواعد النحو والبلاغة ليسهل على الطلبة تعلمها، وجرد كتابه من الجدل العقيم والمماحكات النحوية المعتادة، والأمثلة الشاذة، والاستشهاد بالأساليب المتروكة التي كانت تملأ الكتب القديمة، كما نوع الأمثلة في كتبه، مقتبساً القواعد من القصص الأدبية والقرآن والحديث وأبدى اهتماماً خاصاً بذكر المصادر التي اقتبس منها بدقة. وعندما تقدم أحمد الإسكندري الذي تخرج في عام

---

[12] الحسين ص42.

[13] المرجع نفسه ص43، 10.

[14] المرجع نفسه، ص 70-72.

1897 بفكرة تدريس اللغويات كان الظن أنه أول من قام بهذا، ولكن الحقيقة أن الحسين المرصفي سبقه بهذا، وأوصى به في المجلد الأول من كتابه "الوسيلة الأدبية"[15].

واكتشف محمد عبد الجواد أيضاً أن الإسكندري استخدم أمثلة في شعر المتنبي ومجموعة من الأمثال العربية سبق للشيخ الحسين المرصفي أن استخدمها في كتابه "الوسيلة"[16]. وألف الشيخ الحسين المرصفي كتاباً آخر معروفاً هو: "رسالة الكلم الثمان" ناقش فيه علم السياسة والتعليم الوطني من خلال ثمان كلمات هي: "الأمة والوطن والحكومة والعدل والظلم والسياسة والحرية والتربية" ونشره في أكتوبر عام 1881م أثناء الصخب الذي واكب تولي الخديوي توفيق عرش مصر عام 1879[17]. ويكشف الكتاب عن تأثر الشيخ الحسين المرصفي بالمفاهيم الفرنسية فيما يتصل بالإصلاح الاجتماعي والتعليم والاقتصاد والمساواة والديمقراطية[18]. وربما اتكأ الحسين المرصفي في أفكاره إماماً للمجددين[19]. على الكثير مما في مقدمة ابن خلدون، وقام مع زميله الإمام محمد عبده

---

[15] المرجع نفسه ص115 ويذكر ص38 من الوسيلة الأدبية.

[16] المرجع نفسه، ص71.

[17] عفاف لطفي السيد مرزوق، بدايات التحديث بين شيوخ الأزهر 1798-1879م في Polk and chambers, P. 268. وتذكر تاريخ التأليف على أنه 1879، وتتخذ منه مثلاً على بدايات التحديث المبكرة في الأزهر.

[18] الحسين ص92-95.

[19] المصدر نفسه ص71.

بتدريسها في دار العلوم[20]، كما كان مسئولاً عن تدريس التاريخ والأدب في الأزهر[21] وقد تبنى طلبة الشيخ المرصفي وزملاؤه الأساليب التي طبقها في التدريس، وما طبقه منها في دار العلوم خاصة، وظل يدرس فيها حتى عام 1888م، أي إلى قبيل وفاته بفترة وجيزة. كان من بين الذين أثر فيهم الشيخ الحسين المرصفي، إلى جانب من ذكرنا فيما سبق، عبد الله فكري، وحفني ناصف، اللذين تخرجا عام 1882، وأحمد الحملاوي الذي تخرج عام 1888، ومحمد دياب، وتخرج عام 1876، ومحمد صالح الذي تخرج عام 1880، ومصطفى طموم الذي تخرج 1883، ومحمود عمر وسلطان محمد اللذان تخرجا عام 1884[22] ومحمود سامي البارودي[23] وأمير الشعراء أحمد شوقي وحمزة فتح الله[24]. إلى

---

[20] ولكن عفاف مرزوق تذكر في دراستها بدايات ص276 أن هذا الكتاب لم يُدرس في دار العلوم حتى عام 1911.

[21] يذكر كتاب الحسين ص76-81، أن هذه العلوم لم تكن تدرس على نحو كامل إلى أن ألف حسن توفيق العدل (تخرج عام 1887) كتابه تاريخ آداب اللغة العربية، وهو أول كتاب من نوعه في اللغة العربية.

- طبع هذا الكتاب عام 1906 بعد وفاة مؤلفه، وأخيراً قام الدكتور وليد محمود خالص بتحقيق الكتاب ودراسته، ونشرته مؤسسة البيان في دبي عام 1993. وصدرت من هذا التحقيق نفسه طبعة ثانية في عمان (الأردن) عام 2001م. (المعرب).

[22] كل هؤلاء من خريجي دار العلوم وألفوا فيما بعد كتباً دراسية، لتدريس الإنشاء والبلاغة وقواعد اللغة العربية.

[23] تولى رياسة الوزارة لفترة وجيزة أثناء الثورة العربية، وهو شاعر مشهور، وأشار إلى الحسين المرصفي في ديوانه أكثر من مرة وعني بجمعه وتحقيقه علي الجارم ومحمد شفيق عطا.

- تاريخ نشر الديوان يحتاج إلى فضل بيان: فقد قام على تحقيقه شاعر العروبة علي الجارم، ومحمد شفيق معروف بتكليف من وزارة المعارف، ونشر الجزء الأول منه في مجلدين عام 1940، وينتهي حتى قافية الكاف، ثم توقف النشر لوفاة المرحوم علي الجارم.

=

جانب قيام الحسين المرصفي بالتدريس في كل من الأزهر ودار العلوم، كان يتولى التدريس أيضاً في مدرسة العميان والخرس، والتي ألغيت في ديسمبر 1889 قبل وفاته في يناير عام 1890 بفترة وجيزة وكان يدرس فيها إلى جانب القرآن الكريم والنحو والفقه والتوحيد مادة الخط العربي والفرنسي بالحروف البارزة، بطريقة اللمس باليد "طريقة بريل"[25] التي كانت مستعملة في المدرسة في ذلك الوقت وكان أحمد شرف الدين المرصفي رفيق الحسين، يدرس، إلى جانب تدريسه في الأزهر وفي دار العلوم، في مدرستي المبتديان والتجهيزية، مادتي الحساب والمساحة[26]، كما شارك الرجلان في عدد من اللجان التعليمية الهامة: شارك أحمد مصطفى عضواً في أول مجلس للمعارف تكون في مارس 1868، وشارك الحسين المرصفي عضواً في مجلس التعليم العالي الذي تشكل في مارس 1881[27].

=

ثم أعادت دار المعارف طبع الديوان كاملاً في أربعة مجلدات، بين عامي 1971-1974: المجلد الأول من قافية الهمزة إلى قافية الذال، والمجلد الثاني من قافية الراء إلى قافية الكاف، وهما بتحقيق علي الجارم ومحمد شفيق معروف. والمجلد الثالث من قافية اللازم إلى قافية الميم، والمجلد الرابع، والأخير، من قافية النون إلى قافية الياء، وهما بتحقيق محمد شفيق معروف.

وفي عام 1992 وقفت مؤسسة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري دورتها الثالثة علي البارودي درساً ونشر إبداع، فأعادت نشر ديوانه كاملاً، وكذلك مختاراته الشعرية في مجلدين، والدراسات التي تمت حوله. (المعرب).

[24] عضو في هيئة التدريس في دار العلوم والمفتش الأول للغة العربية في نظارة المعارف.

[25] تاريخ التعليم في مصر 353/2، والحسين ص51، وقد درس حفني ناصف النحو في دار العلوم ما يقرب من عامين.

[26] تاريخ التعليم في مصر 122/2 و184 و541.

[27] المصدر نفسه، الصفحات 44، 45، 122.

وفي عام 1888 حل الشيخ حسن الطويل محل الشيخ الحسين المرصفي في تدريس الأدب في دار العلوم فأثار في طلبته الاهتمام بتاريخ الأدب والنقد[28] وجاء تعيينه وفقاً للوائح التي صدرت بشأن دار العلوم في عام 1887[29].

والشيخ حسن الطويل أصلاً من محافظة المنوفية، عمل مدرساً في الجامع الأحمدي في طنطا، ثم انتقل للتدريس في الأزهر، ومنه انتقل للتدريس في دار العلوم[30] ورغم أنه لم يكن مجدداً مثل المرصفيين الحسين وأحمد كان من أقرب الأساتذة إلى قلوب طلابه في دار العلوم وفي الأزهر. وخلال الثورة العرابية انتظم طلبة حسن الطويل بمن فيهم حفني ناصف في سلك المتطوعين، وتدربوا في "قشلاق" عابدين على الرماية وبعض الفنون الحربية، وعند اختيار ثلاثة من طلابه في دار العلوم لمشاهدة الأوبرا كان الشيخ حسن الطويل مرافقاً لهم[31]. ويورد كاتب آخر القائمة التالية من خريجي دار العلوم، على أنهم ممن تأثر بالشيخ

---

[28] الزركلي 196/2-197.

[29] تقويم دار العلوم ص22، وقد ناقش محمد عبد الجواد في كتابه "الحسين" ص36-64 الخلاف الذي حدث بين الخديوي وعلي مبارك وآخرين حول عزل الحسين المرصفي، وتولية حسن الطويل مكانه، وأغلب الظن أن عزله عجل بوفاته.

[30] تقويم دار العلوم، ص241.

[31] يشير الأب جاك جومبيه في دراسته عن الشيخ طنطاوي جوهر (1862-1940)، وتفسيره القرآن إلى التأثير الذي أحدثه حضور طنطاوي (تخرج في دار العلوم 1893) للأوبرا بهذه المناسبة.

Jacques Jomier: Le chikh Tantawi Jawhaily (1869 1940) et son commantaire du Coran.

حسن الطويل وهم: حسن منصور، تخرج في 1892، ومحمد الخضري، تخرج في 1895، وعبد الوهاب النجار، تخرج في 1897[32].

وثمة عالم آخر متميز، درس الفقه في دار العلوم في سبعينيات القرن التاسع عشر هو الشيخ حسونة النواوي، (1840-1925)[33]، ولد في محافظة أسيوط، ودرس الشريعة في مدرسة الحقوق والمحاسبة والمساحة، كما عمل قاضياً في عدد من المحاكم، ثم عين وكيلا للأزهر، وشيخاً له فيما بعد، وشأنه في ذلك شأن الحسين المرصفي، والإمام محمد عبده، اهتم بالإصلاح التعليمي، وأسهم في تطويره عضواً في المجلس الأعلى للتعليم الذي أنشئ في مارس 1884، ورأى معاصروه في الأزهر وخارجه في تعيينه وكيلاً له، ثم شيخاً له من بعد إشارة إيجابية من الحكومة بموافقتها على إصلاح التعليم في هذا المعهد العتيق[34].

أما الشيخ سليمان العبد فلم يدرس في مدارس عامة أخرى، ولكنه تولى التدريس في دار العلوم وفي الأزهر، وأصبح من كبار العلماء، وتولى مشيخة الشافعية منذ عام 1911[35].

---

[32] محمد عبد الجواد رمضان، أدباء الأزهر في القرن التاسع عشر وأثرهم في الحركة الأدبية في مجلة الأزهر العدد رقم 18 (رجب 1366-1947) ص669.

[33] من مصادر دراسته: تاريخ التعليم في مصر 540/2، 553، 598، 792، 126.

- الزركلي، الأعلام، 236/2. - تقويم دار العلوم، ص171.

[34] عبد المتعال الصعيدي تاريخ الإصلاح في الأزهر، الطبعة الثانية القاهرة 1943، 46/1.

[35] تقويم دار العلوم، ص171.

- إلياس زاخورة، مرآة العصر في تاريخ ورسوم أكابر الرجال لمصر، 482/1-484.

=

وثمة شيخ آخر أوسع شهرة، درس في الأزهر، ولكنه لم يدرس فيه، هو حمزة فتح الله[36]، وهو من أصل تونسي، ولكنه ولد ونشأ في مدينة الإسكندرية، ابناً لعالم، وبعد أن استكمل دراسته في الأزهر عاش فترة في تونس حيث تعلم اللغة الفرنسية، ثم عاد إلى مصر وعمل فور رجوعه إليها صحفياً سياسياً، ثم محرراً لمجلة البرهان وجعل منها لسان حال الدفاع عن الخديوي توفيق عام 1881، وأثناء الثورة العرابية أصدر مجلة الاعتدال للغرض ذاته[37]. وبعد فترة وجيزة عُين مفتشاً للغة العربية في وزارة المعارف العمومية.

يُعد حمزة فتح الله بحق من أبرز النماذج التي ظهرت في مصر في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وجاءت شهرته الواسعة نتاجاً لجهوده المتواصلة في إصلاح اللغة العربية، وحضر مؤتمري المستشرقين السابع والثامن اللذين عقدا في فيينا واستوكهلم، وألقى في هذا

=

- عمر الدسوقي، في الأدب الحديث: الشعر بعد البارودي، الطبعة الثانية (القاهرة 1954) 310/2 وعمر الدسوقي تخرج في دار العلوم 1932.

[36] ذكرت سيرته في: نقولا يوسف، أعلام من الإسكندرية، ص277-279.

- تقويم دار العلوم، ص171.
- وزارة المعارف العمومية، القرار الوزاري رقم 986، في 9 نوفمبر 1903.
- الزركلي، 2-313. - كنزي ص149.
- أنور ج. شجن: العربية في معناها ومكانتها في المجتمع العربي الإسلامي، في جريدة الرق الأوسط، العدد 19 (1965) ص457.
- Anwar G. Arabic: Its Significance and place in Arab Muslim Society.

[37] نقولا يوسف، أعلام، ص278.

المؤتمر الأخير بحثاً عن الأسلوب العربي[38]. وفي عام 1888 شارك حسن الطويل الذي تحدث عنه سابقاً والحسين المرصفي، ومحمد صالح[39] (تخرج هذا عام 1880)، بوصفه عضواً في لجنة خاصة ألفت لدراسة أمر تدريس اللغة العربية في المدارس الحكومية[40]. ويستحق التقرير الذي أعدته اللجنة اهتماماً خاصاً، بوصفه نموذجاً لجهود هؤلاء العلماء وقد نص القرار الذي ألفت اللجنة بمقتضاه على "أن اللغة العربية أهم مادة في التعليم"، وركز القرار أيضاً على ضرورة تيسير تعلمها لمن يرغب في ذلك من عامة الناس، وقد اهتمت اللجنة بطرق التدريس خاصة، وبالكتب المدرسية، واستشار أعضاء اللجنة أثناء إعدادهم التقرير القائمين بتدريس اللغة العربية فعلاً في المدارس الحكومية في كافة مستوياتها، وتناولوا بالفحص والدرس المواد التي تدرس. وأدركت اللجنة أن المشكلة تكمن في وجود لغتين عربيتين، إحداهما فصحى والأخرى عامية. ورأت اللجنة أن الالتحاق بدار العلوم قمة تعلم اللغة العربية.

---

[38] المصدر نفسه ص279.

[39] عمل مدرساً مساعداً لمدة سنة تقريباً، ودرس لفترة قصيرة الحساب والعلوم والنحو في المدرسة التجهيزية، وعمل في تفتيش المدارس حتى عام 1889. وبعد هذا العام وحتى سنة 1921 عمل قاضياً ووكيلاً ورئيساً في المحاكم الوطنية، وتنقل بين عدد من المدن، وأعلى منصب تقلده مستشار في محكمة الاستئناف بالقاهرة.

[40] يوجد التقرير في النشرة الوزارية رقم 232، نظارة المعارف العمومية، 20 ديسمبر 1888، الصادر بناء على القرار الوزاري رقم111 بتاريخ 29 نوفمبر 1888، الموجود في النشرة رقم 276، التي تصدرها نظارة المعارف العمومية، 3 ديسمبر 1890، والخاص بتدريس اللغة العربية في المدارس الثانوية، متضمناً القرار الوزاري رقم 174 بتاريخ نوفمبر 1890.

فيما يتصل بأهداف العملية التعليمية ركزت اللجنة على أن الغاية منها: القدرة على فهم ما هو مكتوب في مختلف المجالات، حتى يسهل على الناس استخدامها في ضرورياتهم، وفي نشاطهم الصناعي، وفي العمل بوصفه وسيلة الحياة في مجتمع منظم إلى درجة تقرب من الكمال، بأسلوب أكثر انسجاماً. ويتم توضيح هذا الهدف وشرحه للطلاب في المدارس الحكومية، ممن سيتولون الوظائف الحكومية، أو يشقون طريقهم في الحياة العامة: أطباء ومهندسين ومحامين وغيرهم[41]، ولكي يبلغ الطلاب الهدف الذي يتطلع إلى فهم اللغة العربية ركزت اللجنة على ضرورة تبسيط قواعدها، وعلى أهمية وجود كتب جيدة العرض[42]. كتب تبدأ من أدنى المستويات التعليمية حيث تقدم للطلاب المواد الأساسية مثل علم الأحياء والنبات وغيرها، ثم تنتقل بهم إلى مرحلة أخرى يكون فيها النحو مدعماً بالتكرار واستخدام الأمثلة في النهاية، ومن المتوقع أن يتعلم الطلاب النحو في صورة أكثر تنظيماً ويسراً، على ألا يتم هذا إلا بعد أن يتعلم الطلاب كيف يستخدمون اللغة، وتوقعت اللجنة أن يُحقق الطلاب هذه الغاية بانتهاء الدراسة الابتدائية، لكي يركزوا بعدها على استخدام اللغة في المرحلة الإعدادية، وقد أدركوا أن قواعد اللغة لم توجد عبثاً.

يتضح لنا جلياً مما سبق أن هؤلاء المدرسين الدرعميين الذين سبق أن درسوا في الأزهر كانوا يحاولون أن ينشروا في مصر فلسفة تعليمية جديدة، تعتمد على الفهم أكثر مما تعتمد على الذاكرة، وتهتم بالمحتوى أكثر من اهتمامها بالشكل والحق أن إخفاقهم في تطوير

---

[41] نظارة المعارف العمومية: النشرة الوزارية رقم 232 في 20 ديسمبر 1888 ص186.

[42] كل أعضاء اللجنة هؤلاء لهم كتب تستخدمها المدارس الحكومية.

التعليم في حياتهم كان واضحاً، لكن أفكارهم عاشت في وجدان طلابهم الذين استكملوا المسيرة من بعدهم، في خطى ضيقة، محاولين تحسين وضع تعليم اللغة العربية في مصر، كي يصبح التعليم متاحاً للصفوة ولعامة الناس أيضاً.

من بين كل العلماء الذين درسوا في دار العلوم لم ينل أحد من الإشادة والتقدير ما ناله محمد عبده، وعلى نقيض الآخرين ممن ذكرت لم ينشأ تأثيره في دار العلوم من استمرار تدريسه فيها سنوات متتالية، إذ الحق أن محاضراته لطلابها . وكانت في مادة التاريخ . لم تدم غير عام واحد، وهو عام 1879[43]. ثم استغني عنه في كل من دار العلوم ومدرسة الألسن بعد أن اعتلى الخديوي توفيق العرش في يونيه 1879، ولكن هذه الدفقة الوجيزة من السحر كانت كافية لكي ينفث روحاً جديدة في دار العلوم[44]، من خلال محاضراته عن التغييرات الاجتماعية والسياسية، متخذاً من "مقدمة ابن خلدون" مرجعاً أساسياً.

كان محمد عبده شديد الحماسة في دعوته مصر كي تتغلب على نقاط ضعفها، وجدير بالذكر هنا، أن محمد عبده طالب في عام 1880 بإلغاء الأزهر، وإحلال دار العلوم محله[45]. ومع ذلك كان يرى أيضاً أن تحويل دار العلوم إلى مدرسة قد يؤدي إلى توحيد التعليم المصري، بدل أن تبقى دار العلوم مجرد كلية لإعداد مدرسي اللغة العربية والمواد

---

[43] يقول أدمز في كتابه "الإسلام والحداثة" ص44: إن تعيينه تم في أواخر عام 1878، ويذكر خطأ أن الهدف من المدرسة هو إعداد القضاة للمحاكم الشرعية والمدرسين للمدارس الثانوية.

[44] رشيد رضا، الأستاذ الإمام 135/1-136.

[45] المصدر نفسه، 180/1- 180، 547/2. وتاريخ التعليم في مصر 589/2، 792.

الدينية، وتتلخص خطته التي قدمها إلى اللجنة عام 1880، موضحاً فيها أن يتم إنجاز هذا العمل على النحو التالي[46]:

- التقليل من بعض المواد التي تدرس في الأزهر، واستبدالها بمواد عملية لم تكن تدرس هناك.
- تغيير أسلوب تدريس مادتي التفسير والحديث.
- اختيار مدرسين أكفاء.
- تعيين ناظر للمدرسة يهتم بشئونها.
- منح خريجي دار العلوم حق التدريس في الأزهر.
- زيادة عدد الطلبة المقبولين في دار العلوم حتى يبلغ العدد مئة طالب.
- زيادة مدة الدراسة سنة واحدة يدرب فيها الطلاب على طرق التدريس.
- زيادة نسبة الحضور بالمدرسة حتى يستطيع الطلاب استيعاب المواد المطلوبة.
- قصر وظائف التدريس في المدرسة على خريجي دار العلوم.
- رفع درجة التوظيف لتتناسب مع أهمية الخريجين ومستواهم التعليمي.
- التأكيد على جودة المستوى التعليمي لموظفي المدرسة.
- إلزام الطلاب والخريجين بارتداء الملابس الدينية.

[46] أدمز، الإسلام والحداثة ص68-69. وتاريخ التعليم في مصر 794/2.

لكن اللجنة التي اختارها "قومسيون" تنظيم المعارف تبنت بدل هذه الخطة، خطة أخرى جعلت من دار العلوم القسم الأول من مدرسة المعلمين (الخوجات) التي أنشئت حديثاً، [طبقاً للنظام الذي اقترحه القومسيون، ووافق عليه مجلس النظار في 13 يوليه 1880] وحينما عاد محمد عبده إلى مصر عام 1888 تمنى لو أُسند إليه منصب ناظر دار العلوم، أو على الأقل يُعين عضواً في هيئة التدريس بها، ولكن الخديوي توفيق خشي تأثيره في المدارس، وعينه بدلاً من ذلك في المحاكم الأهلية. وفي أواخر حياته عندما أصبح "مفتي الديار المصرية" ركز جهوده كلها في إصلاح الأزهر بدل محاولة إلغائه وإحلال دار العلوم مكانه. وفي ذلك الوقت بدأت مطالبه المبكرة، الخاصة بإصلاح دار العلوم تأخذ. طريقها إلى التنفيذ، خاصة ما اتصل منها بتعيين ناظر لها يتعهدها ويقوم على أمرها، وانتقاء هيئة تدريس أكثر تخصصاً وأعلى كفاءة، وقد أدت كثرة الطلب على الالتحاق بدار العلوم إلى رفع المستوى التعليمي الذي يقدم للطلاب، وجاء هذا تأكيداً لأهمية الدور الذي تقوم به في التعليم المصري.

- **خريجو المدارس العمومية الأخرى** (**غير دار العلوم**):

الفارق الأساسي بين أعضاء هيئة التدريس ممن تخرجوا في الأزهر وبين الآخرين من غير الأزهريين يتمثل في تدريسهم الجيد، خاصة في السنوات الأولى المبكرة، وفيما عدا ذلك فهم ينتمون إلى الصفوة المتعلمة نفسها التي تدرس في مختلف المدارس العمومية والعليا في مصر على حين حصل الأزهريون الأول على وظائفهم في دار العلوم بتزكية من شيخ الأزهر، أو باختيار من ناظر المعارف العمومية الذي يتولى النظارة في

حينه، جاءت تعيينات غير الأزهريين، إما عن طريق نظارة المعارف بناء على طلب ناظر دار العلوم، أو من اختيار ناظر المعارف نفسه من خلال تزكية مجلس الامتحانات الخاصة.

كيف كان يتم امتحان المتقدمين؟ هذا ما يوضحه لنا تعيين إسماعيل رأفت[47]. عام 1888، وكان إسماعيل رأفت أحد ثلاثة تقدموا للجنة اختيار مدرسين للعمل في الوظائف التابعة لنظارة المعارف العمومية، وكانت اللجنة مكونة من: أحمد نظيم ناظر دار العلوم رئيساً، وعضوية أمين سامي، ومحمود رشاد المفتش في نظارة المعارف العمومية و م. فليبرج بك رئيس مكتب الشئون الخارجية في نظارة المعارف، ومهمة اللجنة أن تختار بخاصة مدرسين لكل من دار العلوم، والتجهيزية، والمبتديان. ولأن مدرسة اللغات في تلك الفترة ضُمَّت إلى دار العلوم فقد أولت اللجنة اهتماماً خاصاً بالمتقدمين الذين يتمتعون بمستوى جيد في اللغات الأجنبية، وفاز إسماعيل رأفت بالتعيين في دار العلوم، لأنه كان يجيد اللغة الفرنسية إلى جانب أنه كان يعرف اللغة الإيطالية[48]. أيضاً وقد بني إسماعيل رأفت لنفسه سمعة طيبة بوصفه مدرساً في دار العلوم، كما درس أيضاً في المدرسة الخديوية وفي الجامعة المصرية. وفي هذه الأخيرة أُلقي سلسلة من المحاضرات عن جغرافيا أفريقيا والشرق

---

[47] نظارة المعارف العمومية، اللجنة الاستشارية، محضر جلسة 2 يناير 1888، وهو يقدم لنا موجزاً لهذه المناقشة.

[48] المصدر نفسه، ويوضح لنا المحضر أيضاً أن اللجنة حاولت أن تختار الشخص الملائم للوظيفة التي يراد له أن يشغلها دون تقيد بالدرجات التي حصل عليها في الاختبار. مثلاً تم اختيار سيد عرفة لمدرسة المبتديان لأنه حصل على أعلى الدرجات في مادة رسم الخرائط.

الأوسط[49]. وكما نرى، جاء اختياره محاضراً في الجامعة المصرية دليلاً واضحاً على احترام زملائه له، ويقول عنه أحمد يوسف نجاتي، وهو دفعة 1906م، وكان أحد تلاميذه، وأصبح فيما بعد زميلاً له في دار العلوم: "إن الوزارة لم تقدره حق قدره" ويضيف: "إن اللحظات التي أمضاها مع إسماعيل رأفت في غرفة الأساتذة في دار العلوم من أكثر اللحظات علوقاً بذاكرته[50]. ورغم أن إسماعيل رأفت درس كلاً من التاريخ والجغرافيا، إلا أن مثل هذه النوعية من تعدد التخصصات لم تتوفر لمدرسين آخرين في نفس المادتين.

وقد خلفه يعقوب صبري مدرساً للجغرافيا والعلوم الحسابية، ولكنه عرف بتخصصه في الجغرافيا[51]، ويوسف وعدي، الذي جاء بعد يعقوب صبري مباشرة، وذكرت عنه في موضع آخر أنه كان متخصصاً في الطبوغرافيا كان يجمع بين تدريس هاتين المادتين في دار العلوم[52]. وكان مدرسو العلوم الطبيعية في دار العلوم يدرّسون عادة مادتي الطبيعة والكيمياء مثل منصور أحمد[53] فقد كان أحد المحاضرين في دار العلوم عام 1871م ثم عضو هيئة

---

[49] تقويم دار العلوم ص: 17.

[50] المصدر نفسه، ص171-175.

[51] تقويم دار العلوم ص11، 171. وتاريخ التعليم في مصر 408/2، والأعلام للزركلي 262/9.

- سركيس 1198/2 بورد ما نشر له في الجغرافيا.

[52] تاريخ التعليم في مصر 520/2، 599. وتقويم دار العلوم ص11.

[53] تقويم دار العلوم ص171، وتاريخ التعليم في مصر 582/2، 599.

التدريس فيها فيما بعد، وأحمد عبد العزيز[54]. وكلا الاثنين تمتع بالتدريس في الأماكن الثلاثة.

لكي نبرهن على أن أعضاء هيئة التدريس في دار العلوم الذين ينتسبون إلى هذه المجموعة يكونون جانباً من الصفوة التي كانت تدرس في المدارس العمومية نقدم ما يلي دليلاً على ذلك: كان يوسف وعدي ناظراً لمدرسة طنطا، التي أنشئت في عام 1868، في الفترة ما بين ديسمبر 1875 ويوليه 1879، كما عمل مدرساً في المدرسة التجهيزية وفي المدرسة الفنية[55].

وكان أحمد عبد العزيز مدرساً لمادة العقاقير في مدرسة الطب في القاهرة[56] أما منصور أحمد فشغل منصبين في مدرستي المهندسخانة والطب[57]. على حين كان يعقوب صبري مدرساً في مدرستي التجهيزية والحقوق[58]. ويقدم لنا إسماعيل الفلكي بين سلسلة المحاضرين الأصليين في دار العلوم من هذه الفئة أقوى الأمثلة وضوحاً، فقد درَّس في المدارس العسكرية، كما تولى إدارة المدارس التالية: المهندسخانة، والمرصد، وقسم الصحافة في المطبعة

---

[54] كحالة 275/1، وسركيس 392/1.

[55] تاريخ التعليم في مصر 236/2، 408، 520.

[56] كحالة 275/1.

[57] تاريخ التعليم في مصر 920/2، 466، 502.

[58] المرجع نفسه، 408/2، 553.

الوطنية، والتجهيزية، ومدرسة المساحة والمحاسبة[59]، شارك أيضاً في العديد من لجان نظارة المعارف على امتداد هذه السنوات[60].

يبدو لنا جلياً أن هؤلاء الرجال تلاقوا مع آخرين كانوا يدرسون في دار العلوم، أو كانوا نظاراً عليها، ويتجلى ذلك واضحاً من خلال قوائم امتحان هيئة التدريس في مدارس مختلفة تلت عام 1890[61]. وفي التجهيزية ضمت هيئة تدريس العلوم الحسابية كلاً من: أحمد نظيم، وعلي شعبان، وصبري ووعدي، كما أن منصور أحمد، وأحمد عبد العزيز، وأحمد ندى، وإبراهيم مصطفى درَّسوا أيضاً في مدرسة الطب، وآخرين مدرسين في التحضيرية في الفترة الأولى مثل: محمود جعفر (الذي كان يدرس مادة الخط في دار العلوم)، وأحمد شرف الدين المرصفي.

---

[59] كحالة 275/1، 296/2، وتاريخ التعليم في مصر 885/2، 137، 138، 151، 403، 488، 491، 502.

وأثناء عمله ناظراً للتجهيزية كان مسئولاً عن مدارس حكومية أخرى وعُرف أساساً بأنه فلكي، وناظر للمهندس خانة وتوجد قائمة بمؤلفاته في: كحالة، والزركلي 326/1، وسركيس 444/1-445.

ودرس الفلكي في باريس، وعمل بها أيضاً مدة أربعة عشر عاماً وتوفي عام 1900.

[60] تاريخ التعليم في مصر، 51/2، 125، 221، 535، 542.

[61] المصدر نفسه، في أنحاء مصر متفرقة منه.

وعدد آخر من خريجي دار العلوم وبالإضافة إلى صبري ارتبط آخرون بمدرسة الحقوق وهيئة التدريس فيها منهم: حسونة النواوي ومحمد عبد، وأبو السعود[62]، وعلي فهمي وعديد من دار العلوم.

معظم هؤلاء الذين شكلوا هيئة التدريس في دار العلوم قاموا، مثل زملائهم خريجي الأزهر ودار العلوم، بإصدار دراسات مهمة، تم استخدام بعضها في المدارس التي تولّوا التدريس فيها، وفي مدارس حكومية أخرى أيضاً. والدراسات التي أصدرها سري، وعبد العزيز، وإسماعيل الفلكي . مثلاً . مدرجة في معاجم السّيَر التي ذكرناها في الهوامش التي سبقت، ومع ذلك فإن هذه المؤلفات سواء كانت لأزهريين أو لغيرهم، أقل قيمة بكثير من تلك التي أصدرها الكثيرون من أعضاء هيئة التدريس ممن تخرّجوا في دار العلوم، ثم عادوا إلى كليتهم الأم مدرسين، في الفترة ما بين (1880، 1923).

[62] يقدم جورجي زيدان في كتابه تاريخ أدب اللغة العربية، ج4 ص235-236 صورة وصفية لحياة أبو السعود وقائمة بمؤلفاته، وهو نتاج مدارس محمد علي العامة، وأكمل دراسته العالية في مدرسة الألسن برعاية رفاعة الطهطاوي.

- **خريجو دار العلوم**:

يأتي أغلب أعضاء هيئة التدريس في دار العلوم، وربما كانوا الأوضح تميُّزاً، من خريجي دار العلوم نفسها، وفيما بين عامي 1880 حيث تم تعيين أول خريج، وعام 1923 حيث تتوقف الدارسة، تولى التدريس في دار العلوم اثنان وأربعون من خريجها أيضاً[63]. من بينهم عشرة، أو ما يعادل الربع تقريباً، واصلوا الدراسة بعد التخرج برعاية الحكومة، وحصلوا على درجات إضافية[64]. ومن المفترض أن أكثر من مئة من خريجي الفصل الدراسي لعام 1923 تقلدوا مناصب في هيئة التدريس بدار العلوم، لكن علينا أن نركز هنا على من يقعون في دائرة البحث، وهم أولئك الذين تخرجوا قبل العام الدراسي 1923-1924. وأقدم هذه المجموعة كان قد تخرج في دار العلوم عام 1876، وآخر ثلاثة فيهم تخرجوا عام 1910.

ويقدم لنا الجدول رقم 4 عدة ملامح ملحوظة في خريجي الدار الذين يمثلون جانباً من هيئة التدريس فيها قبل عام 1924/1923.

---

[63] قد يكون العدد أكبر من هذا بكثير، وقد جمعت هذه القائمة ـ أساساً ـ من السير الفردية لهؤلاء، ومن تقويم دار العلوم، لعدم وجود سجلات رسمية، وكان بيان أسماء موظفي القسم الفني مصدراً آخر هاماً للمعلومات عن الموظفين.

[64] تم انتداب ثلاثة آخرين للتدريس في ألمانيا وإنجلترا، وقد استبعدناهم من العدد رغم حصولهم على درجات إضافية لأنهم لم يدرسوا في دار العلوم في هذه الفترة.

نلحظ بادئ ذي بدء أن نحو 76% من الخريجين لهم مؤلفات بنسب متساوية، وفيهم من يحملون درجات علمية إضافية ومن لا يحملون. وتنقسم مجموعة هيئة التدريس التي لها مؤلفات إلى مجموعتين كبيرتين:

مجموعة (1884-1888)، ومجموعة (1902-1910). وبينما حصل كل المؤلفين السابقين . ما عدا اثنين منهما أتما دراستهما قبل هذه المدة . على دبلوم دار العلوم فحسب، حصل ستة من التسعة الباقين على تعليم إضافي في الخارج[65]. ولأن العاملين في مجال التفتيش المدرسي في نظارة المعارف مارسوا تأثيراً قوياً على مناهج التعليم المصري، علينا أن نذكر هنا أن 40% من هيئة التدريس الدرعمية هذه تقلدوا تلك المناصب أثناء فترة عملهم في التفتيش. ومن بين الثلاثة عشر مؤلفاً الذين عملوا في التفتيش حصل سبعة منهم على تعليم إضافي، وثلاثة آخرون درسوا في معاهد تعليمية عليا في إنجلترا وألمانيا، والمؤلف الوحيد الذي يحمل درجة إضافية ولم يعمل في التفتيش المدرسي كان أحمد الحملاوي.

[65] بين أعضاء هيئة التدريس هؤلاء خريج واحد لم يحصل على شهادة إضافية من الخارج، وهو أحمد الحملاوي، الذي تخرج عام 1888، وأتم دراسته العلمية في الأزهر، وسوف نتناوله بالتفصيل في الفصل الرابع. أما الآخرون فأكملوا درجاتهم العلمية في المدارس العامة.

جدول رقم 4

أعضاء هيئة التدريس من خريجي دار العلوم (1872-1923)[66]

الفصل الدراسي	عدد الخريجين	عدد الطلبة	أعضاء هيئة لهم إصدارات	أعضاء ليس لهم إصدارات
1876	8 (1)	16	△○	
1880	3 (2)	35	○	○
1881	18	54		
1882	2	39		
1883	24 (1)	56		
1884	7 (1)	50	○	
1885	10 (3)	34	○ ○	△+
1886	2	31		
1887	1 (1)	36	△○	
1888	8 (2)	31	○ +	

[66] يقدم تقويم دار العلوم بيانات وافية بأعداد المقبولين والمتخرجين في دار العلوم بين عام 1873، والعام الذي صدر فيه التقويم (1950)، في الصفحات 885-888، وحصلت على سيرهم من مصادر متعددة يصعب ذكرها هنا. ويقدم كتاب تاريخ التعليم في مصر ص60، أعداداً تختلف قليلاً عن الأعداد الواردة في التقويم الخاصة بخريجي سنوات 1883، 1884، 1894، 1906، 1910.

الفصل الدراسي	عدد الخريجين	عدد الطلبة	أعضاء هيئة لهم إصدارات	أعضاء ليس لهم إصدارات
1889	7 (2)	41	○	+
1890	4 (1)	50		△○
1891	11 (3)	60	△+ ○ ○	
1892	11 (2)	60	△○ ○	
1893	11 (2)	73	△○ ○	○
1894	9 (3)	72	△○	△○
1895	21 (2)	73		
1896	16	70	△○ ○	
1897	10 (2)	54	○ ○	
1898	9 (2)	52	○	
1899	8	47		
1900	11 (1)	48		○
1901	6	60		
1902	4 (1)	77	○	
1903	8 (1)	93	△+	

الفصل الدراسي	عدد الخريجين	عدد الطلبة	أعضاء هيئة لهم إصدارات	أعضاء ليس لهم إصدارات
1904	10 (1)	115	○	
1905	16 (1)	161		△○
1906	16 (1)	211	○	
1907	29 (1)	204	△+	
1908	19 (2)	260	△+ ○	
1909	47 (1)	303	△+	
1910	44 (3)	272	△+ △+	○

+ = فقط درجات إضافية　　　(　　) = أعضاء هيئة من خريجي هذا الفصل

○ = درجة دار العلوم　　　△ = مفتش مدارس

جدول رقم 4

أعضاء هيئة التدريس من خريجي دار العلوم[67]

بين عامي (1874–1923)

الفصل الدراسي	عدد الخريجين	عدد الطلبة	أعضاء هيئة التدريس لهم مؤلفات	أعضاء هيئة التدريس ليس مؤلفات
1876	8 (1)	16	△ 7	
1880	3 (2)	35	○	○
1881	18	54		
1882	2	39		
1883	24 (1)	56		
1884	7 (1)	5	○	
1885	10 (3)	34	○ ○	
1886	2	31		
1887	1 (1)	36	△○	

(67) تعتمد معلومات تفتيش المدارس على السيرة الذاتية لكل فرد، وعلى كثير من وثائق نظارة المعرف الخاصة بتعيينات وتنقلات المفتشين. ويتضمن الملحق رقم2 أسماء الخريجين الذين لهم علاقة بتفتيش المدارس في الفترة 1903–1920، كما يتضمن أيضاً التنقلات والتغييرات التشريعية.

الفصل الدراسي	عدد الخريجين	عدد الطلبة	أعضاء هيئة التدريس لهم مؤلفات	أعضاء هيئة التدريس ليس مؤلفات
1888	8 (2)	31	+ ○	
1889	7 (2)	41	○	
1890	4 (1)	50		◬
1891	11 (3)	60	○ ○ △(+)	
1892	11 (2)	6	○ △(+)	
1893	9 (3)	73	○ △(+)	○
1894	21 (2)	72	◬	◬
1895	16	73		
1896	6 (2)	70	○ ◬	
1897	10 (2)	54	○ ○	
1898	9 (1)	52	○	
1899	8	47		
1900	11 (1)	48		○
1901	6	60		
1902	4 (1)	77	○	

الفصل الدراسي	عدد الخريجين	عدد الطلبة	أعضاء هيئة التدريس لهم مؤلفات	أعضاء هيئة التدريس ليس مؤلفات
1903	8 (1)	93	△(○)	
1904	10 (1)	115	○	
1905	16 (1)	161	△(○)	
1906	16 (1)	211	○	
1907	29 (1)	254	△(+)	
1908	19 (2)	260	△(+) ○	
1909	47 (1)	303	△(+)	
1910	44 (3)	272	△(+) △(+)	○

+ = تدريبات إضافية.

○ = شهادة دار العلوم فقط   △ = مفتش في المدارس

(   ) = أعضاء هيئة تدريس من خريجي هذا الفصل.

ولم تقع درجته الثانية في الفئة "العمومية"، ومن بين أعضاء هيئة التدريس الذين ليس لهم مؤلفات اثنان درسا في الخارج، أحدهما أحد أربعة عملوا مفتشين في المدارس[68].

ثمة نقطة ذات أهمية أيضاً تتصل بخريجي دار العلوم الذين درّسوا فيها بين (1880-1923)، نتبينها . ولو جزئياً . في الجدول رقم 4، مع غياب خريجي ما بعد عام 1910.

وهذه النقطة هي أن وظائف التدريس في دار العلوم تتركز عادة في النصف الأول من حياة مدرسيها المهنية، وأكثر الاستثناءات في هذا الاتجاه نجدها في هؤلاء الذين درسوا في الخارج، وبين خريجي العقد الرابع خاصة، أولئك الذين ابتعثوا إلى انجلترا وحصلوا على وظائف في دار العلوم خلال سنة من عودتهم إلى مصر، وليس صدفة أن يتم تعيين خريجي العقد في الفترة نفسها، فقد زادت قائمة الراغبين في الالتحاق بدار العلوم بسرعة بعد عام 1901، بعد أن تعرض عدد المقبولين لانخفاض يسير بين عامي (1904-1907)، فتضاعفت أعداد الطلاب في المدرسة، ومن بين خريجي العقد الثالث الاثنى عشر الذين عملوا في هيئة التدريس في دار العلوم تم تعيين عشرة منهم بعد تخرجهم بتسع سنوات على الأقل، خلال فترة التوسع السريعة.

---

[68] بين أعضاء هيئة التدريس هؤلاء خريج واحد لم يحصل على شهادة إضافية من الخارج، وهو أحمد الحملاوي، الذي تخرج عام 1888، وأتم دراسته العلمية في الأزهر، وسوف نتناوله بالتفصيل في الفصل الرابع. أما الآخرون فأكملوا درجاتهم العلمية في المدارس العامة.

لا يقدم لنا الجدول رقم 4 .كما يلاحظ . أية معلومات عن تواريخ التعيين، ولا عن مدة الخدمة، أو من شغل محل الذين تركوها، ومع ذلك يمكن أن أذكر أن ثلث أعضاء هيئة التدريس هؤلاء أنهوا حياتهم الوظيفية في دار العلوم في أواخر عشرينيات وثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين. ومع هذا تضم القائمة آخرين عُيِّنوا مدرسين في دار العلوم وهم في منتصف حياتهم المهنية، وعملوا فيها لشهور قليلة فحسب.

أما أعضاء هيئة التدريس الذين لم يكونوا من خريجي دار العلوم فقد شكلوا عدداً كبيراً، وكانت مساهمتهم أساسية في التعليم المصري قبل أن يصبحوا مدرسين في دار العلوم.

إذن، من هم خريجو دار العلوم الذين عادوا إلى مدرستهم الأم أعضاء في هيئة التدريس بها؟ وكيف ارتبطوا بدار العلوم وبالتعليم المصري؟ ما الخصائص التي اتسموا بها وهم أعضاء في هيئة التدريس؟ وكيف توازن بينهم وبين الأعضاء الذين سبقوهم؟

بعامة، سواء واصل هؤلاء الخريجون الذين أصبحوا مدرسين في دار العلوم قبل عام 1924/1923، دراسات إضافية أم لم يواصلوا فهم ممن نالوا أعلى الدرجات في سِنِيّ دراستهم، وقد حصل ثلاثة منهم، ممن أتموا دراستهم الرسمية على "المرتبة الأولى" طوال سنوات الدراسة على التوالي(69).

أما الآخرون فجاء ترتيب 80% منهم بين العشرة في المائة الأوائل، من بين خريجي تلك السنة. ومن بين الخريجين الأوائل الذين درسوا في دار العلوم واحد فقط تخرج في فصل

(69) حصلت على المعلومات المتصلة بالترتيب من مجموعة بأسماء خريجي دار العلوم الذين عُينوا في وظائف مدرسين حسب سني تخرجهم وترتيبهم في الدبلوم عام 1928م.

دراسي ضم أكثر من أحد عشر طالباً، على حين كثر عدد الطلاب في كل السنوات بعد عام 1904. وقد لا يثير دهشتنا أنه كلما قل عدد الخريجين انخفضت نسبة الذين يحصلون على وظائف عليا منهم، كالتدريس في دار العلوم مثلاً، أو في معاهد عليا أخرى مماثلة، كمدرسة القضاء الشرعي، أو العمل في وزارة المعارف. ومن جانب آخر فإن حقيقة وجود ثلاثة، هم أوائل دفعة تتكون من خمسين متخرجاً، ممن درسوا في وزارة دار العلوم، قد يساعدنا على توثيق بعض الآراء التي قدمها هيوارث دن وآخرون، ومؤداها أن خريجي العقد الأول لم يتفوقوا خاصة على من جاء بعدهم.

- **خريجون في هيئة التدريس دون إعداد إضافي**:

كما يتبين لنا من الجدول الرابع فإن معظم الخريجين الذين انتهى بهم الحال مدرسين في دار العلوم وهم دون إعداد إضافي قد أكملوا تعليمهم قبل مرحلة التغيير التي بدأت مع مطلع القرن العشرين، وأغلبهم درّس في المدارس الحكومية، ابتدائية وثانوية، قبل تعيينه في دار العلوم. ومن بين الاثنى عشر مدرساً أنهوا حياتهم المهنية في دار العلوم، اثنان فحسب عملا في التدريس مدى ثلاثين عاماً أو يزيد، وهما محمد فخر الدين الذي تخرج عام 1904، وعلام سلامة، الذي تخرج عام 1902[70]، وانتقل خريج آخر،

---

[70] عن علام سلامة، انظر: تقويم دار العلوم، ص199.

- الكتب العربية التي نشرت في الجمهورية العربية المتحدة (مصر) بين عامي 1926-1940، ص212، 474. وعن محمد فخر الدين انظر: تقويم دار العلوم، ص200- 202.

- عباس محمود العقاد: أستاذيتي، في مجلة الهلال، العدد 56، أكتوبر 1948 – ذو القعدة 1367 ص7-12.

=

وهو أحمد علي السكندري[71] الذي تخرج عام 1898 إلى جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة الآن)، وكان اسمها الجامعة المصرية حين انتقل إليها أستاذ للأدب العربي، ثم تقاعد بعد عام واحد فقط، وكان قبلها قد عمل في دار العلوم خمسة وعشرين عاماً متواصلة.

من بين هذه المجموعة من أعضاء هيئة التدريس كثيرون يستأهلون أن نقف عند كل واحد منهم على حدة، وهم: محمود عمر الباجوري (نسبة إلى الباجور مركز سبك منوفية)، تخرج في دار العلوم عام 1888م، ومع أنه لم يكن من أوائل خريجيها الذين درسوا فيها، إلا أنه حصل على وظيفة واحدة ذات مهمتين: معيد وضابط، وكانتا

=

- الكتب العربية التي نشرت في الجمهورية العربية المتحدة (مصر) بين عامي 1926-1940، ص241، 279.
- تقويم الأسماء وذي الألقاب والرتب المدنية الحديثة، من أبريل 1915 إلى أول سبتمبر 1951، مرتبة هجائياً، ص37.
- بعض المقابلات الخاصة غير المنشورة.

[71] أما مصادر أحمد الإسكندري فهي: كتاب هيوارث دن.

- الكتب العربية المنشورة في الجمهورية العربية المتحدة، ص126، 174.
- مهدي علام، 17/16/2. - كحالة، 15/14/2. - سركيس، 394/1. - الزركلي، 177/1.
- صحيفة دار العلوم، العدد الثاني، نوفمبر 1935، ص1، 2.
- صحيفة مجمع اللغة العربية ص: 65، 87، 128، 130، 131، 145، 157، 195، 215، 237، 238، 344، 363، 367، 437، 443، 536، 539، 540، 543.
- دليل الكتاب المصري عام 1972، ص 781، 813. وقد ولد أحمد علي الإسكندري في 1875 وتوفي عام 1938.

معدتين لرفاقه في السنة بعد التخرج، وهما تشملان مهام ومسئوليات رسمية إلى جانب التدريس[72]، وبعد عامين عُيِّن مدرساً فتولى تدريس الحساب والهندسة والجغرافيا والمطالعة والنحو وكذلك التاريخ الإسلامي[73]. وجاء تعيين الباجوري مدرساً للرياضة ليوضح حقيقة هامة: إنه على الرغم من أن دار العلوم أنشئت لإعداد مدرسي اللغة العربية فإن الكثيرين من خريجيها تخصصوا في مجال الرياضيات والعلوم الأخرى.

بعد دار العلوم درّس محمود الباجوري الفقه الحنفي في مدرسة "المهندسخانة الخديوية" وقلم الترجمة، عندما كانت هذه مدرسة ملحقة بدار العلوم. وفي عام 1889 حضر مؤتمر المستشرقين الذي عقد في استوكهولم في السويد، مع عبد الله فكري باشا، وأمين فكري بك، والشيخ حمزة فتح الله، وفي هذا المؤتمر قدم الباجوري بحثاً عن: "أمثال المتكلمين من عوام المصريين"[74]. [وفيه نحو ثلاثة آلاف مثل مشروحة مما يناسبها من أمثال العرب وآيات القرآن والأحاديث، والحكم والأشعار، وفيها مواويل عامية

---

[72] لمعرفة المزيد عن الباجوري، انظر: كحالة، 184/12. - الزركلي، 8/56-57.

- بروكلمان، الملحق، 727/2.

- تقويم دار العلوم، ص373-375. أما محمد صالح، فهو المعيد الآخر الذي أشرنا إليه فيما سبق.

[73] أما تاريخ التعليم في مصر، 598/2-599. فيشير إلى أنه درس جغرافيا وهندسة وحساب فقط، ولا يذكر أياً من المواد الأخرى التي وردت في تقويم دار العلوم ص 373. ولعله درّس تلك المواد في فترة زمنية أخرى، بعد الفترة التي تناولها تاريخ التعليم في مصر.

[74] في ص3/13 من النص العربي ينسب البحث للشيخ حمزة فتح الله.

كثيرة][*]، وإثر عودته عام 1891 سجل رحلته هذه [في كتابه "الدرر البهية في الرحلة الأورباوية" وطبعت عام 1891، وفيها وصف البلدان التي مر بها، وألم بشيء من تاريخها][**].

وبعد عودته من هذا المؤتمر تم اختياره أيضاً لحضور مؤتمر اللغات الشرقية الذي عقد في لندن مع حفني ناصف، الذي تخرج في دار العلوم عام 1882، والشيخ حمزة فتح الله، وكان الباجوري في ذلك الوقت مدرساً في الخديوية[75]. ثم ترك الخدمة في نظارة المعارف لخلافه مع ناظرها علي مبارك، وعاد إلى قريته يعمل في الزراعة، [ويلقي على الفلاحين دروساً دينية واجتماعية].

على الرغم من انتهاء دور الباجوري في حياته العملية في نظارة المعارف، ترك في التعليم المصري بصمات واضحة، كما ألّف عدة كتب، وحده أو بالاشتراك مع آخرين من زملائه العاملين بالتدريس في دار العلوم، ومنهم محمد دياب الذي تخرج عام 1876،

---

[*] ما بين المعقوفتين إضافة مني (المعرب).

[**] ما بين المعقوفتين إضافة مني (المعرب).

[75] يذكر تقويم دار العلوم أن حفني ناصف كان زميل الباجوري في الخديوية، وكلن ناصفاً كان يدرس في مدرسة الحقوق الخديوية ويحتمل أن الباجوري درّس فيها أيضاً.

وسلطان محمد، وهي مؤلفات طُبعت ونُشرت فعلاً[76]. وكان كتابه "المنتخبات الأدبية الخديوية"، وألفه بالاشتراك مع سلطان محمد يُدرّس في المدرسة الخديوية الثانوية[*].

وكان محمد دياب بك في قامة الباجوري، نموذجاً لخريجي دار العلوم الذين عادوا إلى الدار مرة أخرى، أعضاء في هيئة التدريس فيها[77]. وقد اختلط أولاً بنماذج تعليمية بارزة ظهرت على أيامه، وشاركهم محاولاتهم البحثية والثقافية، وثانياً كان شخصية متميزة فيما قام به من أعمال ذات أهمية للأجيال المصرية القادمة، وثالثاً درّس في مدارس عامة أخرى، ورابعاً، أو أخيراً إذا شئت، ألف ونشر في عدة مجالات، بما في ذلك الرياضيات.

يمكن القول أن حياة محمد دياب بدأت، في الواقع، مع نشره مقالات أدبية في مجلة "روضة المدارس" وهو لما يزل طالباً في دار العلوم، وحين تخرج عام 1876 بدأ حياته العملية مدرساً في المدارس العسكرية، إذا اختير معلماً للنحو في "مدرسة أطفال الجند" في

---

[76] على الرغم من أنهم جميعاً درسوا في دار العلوم لكن يبدو أن تعيين محمد دياب كان في نفس الوقت الذي غادرها الباجوري فيه. وللمزيد عن سلطان محمد، انظر: – كحالة، 238/4.

- سركيس، 1038/1. – تقويم دار العلوم، ص175-176.
- الكتب العربية التي نشرت في الجمهورية العربية المتحدة، ص15. وكان سلطان محمد من بين أوائل الأساتذة الذين عملوا في الجامعة المصرية عندما كانت مؤسسة خاصة، وكان من أقوى المدرسين تأثيراً في طلابه الذين تخرجوا في تلك الفترة، والذين أجريت معهم حوارات شخصية.

[*] أورد محمد عبد الجواد في تقويم دار العلوم قائمة بمؤلفاته، وهي تزيد على عشرة مؤلفات انظر: ص374، 375. (المعرب).

[77] لمزيد من المعلومات عن محمد دياب (1852-1920) انظر: تقويم دار العلوم، ص347-350.

- كحالة، ص302/9. – بروكلمان، الملحق، 308/3. – الزركلي، 357/6-358.

القلعة، وكانت تعرف في ذلك الوقت بالمدرسة الخيرية، وخلال تلك السنوات ألف لتلاميذه كتاب "الدروس النحوية"، وطبع عام 1294هـ، وبعد ذلك نقل إلى مدرسة المبتديان بالناصرية لتدريس الجغرافيا والحساب والهندسة، فألّف في الرياضيات كتاباً مدرسياً اشتهر باسم "التحفة السنية في الأصول الحسابية"، وهو من جزئين أقرته نظارة المعارف، وطبعته مرتين: الأولى عام 1298هـ، والثانية عام 1300هـ. وإلى جانب ذلك ترجم عن الفرنسية مسائل تطبيقية على مقالات الهندسة، طُبع منها مسائل المقالة الأولى عام 1312هـ، وأثناء قيامه بالتدريس في مدرسة المبتديان عهد إليه في الوقت نفسه عام 1882، أن يقوم بتدريس الحساب والهندسة وتقويم البلدان في مدرسة الآثار القديمة.

وفي نوفمبر من عام 1887، نُقل محمد دياب أستاذاً لتعليم الإنشاء في القسم العالي بالمدرسة التوفيقية للمعلمين ،(فصنف لطلبته كتاب "الإنشاء النظري"، أقرته نظارة المعارف، وطُبع بمطبعة بولاق الأميرية عام 1306هـ. وألف أيضاً معجماً سمّاه "قلائد الذهب في فصيح لغة العرب"، طُبع الجزء الأول منه عام 1311، ووصل فيه إلى حرف الجيم].

أما عن كتبه الأخرى التي ألّفها مشاركة مع آخرين، فيكفي أن نعرف أنه كان أحد أعضاء اللجنة التي عهدت إليها نظارة المعارف بتأليف أربعة كتب في النحو، وكتاب خاص بالبلاغة، وهي كتب ظلت تُدرّس للتلاميذ في المدارس الابتدائية والثانوية لمدة طويلة، وكل أعضاء هذه اللجنة من خريجي دار العلوم، وهم محمد دياب، تخرج 1876، ومحمد صالح، وحفني ناصف، ومصطفى طموم، وسلطان محمد، ومحمود عمر الباجوري.

ورغم قصر المدة التي أمضاها محمد دياب مدرساً في دار العلوم، حين عهد إليه في عام 1892 بتدريس مادة التاريخ المصري، فقد ألّف خلالها رغم أنها لا تكاد تبلغ العام، كتابه "خلاصة تاريخ مصر القديم والحديث"، وقد أقرته الوزارة كبقية كتبه الأخرى، واستعملته في بعض مدارسها، وطبع في مطبعة بولاق الأميرية.

وخلال السنوات العشر الأخيرة من حياته المهنية شغل منصباً بارزاً في تفتيش المدارس، وخلال عمله هذا ألّف كتابه "تاريخ أدب اللغة العربية" في جزئين، طبع الثاني منهما عام 1900م.

وأخيرا، في عام 1902 ترك التفتيش لسوء حالته الصحية، ولكنه وافق على طلب من الإمام محمد عبده، بأن يتولى إعادة تنظيم مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية وفقاً للمنهج الحكومي في خطوطه العامة، وقد احتفظ بهذه الوظيفة حتى عام 1909.

وهكذا يتضح لنا جلياً، في ضوء ما أوردناه، مدى إسهام محمد دياب في تطوير التعليم المصري. مدرساً ومؤلفاً وإدارياً.

من بين هذه المجموعة من خريجي دار العلوم ثلاثة باحثين تخصصوا في الفقه الإسلامي، درّسوا لمدة وجيزة فحسب في دار العلوم، وهم: محمد زيد الأبياني (1862-1936) وتخرج من دار العلوم عام 1891، ومحمد سلامة (1859-1928م) وتخرج من دار العلوم 1891، وأحمد إبراهيم (1874-1945) وتخرج من دار العلوم عام

1897[78]. ويقدم هؤلاء، مثل بقية أعضاء هيئة التدريس في دار العلوم مثلاً عليا لمستوى التميز المؤمل ممن يدرسون في دار العلوم، وكذلك الأمر أيضاً فيما يتصل بالمكانة الخاصة التي يتمتع بها هؤلاء الخريجون في تاريخ التعليم المصري، لقد درّس كل من محمد زيد، ومحمد سلامة، ما يزيد عن عشرين عاماً في مدرسة الحقوق الخديوية[79]. على حين درّس أحمد إبراهيم بك في مدرسة الحقوق وفي مدرسة القضاء الشرعي ما يزيد عن ثلاثين عاماً.

وكما هو حال الكثيرين من هؤلاء الخريجين قضى محمد سلامة الفترة الباكرة من حياته يدرس في كتاب إحدى قرى المنوفية، ثم اصطحبه عمه الشيخ إلى الأزهر، وبعد أن تخرج في دار العلوم عُيّن مدرساً للغة العربية في المدرسة التوفيقية، فمكث بها سبعة أشهر

---

[78] مصادر محمد زيد الأبياني تشمل: تقويم دار العلوم، ص261-263.

- محالة، 12/10. - الزركلي، 367/6. - سركيس، 1660/2.

ومصادر محمد سلامة تشمل: تقويم دار العلوم، ص259-260.

- كحالة، 43/1. - سركيس، 1663/2. - الزركلي، 107/7.

ومصادر أحمد إبراهيم توجد في: تقويم دار العلوم، ص264-266.

- الكتب العربية التي نشرت في الجمهورية العربية المتحدة، ص56، 57، 106، 109.
- كحالة، 133/1. - مهدي علام، 14/2-15.
- قائمة المؤلفات العربية المطبوعة في مصر، أعوام 1942، 1943، 1944، الأب جورج قنواتي وآخر، ص462-463.
- الإسلام والحداثة، لآدمز ص214.

[79] نفس المدرسة التي عُرفت في زمن مبكر باسم مدرسة الإدارة/ اللغات/ الحقوق، قبل أن تلحق بقسم اللغات في دار العلوم أولاً، ثم عرفت بعد ذلك باسم كلية المعلم الخديوية.

اختير بعدها لتدريس الشريعة الإسلامية في دار العلوم، وبعد أربع سنوات اختير لتدريسها في مدرسة الحقوق، وظل يقوم بهذه المهمة حتى عام 1923.

أما محمد زيد الأبياني، فقد ترعرع في القاهرة، رغم أن أسرته نشأت في أبيانة من محافظة الغربية، وكان والده عالماً أزهرياً فشجعه هذا على أن يحذو حذو والده، فحفظ القرآن الكريم في كتاب الشيخ محمد زيدان، وهو نفس الكتاب الذي تعلم فيه كل من سعد زغلول وعبد الرحمن زغلول[80]. ودخل دار العلوم عام 1881، وتخرج فيها بعد ثلاث سنوات، عُين بعدها، بادئ ذي بدء، مدرساً في مدرسة الحسينية لمدة شهرين، ثم نقل منها مدرساً للفقه في دار العلوم لعدة أشهر، ولكن الشيخ حسونة النواوي اختاره مدرساً مساعداً له في مدرسة الحقوق الخديوية، وعندما ترك الشيخ حسونة النواوي المنصب ليصبح وكيلاً للجامع الأزهر عام 1894 استقل محمد زيدان بتدريس الشريعة في مدرسة الحقوق، وظل فيها حتى

---

[80] عمل سعد زغلول، وهو زعيم وطني بارز، في نظارة المعارف من 1906 إلى 1910، وكان عبد الرحمن زغلول ابن أخيه، وتخرج عبد الرحمن في دار العلوم عام 1894، وعمل مدرساً في المنصورة الابتدائية، ثم في التوفيقية الثانوية، وفي مدرسة اللغات الشرقية في برلين، وفي دار العلوم، وفي مدرسة القضاء الشرعي، كما عمل أيضاً في تفتيش المدارس، وفقاً لما ورد في تقويم دار العلوم ص274-276.

وفي الكتب العربية التي نشرت في الجمهورية العربية المتحدة (مصر)، ص13.

وانظر أيضاً: كحالة، 138/5.

وقد استشهد إبراهيم سلامة بكتابه الأخلاق في دراسته عن التعليم الإسلامي في مصر ص244 (هامش).

L’ Enseinement Islamique en Egypte. Cairo 1939.

عام 1930، أي لمدة ثماني سنوات بعد موعد إحالته إلى التقاعد التي كان مقرر لها أن تتم عام 1922.

وقد نال كل من محمد زيد ومحمد سلامة عدداً من الأوسمة، بما في ذلك رتبة البكوية عند تقاعدهما، ورغم أنهما اشتركا في عملين متصلين بالفقه الإسلامي، إلا أن محمد زيد بالتحديد، يُعد من الرواد الأوائل في هذا العمل، وجاء بعد محمد قدري الذي قام بالمحاولات الأولى لمراجعة طرق تدريس الفقه في الأزهر من جديد[81].

[لقد وجد محمد قدري أن كتب الفقه المتداولة في الأزهر تسير على الطريقة القديمة، ففكر في وضع ثلاثة كتب على نهج الكتب القانونية الحديثة هي: الأحوال الشخصية، وأحكام الوقف، وأسماه "قانون العدل والإنصاف"، وأحكام المعاملات المالية، وأسماه "مرشد الحيران"، وتناول فيها الأحكام الفقهية على هيئة مواد، علّها يوماً ما تكون القانون الشرعي الذي يجب أن يعمل به في مصر].

كان محمد زيد يدرّس كتاب الأحوال الشخصية لطلاب الحقوق، وأثناء ذلك يكتب ما يعنّ له من تعليقات عليه، ولما تكامل عمله وضع له شرحاً وافياً ممتعاً، جاء في ثلاثة مجلدات طبعت عام 1904. وتلقى الناس هذا الكتاب بشوق ولهفة، إذ وجدوا فيه

---

[81] تقويم دار العلوم، ص263، يستشهد بمقال لإبراهيم أحمد إبراهيم نشر في صحيفة الجامعة المصرية، عدد مايو 1936، أشار فيه لهذه النقطة.

- العملان اللذان تشير إليهما الباحثة هما: " مرشد الحيران" وطبع منه الجزء الأول فقط عام 1907.

وأصلحا معاً كتاب " حل مشكلات الاوقاف" لمحمد قدري باشا. (المعرب)

ضالتهم المنشودة، وترجم هذا الشرح إلى اللغة الفرنسية ونال المؤلف من أجله "وسام الشرف" من الدولة الفرنسية، ومع ذلك لم يبلغ أي منهما، محمد زيد أو محمد سلامة، نفس الشهرة التي واكبت زميلهما الذي جاء بعدهما، إبراهيم أحمد إبراهيم (1874-1945)، الذي ألّف خمسة وعشرين كتاباً تقريباً[82].

وُلد إبراهيم أحمد في حي الباطنية أحد الأحياء الشعبية المجاورة للأزهر، وتعلم في مدرسة العقادين الابتدائية، ودرس في الأزهر، ثم التحق بدار العلوم، وتخرج فيها عام 1894.

وبعد تسع سنوات قضاها مدرساً للغة العربية في مدارس: الناصرية في القاهرة، ورأس التين الثانوية في الإسكندرية، ومدرسة السنية للبنات، انتقل من هذه الأخيرة مدرساً للشريعة الإسلامية في مدرسة الحقوق الخديوية عام 1906، وظل فيها لمدة عام واحد، انتقل بعده إلى مدرسة القضاء الشرعي عند إنشائها عام 1907، وظل بها إلى أن أُلغيت عام 1924، فعاد إلى مدرسة الحقوق الخديوية ثانية أستاذاً مساعداً للشريعة الإسلامية، [وقد أصبحت هذه المدرسة، فيما بعد، كلية الحقوق في جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة الآن) ورُقّي فيها أستاذاً لكرسي الشريعة الإسلامية عام 1910، وانتخب وكيلاً لها عام 1933، ثم صار

[82] تقدم المصادر التي استشهدنا بها فيما سبق، قائمة جزئية بمؤلفاته.

عضواً في مجلس الجامعة، واستمر حتى بعد تقاعده عام 1934 يدرس في قسم الدكتوراه في الكلية][*].

يعد إبراهيم أحمد إبراهيم، في نظر زملائه من خريجي دار العلوم أحد أعظم علماء الشريعة في القرن العشرين، ويشيرون إليه دائماً موصوفاً بهذا اللقب[83]. وكسابقيه من خريجي دار العلوم اتكأ في دراساته وفتاواه على مؤلفات محمد قدري باشا، ولكنه . مع ذلك . كوّن لنفسه اتجاهاً عُرف به، خاصة فيما يتصل بقضايا الوقف والوصايا.

أما خريجو دار العلوم الآخرون الذين عُرفوا بتدريس الشريعة في دار العلوم قبل عام 1924/1923، فهم: محمد علي النواميسي، وتخرج عام 1893، وإبراهيم علي الذي تخرج في 1885، وأحمد الزناتي، وتخرج في عام 1893، وقد أصبح وكيلاً لدار العلوم منذ عام 1923، وحتى وفاته في 1929، وكان مديراً لمدرستين في أوائل حياته المهنية[84].

---

[*] ما بين المعقوفتين زيادة من عندي. (المعرب).

[83] في سنة 1932 مثل جامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن) في مؤتمر القانون المقارن، كما تم انتخابه عضواً في مجمع اللغة العربية، وهو هيئة تتكون من عشرين عضواً من صفوة المثقفين مما يدل على المكانة العالية التي كان يتمتع بها.

[84] المعلومات الخاصة بمحمد علي النواميسي توجد في تقويم دار العلوم، ص26، 173.

- ثمة خطأ مطبعي فيما يتصل بصفحة 26 فقد عدت إلى الدليل فلم أجد أي إشارة إلى النواميسي، ولم أستطع الاهتداء إلى صحة هذا الرقم. (المعرب).

لمعرفة شيء عن سيرة إبراهيم علي (1861-1930) انظر: تقويم دار العلوم، ص191.

- سركيس 170/1. وعن أحمد زناتي (1870-1929) انظر: تقويم دار العلوم ص158.
- سركيس 389/1. - كحالة 227/12.

وهناك أساتذة في التاريخ والأدب واللغة يعدون قمماً بين العلماء في مصر في تلك الأيام ـ كأساتذة الشريعة تماماً ـ والحديث عنهم جميعاً قد ينتهي بنا في هذا الجانب إلى لون من الإطالة المبالغ فيها، لكن أربعة منهم بالتحديد يستحقون اهتماماً خاصاً، بوصفهم نماذج للظروف المختلفة التي تميّز بها كل واحد منهم بعينه، بين هيئة التدريس في دار العلوم في تلك الفترة، وهم: حسن توفيق العدل، وتخرج عام 1887، وطنطاوي جوهري، وتخرج عام 1893، ومحمد عبد المطلب، وتخرج 1896، وأحمد علي الإسكندري وتخرج عام 1898.

أسبق هؤلاء الخريجين حسن توفيق العدل (1862-1904)، وهو رائد في مجالين علميين: دراسة الأدب العربي[85]، ودراسة علم التربية Pedagogy[86].

وقد اختير بعد مدة قصيرة من تخرجه مدرساً للغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية في برلين، حيث قضى خمس سنوات تقريباً[87]، خلال هذه المدة تعرف إلى عدد من المستشرقين الألمان، ودرس اللغة الألمانية، كما أصدر مجلة "التوفيق المصري"، ولم يقصر

---

(85) انظر فيما سبق ص54 من هذه الدراسة والمصادر التالية:

- يوسف نقولا، أعلام الإسكندرية ص280-282.
- إبراهيم سلامة ص244 (هوامش).
- كحالة، 211/3.
- سركيس 756/1-757.
- الزركلي، 200/2.
- تقويم دار العلوم، ص178-184.

(86) يقول إبراهيم سلامة في ص244 (هوامش) عن كتابه هذا: "إن كتاب حسن العدل في علم أصول التربية، أول كتاب في بابه في مصر".

(87) لم تذكر المصادر السابقة أي تاريخ محدد.

تعليمه اللغة العربية على المستشرقين الألمان فحسب، وإنما علّمها ألماناً آخرين ممن اشتهروا فيما بعد في الدوائر السياسية والقنصلية والتجارية[88].

وعندما غادر ألمانيا عائداً إلى مصر، ذهب أولاً إلى إنجلترا للوقوف على طرق التعليم والتربية الحديثة في معاهدها الكبرى، فزار جامعات أكسفورد وكمبردج وإيتون وهارو [89]. ثم عاد إلى مصر حيث عمل مفتشاً في نظارة المعارف العمومية وأستاذاً في دار العلوم. وفي هذه الفترة ألف كتابه "تاريخ أدب اللغة العربية"، وعندما زار مصر المستشرف الإنجليزي إدوارد جورج براون عام 1903، وقضى بعض الوقت في دار العلوم، وقع اختياره على حسن توفيق العدل ليقوم بتدريس اللغة العربية في كمبردج. وتضمن عمله في هذه الجامعة إعداد المتقدمين من الإنجليز للعمل في الوظائف المدنية البريطانية في مصر والسودان، وكان هذا أول برنامج من نوعه يدرس في الجامعة[90]. وكان جورج براون والطلاب الذين تلقوا تعليمهم على حسن العدل، يقدرون في أستاذهم دقة تعليمه وعمق خبرته وإخلاصه وتفانيه في العمل[91].

---

[88] يوسف نقولا، ص281، ومحفوظات جامعة كمبردج. والإدارة المدنية بالهند، لجنة الاستشراق، ولجنة خدمة الطلبة الأجانب من 1875 إلى 1928، رقم 134 ص10.

[89] تقويم دار العلوم ص181. وقد أعد التقرير إدوارد ج. براون، ماجستير في الأدب، وبكالريوس في الطب. (كمبردج، 11 اغسطس 1904)، وهو سري وخاص باللورد كرومر.

[90] جامعة كمبردج رقم 133، تقرير عن امتحان اللغة العربية الذي يخضع له المرشحون المختارون للعمل في الإدارات المدنية في مصر والسودان، في يوليه 1903، والذين تم اختيارهم في يونيه 1904.

وقد أعد التقرير إدوارد ج. براون، ماجستير في الأدب، وبكالريوس في الطب. (كمبردج، 11 اغسطس 1904)، وهو سري وخاص باللورد كرومر.

=

توفي حسن توفيق العدل في كمبردج فجأة، بطريقة مأسوية، في الثالث من يونيه عام 1904[92]. ونقل جثمانه إلى مصر على نفقة الحكومة المصرية، وشُيّع إلى مثواه الأخير في مشهد مهيب، يتقدمه حسن فخري ناظر المعارف العمومية، والإمام محمد عبده، ويعقوب أرتين وكيل نظارة المعارف، وعدد من رجالات الإنجليز البارزين في مصر[93].

يصعب تقدير حجم الإسهامات الحقيقية التي كان يمكن لحسن توفيق العدل أن يقدمها لوطنه لو لم يُعتبط مبكراً، ومع ذلك يمكن القول إنه قدم الكثير جداً للتعليم المصري وللدراسات الشرقية في الخارج، عبر حياته القصيرة. يقول الدكتور إبراهيم سلامة عن أعماله العلمية: "كان متميزاً بالقدر الذي جعل المؤلفات الأدبية التي صدرت في مصر بعده تحتذي منهجه إلى حد بعيد"[94].

=

ويذكر السجل التاريخي لجامعة كمبردج أن تعيين الشيخ حسن العدل مدرساً في الإدارة المدنية الهندية، جاء مستقلا تماماً عن ذكره معيداً للغة العربية في الجامعة، وكلتا الإشارتين ترد في ص 126.

[91] جامعة كمبردج رقم 133، وفي رقم 134 وصفه إدوارد براون بأنه: "باحث لا يقارن، ولا أستطيع وصف فقده إلا بأنه خسارة لا تعوض".

[92] جامعة كمبردج رقم 130، "التقرير السنوي عن اللجنة الخاصة بدراسات الإدارة المدنية الهندية"، 26 نوفمبر 1904، فيه إشارة إلى هذا.

[93] تقويم دار العلوم ص183.

[94] إبراهيم سلامة، التعليم الديني ص244 (الهوامش).

متخرج آخر في دار العلوم، ومن أعضاء هيئة التدريس فيها، جاء تميزه مفكراً أكثر منه أستاذاً، وهو طنطاوي جوهري (1862-1940)[*] [95]، وهو من بين أفضل الخريجين على أيامه، وربما في الأجيال التالية أيضاً، فهو المؤلف الأخصب إنتاجاً، والأشد تنوعاً فيما يتصل بتباين أعماله، وهو الوحيد الذي رشح لجائزة نوبيل[96].

---

[*] في تقويم دار العلوم، ص192، يذكر محمد عبد الجواد تاريخاً مغايراً وهو 1870-1939 (المعرب).

[95] تذكر معظم المصادر أن تاريخ ميلاده هو 1287هـ=1870م، ولكن الأب جومبيه يذكر فيما كتبه عن طنطاوي جوهري ص118، أن تاريخ ميلاده الصحيح يجب أن يكون طبقاً لما روته له أخت طنطاوي عام 1278. ولكن المصادر الأخرى تستخدم ما كتبه جوهري في الهداية (مارس 1910)، 134/1-144 تحت عنوان "طنطاوي جوهري يقدم بحثه عن مدرسة دارون".

انظر المصادر التالية: - آدمز، الإسلام والحداثة، ص200 (الهوامس)، 245-247.

- إلياس زاخورة، مرآة العصر في تاريخ ورسوم أكابر الرجال لمصر، 225/2-227.
- الكتب العربية التي نشرت في الجمهورية العربية المتحدة، ص19، 27، 25، 9، 78، 102، 221.
- محمود التنيخي، عن طنطاوي جوهري، في صحيفة دار العلوم، العدد 6 (يناير 1940).
- دليل الكتاب المصري 1972، ص133، 543. - جب، دراسات ص291، 316 (هامش).
- بروكلمان، ملحق 195/3، 326-329. - كحالة، 42/5.
- الزركلي، 233/3-234. - سركيس، 1243/2-1245. - تقويم دار العلوم ص192-196.

وقد أوردت جانباً من هذه المناقشة في بحث تقدمت به في الاجتماع السنوي لجمعية دراسات الشرق الأوسط عام 1977 بعنوان: بين عالمين: المثقفون بين طلائع خريجي دار العلوم.

[96] كتب قرابة ثلاثين عملاً منشوراً، ترجم الكثير منها إلى لغات أخرى ومع أنه تم ترشيحه بالفعل لجائزة نوبيل، إلا أن الأمر كان مجرد محاولة (انظر الأب جومبيه ص134)، وجاءت وفاته في نفس العام الذي رشح فيه للجائزة.

ابن فلاح مزارع، تعلم في الأزهر، إلا أن بعض الالتزامات العائلية التي تطلبت وجوده في قريته كفر عوض الله حجازي (جنوب شرقي الزقازيق) حالت دون مواصلة تعليمه في الأزهر، فأكملها فيما بعد في دار العلوم في سن متقدمة بعض الشيء، إذ كان في الحادية والثلاثين من عمره.

وبعد أن تخرج في دار العلوم شغل عدداً من وظائف التدريس المختلفة، الابتدائي والثانوي[97]. وعندما ما تولى أحمد حشمت نظارة المعارف عينه مدرساً للتفسير والحديث في دار العلوم، ومدرساً للفلسفة في الجامعة المصرية (عام 1911). وأثناء عمله مدرساً في دار العلوم بدأ في تفسير بعض الآيات القرآنية، دراسات بلغت أوجهاً في تفسيره الشهير "الجواهر في تفسير القرآن الكريم"، وحرره في الفترة ما بين (1922-1935)[98].

حاول طنطاوي جوهري أن يصل في تفسيره إلى البرهنة على التكامل بين العلم والدين، ولا يزال الكثيرون يعتقدون أنه قال الكلمة الفاصلة في هذا الصدد[99]. ولكن تفسيره هذا كان أكثر من مجرد عمل ديني، كان . في الواقع . رسالة سياسية، كتبها دفاعاً عن

---

[97] درس في دمنهور أولاً، ثم لفترة وجيزة في دار العلوم، وبعد ذلك درس في الخديوية الثانوية من 1900 إلى 1910. وهي الفترة التي ذاع فيها صيته بوصفه مدرساً فعالاً مجدداً على نحو رائع.

انظر زاخورة، مثلاً ص227.

[98] عمل ضخم يبلغ حجمه أكثر من ستة آلاف صفحة، وكان جوهري يستخدم لأسباب واضحة كلمة "جوهري" في عناوين كتبه.

[99] لم يكن الأب جومبيه في بحثه ص132 مقتنعاً تماماً بالأمر، ولكنه نقل وجهة النظر هذه.

الإسلام وتاريخاً شاملاً، وسيرة شخصية مسرفة في الذاتية[100]، وجاء هذا العمل نموذجاً في سعة الأفق وعمق التفكير.

ورغم أنه كان يناقش قضايا كثيرة مسها عن بعد، إلا أنه حرك البحث الفكري والعلمي في العالم الإسلامي، وغير رأي المفكرين الغربيين فيما يتصل باهتمام المسلمين المحدثين بالعلم وقضاياه.

وثمة عمل آخر شد اهتمام الغربيين بشكل عميق، وهو كتابه "أين الإنسان"، الذي فيه على قضاياه الارتقاء الإنساني والأخوة العالمية[101].

يقول المستشرق الإنجليزي جب عن هذا الكتاب: "إنه أحد الأعمال العظيمة التي يشرني بها الأدب العربي الحديث ويزهو"، ويقول عنه الباحث كريستيان جوب Christian Job من لوكسومبرج: "إنه أفضل كتاب ذائع الشهرة تعرض لمشكلات العالم"[102]. وقد انتشر الكتاب في أوروبا بفضل سنتيانا Santillana، ومن خلال

---

[100] كتب محمد فريد وجدي أيضاً بحثاً علمياً عن القرآن، وكان الحوار والجدل عن الإسلام وعلاقته بالعلم والمعاصرة قد اشتد في أوساط المفكرين في تركيا في أواخر الأربعينيات من القرن العشرين، عندما سمحت الديمقراطية هناك بالتخفيف من حدة السياسة العلمانية المتشددة، وفقاً لما يذكره كزاميس في كتابه ص188.

[101] تناولت أعماله الأخرى: العلم ونظام الكون، ومواد تدرس في المدارس الثانوية.

[102] يذكر جب في كتابه دراسات في حضارة الإسلام ص291 اسم هذا المؤلف خطأ: "عين الإنشار" ونقل عنه هذا الخطأ جوب في كتابه عن التنيخي ص5.

- الترجمة العربية للكتاب التي صدرت في بيروت، لا تتضمن شيئاً عن طنطاوي جوهري، ويبدو أنها قامت على أساس انتقاء بعض نصوص النص الإنجليزي ولم يترجم الكتاب كله (المعرب).

كتاب البارون كارا دي فو Baron Carra de Vaux: مفكرو الإسلام Les Panseues de L'Islam، وصدر في باريس عام 1926. وحين بدأت الحرب العالمية الأولى أرغم طنطاوي جوهري على ترك منصبه في دار العلوم، وكان وراء ذلك . ربما . انتماؤه للأحزاب الوطنية. ويذكر الأب جومبيه أن أسلوبه الرشدي (الأرثوذكسي) في التفسير كان من عوامل استبعاده[103].

بقي أن نذكر أنه قبيل تقاعده عام 1922 عمل مدرساً في مدرسة العباسية الثانوية في الإسكندرية، ومرة أخري في الخديوية الثانوية في القاهرة. وأثناء ثورة 1919 احتلت قوات الشرطة منزله.

وشارك طنطاوي جوهري أيضاً، إلى جانب نشاطاته البحثية وفي التدريس، في أنشطة إسلامية متعددة، أو قام هو شخصياً بتأسيسها، وأبرزها "جمعية الأخوة الإسلامية" وتجمع بين الشباب المسلم من كل الأقطار الإسلامية، و"جمعية الشبان المسلمين"، وكان يتزاور باستمرار مع حسن البنا، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، وقد تخرج هذا في دار العلوم أيضاً (عام 1927، وكان أول دفعته)، ويصعب تحديد مدى تأثير طنطاوي جوهري في بناء التنظيم الإخواني وهويته، نظراً لحساسية التحدث في هذا الموضوع في السنوات

---

[103] كتب طنطاوي جوهري فيضاً من المقالات في صحيفة اللواء لسان حال الحزب الوطني، الذي أسسه الزعيم مصطفى كامل، وكان يرأس تحريرها عبد العزيز جاويش الذي تخرج في دار العلوم 1897، وسجن لموافقته على نشر مقالات وطنية معارضة وسوف أتناول دوره تفصيلاً في الفصل السابع من هذا البحث.

الحديثة[104]. ومع ذلك يبقى احتمال وجود تأثير ما لطنطاوي جوهري ونشاطاته الإسلامية في الاتجاه العام للإخوان المسلمين، بوصفهم تنظيماً قائماً محتملاً.

أما محمد عبد المطلب (1871-1931) وتخرج من دار العلوم عام 1899 فنبعت شهرته من شعره أولاً، مع أنه درس اللغة والأدب في دار العلوم لمدة عشر سنوات، حتى وفاته[105]. وبين تخرجه وتعيينه في دار العلوم عمل لسنوات عديدة في عدة مدارس

---

[104] يذكر جومبيه أن أسرة طنطاوي جوهري لم تشأ أن تعلق باستفاضة على هذا الأمر، رغم أنها عرضت للصداقة التي كانت قائمة بين جوهري والبنا، ومثل هذا التحفظ وجده عند آخرين من خريجي دار العلوم، ولم يصل إلى جواب مع أي منهم عن: إلى أي مدى تعد حركة الإخوان المسلمين امتداداً لأفكار طنطاوي جوهري، أو عبد العزيز جاويش، أو هي امتداد لما هو معروف من تقاليد دار العلوم.

ويشير ريتشارد پ. ميتشيل في كتابه جماعة الإخوان المسلمين (لندن 1960) The Society Muslim Brother. ص7-8 إلى ارتباط حسن البنا بجمعية الشبان المسلمين، ولكن أهداف البنا الأوسع والأبعد تناولها على نحو أشد وضوحاً في الفصل العاشر من كتابه ص283-286، موضحاً أي لون من التعليم كان البنا ينادي به: إنه تعليم ليس إسلامياً صرفاً، ولا علمانياً خالصاً، وهو ما اكتسبه بالضرورة من دار العلوم.

- لم تفصح الباحثة صراحة عن تلك الظروف، وهي، فيما أعتقد تقصد مرحلة التعتيم الشديدة، التي فرضت على حسن البنا خاصة، والإخوان المسلمين عامة، وكانت تحظر مجرد ذكر أسمائهم في الكتب أو الصحف، وبدأت مع الصراع الذي حدث بين حكومة السعديين برياسة محمود فهمي النقراشي، والتي انتهت باغتياله 1949، ثم ازدادت حدة وشدة مع جمال عبد الناصر بعد عام 1954. وكان من نتائج هذا الصراع اغتيال حسن البنا عام 1950، وإعدام سيد قطب 1965. (المعرب).

[105] انظر: تقويم دار العلوم ص211. والكتب العربية التي نشرت في الجمهورية المتحدة (مصر)، بين عامي 1926-1940، ص177. - كحالة 253/1، - الزركلي 125/7.

=

ابتدائية حكومية، ولعدة سنوات أخرى في مدرسة القضاء الشرعي، ومثل طنطاوي جوهري كان عضواً ناشطاً في جمعية الشبان المسلمين كما كان عضواً في جمعية المحافظة على القرآن الكريم، وجمعية الهداية الإسلامية، ورغم أسلوبه الكلاسي في الكتابة، إلا أن شعره عبر في محتواه عن الروح الحديثة[106]. كما شارك في ثورة 1919 الوطنية مدافعاً عنها بشعره وفي خطبه ومن خلال أعماله ونشاطاته الأخرى.

وإلى جانب ديوانه الشعري أسهم في الحياة الأدبية بكتابة سلسلة من الروايات التاريخية التمثيلية، كما ألف لتلاميذ المدارس كتاباً في تاريخ فجر الإسلام، وآخر في تاريخ الأدب العربي.

وثمة خاصية أخرى لأبناء دار العلوم، تتجلى واضحة في المقدمة التي كتبها أحمد علي الإسكندري (1875-1938) لديوان محمد عبد المطلب، وإليها تعود شهرته أساساً، لأنها تمثل إسهاماته اللغوية، ودوره في تحديث علم اللغة، وسعيه الدائب لإصلاح العربية، وعبر سنواته المهنية، وبدأها في سن باكرة مدرساً في عدد من المدارس الحكومية، قبل أن

=

- أحمد قباش، تاريخ الشعر العربي الحديث، دمشق 1971، ص69-67. جاء محمد عبد المطلب من قرية بصونة مركز جرجا.

- ● لمزيد من المعلومات عن محمد عبد المطلب يمكن الرجوع إلى: مجلة الهداية الإسلامية، العدد الرابع، رمضان 1350هـ، فقد تضمن ما ألقي في حفل تأبينه في قاعة بورت بالجامعة الأمريكية في 10 ديسمبر 1931، أو في جمعية الهداية في 17 ديسمبر من العام نفسه. (المعرب).

[106] أحمد قباش، ص97.

يصبح ناظراً لمدرسة المعلمين في الفيوم، ثم في المنصورة، وكانتا تعدان مدرسي المكاتب، ثم انتقل إلى دار العلوم ليدرس مادتي الإنشاء والأدب العربي، وبوصفه أحد خريجي دار العلوم كان مشاركاً نشطاً في ناديي دار العلوم، القديم والحديث(107).

وعندما أنشئ مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1932 كان أحد ثلاثة أشخاص فحسب (من بينهم زميله الشاعر علي الجارم الذي تخرج عام 1908) رشحهم الكتاب والشعراء والمفكرون والصحفيون، وفقاً لقائمة نشرتها صحيفة الأهرام في 16 نوفمبر عام 1932، ليكونوا من بين أعضائه المؤسسين، وقد اختارتهم الحكومة فعلاً، ونجد في قائمة الترشيح هذه أسماء كل من: محمد حسين هيكل، وأحمد لطفي السيد، وعباس محمود العقاد، وطه حسين وغيرهم من أبرز المفكرين المصريين في تلك الفترة، ولكن اختيارهم الفعلي [لم يكن مع الإسكندري أو علي الجارم، وإنما جاء فيما بعد](108).

عمل الإسكندري بوصفه عضواً في مجمع اللغة العربية في اللجان السبع التالية، وجرت العادة أن يشارك العضو في لجنة واحدة أو لجنتين على الأكثر، وهذه اللجان هي:

---

(107) أول ناد كان موجوداً فعلاً بين عامي 1907-1912. ثم عاد وتأسس ثانية عام 1933، وأصدر صحيفة فصلية ظلت تصدر حتى عام 1948. ولا يزال النادي باقياً ومستمراً حتى يومنا هذا.

(108) مهدي علام، 25/1.

- تم قبول المفكرين والأدباء الذين تشير إليهم الباحثة على النحو التالي: عين أحمد الإسكندري، وعلي الجارم عند إنشاء المجمع عام 1933. وعين كل من: محمد حسين هيكل باشا، وأحمد لطفي السيد باشا، وعباس العقاد، وطه حسين عام 1940. (المعرب).

أصول اللغة، والرياضيات، وعلوم الحياة، والطب، والصحيفة، والمكتبة، والمالية[109]. ويقال إنه كان الأقرب بين زملائه الدرعميين في هذه المؤسسة إلى أصوله الأزهرية، خاصة في دفاعه القوي عن اللغة العربية، ويرى التساهل في فتح الباب أمام اللغات الأجنبية لغزو اللغة العربية جريمة في حق الوطن. وفي عام 1938 شارك في مؤتمر الطب العاشر الذي انعقد في بغداد ممثلاً لمجمع اللغة العربية، وكان بحثه الذي تقدم به مجموعة من مصطلحات الكيمياء المعربة[110]. كما سبق له أن شارك في مؤتمر المستشرقين الذي عقد في أثينا عاصمة اليونان عما 1911 ببحث عن "اللهجات العامية" كآخرين ممن درسوا في دار العلوم ألف عدداً من الكتب المدرسية، وحده أو بالاشتراك مع آخرين من زملائه الدرعميين، أو مع آخرين غيرهم من الشخصيات البارزة في التعليم، أمثال أحمد أمين وعبد العزيز البشري وغيرهم. ويتألف كتابه "تاريخ الأدب العربي" من أربعة أجزاء، وهو معد لتلاميذ المرحلة الثانوية، ورتبه تاريخياً على نحو تنازلي، فهو يبدأ بالأدب الحديث، وينتهي بالعصر الجاهلي في المجلد الرابع، وضمنه منتخبات أدبية تناسب كل موضوع عرض له، واشترك في تأليفه معه كل من علي الجارم وأحمد ضيف (تخرج من دار العلوم 1909) وأحمد أمين، وهو مفكر مصري بارز[111].

---

[109] L'Aczdemie de Langue Arobe du Cairo (مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، ص88. ولمزيد من المصادر انظر فيما سبق ص62، وهوامش رقم 70.

[110] المصدر نفسه، إلا أن هذه المصطلحات لم يتم تطبيقها. انظر ص ؟؟؟؟؟ من الترجمة.

[111] الأب قنواتي، ص420-421.

وله كتاب آخر أيضاً، وهو كتاب "الوسيط في الأدب العربي وتاريخه" بالاشتراك مع مصطفى العناني (تخرج من دار العلوم عام 1898) وألفاه عام 1916، وظهرت طبعته الثانية عشرة عام 1972[112].

وهو دليل آخر واضح أشد الوضوح على عمق التأثير المتواصل لدار العلوم وخريجيها الأوائل في التعليم المصري. إذن ما الخصائص التي ميزت هذه المجموعة من هيئة التدريس في دار العلوم؟

الخاصية الأولى، وربما كانت الأهم، تتعلق بمؤلفاتهم، فنحن نلحظ أنهم باستثناء المجموعة التي درست اللغة العربية في إنجلترا وألمانيا،فإن البقية منهم ركزت في مؤلفاتها علي اللغة العربية، والأدب العربي، وما يتصل بهما، والشريعة الإسلامية، ومن خلال أعمالهم هذه بدأوا يغيرون أسلوب التعليم المصري ومحتواه، عن طريق تأليف كتب مدرسية جديدة لكل المستويات التعليمية، وقاموا ـ كما ألمحنا من قبل ـ بتأليف بعض الأعمال الرائدة في تاريخ اللغة العربية وأدبها، فقدموا بهذا منهجاً جديداً لدراسة التراث العربي، في مجتمع يحاصره الأوربيون، والثقافة أمضى أسلحتهم في هذا الحصار، لأن هؤلاء الخريجين وقد عادوا ليدرسوا في دار العلوم، مدرستهم الأم، فأتيح لهم أن يمارسوا تأثيراً إضافياً عن طريق غرس هذا الروح الجديد في أذهان الآخرين.

[112] دليل الكتاب المصري 1972، ص781.

وقد تمكن هؤلاء الأساتذة الذين درسوا في دار العلوم أن يبثوا في طلابهم، خلال الاحتلال البريطاني بغض النظر عن المواد التي كانوا يدرسونها، روحاً وطنية جديدة، من خلال تعزيز احترام الذات في نفوسهم، وبث الثقة فيهم، وتذكيرهم بحضارتهم وثقافتهم المصرية والعربية والإسلامية، ومن ثم لم يكن ما يتذكره هؤلاء الطلاب من محاضرات الأساتذة الكثير من محتواها فحسب، بقدر ما استقر في أعماقهم من الحماسة والحمية التي كانوا يتلقون بها هذه المحاضرات، في الوقت الذي اكتسبوا فيه المعرفة والأساليب الجديدة بسرور شديد، وهو ما اختلف بعض الشيء عن التعليم في الأزهر.

وثمة خاصية أخرى تميز هذه الكوكبة من هيئة التدريس في دار العلوم، تتعلق بحياتهم المهنية، فقد تخرج معظمهم في القرن التاسع عشر قبل أن يتم إعداد المدرس الجديد في مصر، فاستفادوا من مرونة فرص العمل على نحو لم يتوفر لخريجي دار العلوم الذين لم يحملوا درجات علمية إضافية في الفترة التالية لهذه المرحلة، ومع وجود نقص نسبي في أعداد المدرسين، حتى مع ندرة فرص العمل في التدريس، ومن ثم كانت الحاجة شديدة لخدمات هؤلاء الخريجين، رغم أنهم لم يدرسوا إلا في مدارس حكومية متواضعة المستوى، إلا أن خدماتهم الجليلة هذه كانت أحد أسباب ارتفاع نسبتهم في مرحلة مبكرة للوصول إلى مناصب في معاهد التعليم العالي، بما في ذلك دار العلوم نفسها.

لقد انهارت معاهد إعداد المعلمين في مصر انهياراً مؤقتاً في العقد الأخير من القرن التاسع عشر، والعقد الأول من القرن العشرين، ومن ثم فإن بقاء دار العلوم في هذه الفترة يسترعي الانتباه. وأسباب إغلاق تلك المعاهد الأخرى، التي ألمحنا إليها سابقاً، مثال علي

انخفاض مستوى المهنة التعليمية وعدم وجود فرص أفضل في أماكن أخرى لخريجي المدارس الابتدائية والثانوية، وقلة هؤلاء الخريجين، وغيرها. وكل هذه الأسباب هامة، ووثيقة الصلة بالموضوع، ومن الواضح أن كليات إعداد المعلمين الأخرى، مع أن نظارها، ونسبة عالية من هيئة التدريس فيها أجانب، لم تستطع أن تحقق التواصل مباشرة مع الطلاب، على نحو ما استطاعته دار العلوم مع طلابها، نظراً لوجود خريجيها أعضاء في هيئة التدريس بها. وكأي معهد أهلي تماماً قدمت دار العلوم للمصريين الذين تلقوا معظم تدريبهم وإعدادهم السابق قبل دخولهم إليها في الأزهر، وعداً بالعمل في الحكومة دون أن يرتبط هذا الوعد بلغة أو ثقافة أوربية، حتى لو سبق لهم دراستها.

- **خريجو دار العلوم الذين يحملون درجات إضافية**:

أما الخريجون الذين حصلوا على درجات أخرى بعد التخرج، ودرسوا في دار العلوم قبل عام 1924/1923 فقد التقوا في بعض الخصائص مع زملائهم في الدار، وكذلك مع بعضهم البعض، ومع ذلك ثمة ملاحظات جاءت وليدة تعليمهم الإضافي في هذا. فمن بين الأحد عشر عضواً الذين تكونت منهم هذه المجموعة، وكانوا يمثلون هيئة التدريس في دار العلوم، تخرج الأربعة الأُوَل ما بين عامي (1885-1891)، على حين أتم الستة الآخرون كلهم تعليمهم بين عامي (1903-1910).

وقد واصل خريجو دار العلوم ما بين (1885-1891) الحصول على العديد من الدرجات العلمية الإضافية المتنوعة: اثنان في فرنسا، وواحد في ألمانيا، وواحد في الأزهر، وأحد الاثنين اللذين درسا في فرنسا، وهو محمود أبو النصر درس في الأزهر قبل السفر إلى

الخارج حيث أتم فيه دراسة الحقوق في جامعة ليون، ثم عاد إلى مصر فعمل محامياً وسياسياً، وأخيراً تم انتخابه عضواً في مجلس الشيوخ[113]. وآخر من هؤلاء الخريجين وهو محمد نصار (1863-1936) انتخب نائباً عن بلده سرس الليان (منوفية) في مجلس النواب فيما بعد[114]، وقد شغل محمد نصار وأحمد عمران مناصب عليا في تفتيش المدارس، وهذه إحدى الخصائص الأساسية التي تميز الخريجين الذين حصلوا على درجات تعليمية إضافية عمن لا يحملون منهم هذه الدرجات.

كل الخريجين تقريباً الذين عملوا في تفتيش المدارس هم ممن درسوا في الخارج[115]، وقضوا أغلب سنوات عملهم مشرفين تربويين أكثر مما عملوا مدرسين. وذلك على عكس ما كان يحدث لمن لم يحصلوا على تلك الدرجات، فقد كانت وظيفتهم الأساسية هي التدريس. مثلاً عندما عاد محمد نصار من برلين حيث قضى سبع سنوات في الدراسة

---

[113] عن أبو النصر انظر: تقويم دار العلوم 444-445. - كحالة 204/12.

وقد أصبح مجلسا النواب والشيوخ مؤسستين تشريعيتين بعد الاستقلال، وكانت لمجلس الشيوخ المكانة الأرفع.

[114] تقويم دار العلوم 287-288. - كحالة 76/12-77. - الزركلي، 346/7.

[115] لم يعمل الحملاوي في تفتيش المدارس رغم أنه حاصل على شهادتي دار العلوم والأزهر، ويشهدون له بأنه من كبار علماء الصرف، وقضى خمسة وعشرين عاماً ناظراً لمدرسة عثمان ماهر، واستخدمت دار العلوم كتبه لسنوات عديدة. انظر: تقويم دار العلوم ص338. - الكتب العربية التي نشرت في الجمهورية العربية المتحدة (مصر) من عام 1926-1940 ص82.

- سركيس، 385/1. - كحالة، 213/1.

والتدريس، قام بالتدريس في دار العلوم لمدة ثلاث سنوات فحسب قبل أن ينتقل إلى تفتيش المدارس في عام 1902، وظل فيه حتى عام 1924[116]. وأصبح أحمد العوامري، وهو أول متخرج من دار العلوم يُرسل إلى كلية "إعداد ريدنج داي Reading Day " في إنجلترا[117]، وأصبح مفتشاً عام 1911، أي بعد أربع سنوات فحسب من تعيينه مدرساً في دار العلوم[118].

وثمة آخرين أفنوا جانباً كبيراً من حياتهم المهنية في القيام بدور إشرافي أو رقابي، وبذلوا مجهودات كبيرة في التعليم المصري وهم: علي الجارم ومصطفى أمين وزكي المهندس[119].

---

[116] تقويم دار العلوم ص287-288.

[117] سوف أتناول هذا المعهد بالتفصيل فيما بعد، في الفصل السادس. إضافة إلى أن عوامري محمد حسنين عبد الرازق، خريج 1909، وزكي المهندس خريج 1910، وشرف الدين محمود خطاب، وكلهم تخرجوا في دار العلوم قبل 1923، وممن حصلوا على درجات من هذا المعهد.

[118] تقويم دار العلوم ص352. - مهدي علام، 21/2.

[119] فيما يتصل بمصطفى أمين، انظر: تقويم دار العلوم، ص 205-207.

- محفوظات ألبرت الملكية التذكاري، وسجلات المصروفات بها أعوام 1907-1911.

عمل المذكوران الأولان في تفتيش المدارس في بادئ الأمر، على حين درس المهندس لسنوات طويلة، وكان يعمل في الوقت نفسه ناظراً لدار العلوم، وانتخب عضواً في مجمع اللغة العربية عام 1947، وكان في غاية الكرم إذ أشركني في استعادة ذكرياته السابقة. وتشمل مصادره:

- تقويم دار العلوم ص155-157. - مهدي علام، 77/2-78.

وعن علي الجارم، انظر: مهدي علام المجلدين الأول والثاني.

=

=

- محمد خلف الله: تطور اللغة والأدب العربي في القرن العشرين.

L'evolation de la langue et de la literature arabe du xxe siecle.

في كراسات التاريخ العالمي 1960/1 ص157-122.

Cahies d' histoire Mundiale, 1960, 122 - 157.

- صحيفة دار العلوم، أحمد الشايب، الجارم الشاعر (القاهرة 1967) في صفحات متفرقة.
- الكتب العربية التي نشرت في الجمهورية العربية المتحدة ص255، 275، 187.
- دليل الكتاب المصري 1972، ص 1008-1009، 318، 554.
- أحمد الشايب، دراسة أدب اللغة العربية بمصر في النصف الأول من القرن العشرين، القاهرة 1966، في صفحات متفرقة من هذا الكتاب.
- ديوان علي الجارم، المجلدات الأربعة، القاهرة 1938-1939.
- كحالة، 107/7-108.
- سيركس ص670.
- تقويم دار العلوم ص155-157.
- بروكلمان، الملحق جـ3 ص172-173.
- الزركلي، 106/5.
- راشد الحمزاوي، مجمع اللغة العربية في القاهرة تونس 1975، ص: 65، 67، 85، 106، 130، 144، 145، 177، 178، 240، 241، 282، 289، 290، 292، 334، 335، 429.
- الأب قنواتي، ص 214، 420، 421.
- سعد الدين الجيزاوي، العامل الديني في الشعر المصري الحديث، القاهرة 1964 ص262، 263، 327، 328. وقد درس علي الجارم اللغة الإنجليزية في نوتنجهام سنة، تلتها سنوات أخرى في جامعة ألبرت الملكية التذكارية حيث درس أصول التربية والتدريس وعلم النفس والخطابة والأدب الإنجليزي.
- انظر: محفوظات ألبرت الملكية وسجلات المصروفات بها في أعوام 1909-1912. كما أنه عمل وكيلاً لكلية دار العلوم من 1940 إلى 1942.

- إشارة الباحثة إلى ديوان الجارم وطبعته في حاجة إلى فضل بيان، فقد توالت طبعاته بعد أن تمت بحثها.

=

وهناك مجال آخر تميز فيه خريجو دار العلوم ممن يحملون درجات أخرى تزيد عن زملائهم الذين يدرسون فيها ممن لا يحملون سوى دبلومها، وهو مجال النشر والتأليف. ذلك أن الخريجين الذين يحملون درجات إضافية قاموا بتأليف كتب تتناول اللغة والأدب ولكنهم لم يقفوا عندها. فتناولوا الموضوعات الأحدث في التعليم وعلم النفس، وذهبوا فيها إلى مدى بعيد، وينطبق هذا بخاصة على جميع الخريجين الذين درسوا في إنجلترا[120]. وقد أثر اهتمامهم بسيكولوجية التعليم في الكتب التي ألفوها في مواضع أخرى، خاصة الكتب المدرسية التي ألفت للمدارس الابتدائية والثانوية.

=

صدرت منه طبعة جديدة، ضمت قصائد لا تتضمنها الطبعات السابقة، وصدرت عن دار الكتاب المصري اللبناني في القاهرة في ثلاث طبعات متوالية: أولاها عام 1986، والثانية عام 1990، والثالثة عام 1997.

كما قام الدكتور أحمد علي الجارم الأستاذ في كلية الطب، وعضو مجمع اللغة العربية، بجمع كل تراثه النثري من روايات تاريخية وترجمة، ونشره في مجلد واحد بعنوان "سلاسل الذهب" وصدر عن المكتبة المصرية اللبنانية في القاهرة، كما صدرت الطبعة الثالثة منها، عن الدار نفسها في ثلاثة مجلدات عام 2007م. كما جمع البحوث والمقالات التي كتبها الشاعر علي الجارم، وكانت موزعة بين عدد من الصحف والمجلات في كتاب حمل عنوان: جارميات ونشرته دار الشروق، الطبعة الأولى عام 1992، والثانية عام 2001. (المعرب).

وثمة مصدران هامان عن الجارم، أولهما: في عيون الأدباء، ويضم ما كتبه النقاد عن الشاعر والأديب واللغوي علي الجارم، جمعها وأعدها للنشر الدكتور أحمد الجارم، ونشرتها الدار المصرية اللبنانية في القاهرة عما 2002.

والكتاب الثاني، وهو بقلم د. أحمد علي الجارم، وعنوانه: شاعر العروبة الكبير علي الجارم وفصل الخطاب، وكان لي شرف التقديم له، وصدر عن الدار المصرية للكتاب عام 2009م. (المعرب).

[120] في الفصل السادس سوف أتناول البرامج التي درسها هؤلاء المبتعثون في جامعة ألبرت الملكية التذكارية وفي جامعة Reading Day Training College.

لقد اتجه أولئك المدرسون الثلاثة في دار العلوم، علي الجارم، ومصطفى أمين، وزكي المهندس، أن يسيروا على نحو ما صنع زملاؤهم السابقون فيتشاركوا في تأليف الكتب المدرسية، فألف علي الجارم، ومصطفى أمين كتابين شهيرين هما: النحو الواضح، والبلاغة الواضحة للمدارس الابتدائية والثانوية، ولقيا رواجاً غير مسبوق، وأعيدت طباعتهما عشرات المرات[121]، كما تشارك علي الجارم، وأحمد العوامري في تحقيق كتاب البخلاء للجاحظ والتقديم له. وشارك هؤلاء الأساتذة في عدة لجان تكونت لتأليف الكتب المدرسية، وهي لجان كانت تجمع بين هيئة التدريس من خريجي دار العلوم السابقين[122]. وقد حصل هؤلاء الخريجون على أوسمة من أعلى المستويات تقديراً لهم من الحكومة المصرية وغيرها من الحكومات العربية والأجنبية، وربما كان وراء هذا التقدير التعليم الإضافي الذي حصلوه، والشهادات الأخرى التي نالوها، وكان حظهم في هذا المجال أفضل بكثير جداً من زملائهم الآخرين الذين لم يحققوا هذا القسط من التعليم الإضافي، لقد نال كل من محمد نصار، وأحمد العوامري، وعلي الجارم رتبة البكوية[123]، ومنحته الحكومة العراقية وسام الرافدين، والجمهورية اللبنانية وسام الأرز. وانتخب محمد حسنين عضواً في كل من الجمعية الآسيوية

---

[121] شاهدت عام 1971 نسخة من كتاب "النحو الواضح"، وهي الطبعة الخامسة والعشرون، وصدرت عن دار المعارف بالإسكندرية ويهدف هذا الكتاب إلى تحديث العمل الرائد الذي قام به حفني ناصف كتابه "قواعد اللغة العربية".

[122] انظر على سبيل المثال: الأب قنواتي ص420، 421، 409، 410.

[123] تقويم بأسماء ذوي الألقاب والرتب المدنية الحديثة، من إبريل 1915 إلى أوائل سبتمبر 1951 مرتين هجائياً، ص76، 159، 349. - تقويم دار العلوم ص162-163.

الملكية والجمعية الجغرافية وكلتاهما في لندن، على حين انتخب علي الجارم عضواً في المجمع العلمي في دمشق[124].

وانتخب اثنان من هؤلاء الخريجين هما: علي الجارم وأحمد العوامري، عضوين مؤسسين في مجمع اللغة العربية في القاهرة. على حين انتخب زكي المهندس عضواً في هذا المجمع فيما بعد. وينتمي أحمد العوامري أيضاً لمجمع مبكر للغة العربية ظهر في أوائل عشرينيات القرن العشرين، ويهدف إلى تأليف معجم حديث للغة العربية[125] ومثل أحمد الإسكندري شارك كل أعضاء هيئة التدريس في دار العلوم من خريجيها بنشاط ملحوظ في عمل المجمع، وقد سجل حمزاوي الكثير من مناقشات هؤلاء تفصيلاً، وأشرف كل من علي الجارم وزكي المهندس على صحيفة المجمع، وفي سنة 1964 انتخب زكي المهندس نائباً لرئيس تحرير الصحيفة، على حين قام أحمد العوامري إلى جانب أحمد الإسكندري بدور المحافظ على التراث . إلى حد ما . في المجمع، وكان الجارم والمهندس أشد رغبة في التجديد فيما يتصل بإصلاح اللغة.

---

[124] أما عن محمد حسنين فانظر: - تقويم دار العلوم ص357-359.

- مجلة جامعة أكسفورد 1913. Oxford University Gazette. 1913. - الزركلي، 327/6.
- كحالة، 230/9. - مركز سجلات جامعة Reafing، وكلية جامعة ريدنج، قسم الإعداد الأولي.
- لجنة التعليم، 19 أغسطس 1913، صندوق رقم 83.

[125] راشد الحمزاوي، مجمعة اللغة العربية في القاهرة، ص46، وتتضمن مصادره: تقويم دار العلوم ص352.

- مهدي علام، 21/2-22. - راشد الحمزاوي، ص87، 130، 128، 131، 144-145، 153، 329، 240، 291، 410-414.

وثمة تميز آخر جدير بالاعتبار:

كان من السمات الواضحة بين أعضاء هيئة التدريس في دار العلوم ممن هم من أبنائها أصلاً، يتعلق بنشاطاتهم في مجالات أخرى. مثلاً، اشتهر علي الجارم أساساً، بين الكثيرين من معاصريه، رغم إسهاماته الكثيرة الواضحة في مجال التعليم المصري، بأنه شاعر مفلق، برع في فن المديح، وناثر مبدع، حلق في كتابة الرواية التاريخية.

ولم تظهر إسهامات محمود أبو النصر جلية واضحة في التعليم، ولكنه اشتهر في السياسة والقانون. وكل هؤلاء الذين عرضنا لهم، وحققوا شهرة واسعة في تلك المجالات المختلفة، عملوا أيضاً في الإدارة التعليمية، أو مدرسين في بدء حياتهم المهنية، ولكنهم لم يشتهروا في هذا المجال.

خاتمة:

يتجلى من اهتمامنا السابق بهيئة التدريس في دار العلوم ما بين (1872-1923) حقيقة واضحة، بالغة الدلالة، وهي ظهور صفوة من رجال التعليم[126] والمهتمين به، تركت بصمات واضحة وأثرت عميقاً في تطور التعليم المصري في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ولأن معظم أساتذة دار العلوم درسوا في الأزهر أيضاً، كما درسوا في المدارس الحكومية الابتدائية والثانوية، كانوا أقدر من غيرهم على تقديم خبرة عملية وتنظيرية لطلابهم، وجاءت كتاباتهم، بالإضافة إلى كتابات خريجي دار العلوم الآخرين، ممن درسوا فيها خلال ما بعد عام 1923 بتطوير التعليم الابتدائي والثانوي في مصر شكلاً ومحتوى. ورغم أن الكتب التي كان يدرسها الحسين المرصفي تختلف بقوة عن الكتب التي استخدمتها هيئة التدريس في دار العلوم من خريجيها، ممن جاءوا بعده بخمسين عاماً، إلا أن هذه الكتب جميعها تمثل جهوداً رائعة، بُذلت بسخاء، لتحديث تدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وتراث مصر الحضاري والثقافي، لمن يقومون بتدريس هذه المواد في المدارس المصرية.

بغض النظر عن خلفيات هيئة التدريس المتنوعة في دار العلوم، نجد أنهم ساعدوا على نمو المدارس المصرية وازدهارها، من خلال تدريسهم وأبحاثهم، في بيئة معادية لكل هذا غالباً. واكتسب طلابهم أيضاً روح الولاء للمعهد الذي يدرسون فيه، فأصبحوا مدافعين مخلصين عن دار العلوم في أوقات الأزمات والمحن. وما كان أكثرها بعد الحرب العالمية الأولى! . خاصة عندما ازدادت المحاولات لإلغاء دار العلوم، وعلى نحو أخص بعد إنشاء كلية اللغة العربية في الأزهر، وبعد ضم الجامعة المصرية الأهلية إلى الدولة، وأصبح اسمها فيما بعد جامعة فؤاد الأول، ثم جامعة القاهرة بعد ذلك وفي التحليل الختامي يمكن القول إن أعضاء هيئة التدريس في دار العلوم قدموا خدمات لكل من دار العلوم وللتعليم المصري معاً، ساعدت دار العلوم على البقاء ودعمت التعليم المصري وقوته.

[126] استخدم مصطلح الصفوة elite هنا دون نظر إلى مفهومه في الأدب، وإنما أعني به الزمرة المختارة من بين موظفي الدرجات العليا الذين انغمسوا في التعليم المصري وشغلوا بهمومه.



فاتحة العدد:

الثقافة واللغة والتعليم في مصر الحديثة (1872 – 1923)

ودور دار العلوم في تحديثها

للدكتورة لويز آرمين أروين – جامعة متشيجين

تعريف وتقديم وتعليق: د. الطاهر أحمد مكي

الفصل الرابع

- **القبول : علاقة الأزهر بدار العلوم:**

كان الهدف الأساسي من إنشاء دار العلوم إعداد طلاب الأزهر الراغبين في أن يكونوا مدرسين في المدارس العامة الحكومية ، ورغم أن هؤلاء كانوا عادة يتقدمون إليها من الأزهر مباشرة ، إلا أن الكثيرين منهم أيضاً درسوا في مرحلة ما من تعليمهم في المدارس الابتدائية الحكومية ، ولأن دار العلوم كانت عند إنشائها أعلى معهد تعليمي حكومي في مصر متاح لهؤلاء الطلاب الذين تلقوا تعليما تقليديا ، أو في الأقل أعد خصيصا لهم ، فقد كان التنافس شديدا على دخولها ، وكانت الاختبارات بين المتقدمين تجرى على أعلى مستوى ، ولم يكن النجاح متاحا فيها سوى لمن هم أعلى ذكاء فحسب. وبمجرد أن يقبل الناجح في دار العلوم يحصل الشيخ الأزهري على فرص تعليمية أخرى ، كأن يبتعث إلى خارج

مصر للدراسة ، والوصول إلى مناصب أعلى من حيث الراتب والوضع الاجتماعي ، على نحو أفضل مما يحصل عليه من تعلم في الأزهر فحسب.

بقى أن نوضح هنا ، أن الأزهر طوّر درجاته العلمية ، وجدد مناهجه ، بين عامي 1872 و 1923 ، ومن ثم أصبحت الدرجات العليا التي يمنحها المعهدان تمثل قمة الاتجاه التعليمي في الطريق الذي سلكه كل واحد منهما. لقد قدمت دار العلوم للطلاب الذين تلقتهم ، وتعليمهم ديني في الأصل ، أسلوبا جديدا يتناولون في ضوئه ، من جديد ، الموضوعات التي سبق لهم دراستها ، وقامت بإعدادهم في الموضوعات والمواد العامة التي لم يدرسوها في الأزهر أصلاً ، كما قامت بتقديم أفضل الطرق والأساليب التربوية التي تعينهم على تحسين تعليم اللغة العربية.

أما في الجانب الآخر ، فقد اهتم الأزهر بالتعليم الديني ، وظلت نظرة الذين حصلوا على أعلى الدرجات منه دينية ، تقليدية للغاية ، ولم يهتموا بقدر كاف بالمواد والموضوعات والأساليب الغير دينية ، ما لم يصادفهم في طريقهم علماء آخرون معينون.

وبينما قاد تعليم دار العلوم خريجيها إلى المدارس العامة الحكومية ، انتهى الأزهر بخريجيه إلى العديد من المناصب الدينية ، بما في ذلك التدريس الديني فحسب ، حتى وإن قضوا عدد السنوات المطلوبة ، وأتموا المتطلبات المناسبة ، ليعينوا في مناصب التدريس في الأزهر نفسه.

بدءا سوف ننطلق في هذا الفصل من متطلبات القبول في دار العلوم ، والسياسة المتبعة فيه ، والتطورات المعاصرة في الأزهر ، والعلاقة التي ظهرت بين البرامج التعليمية في كلا المعهدين.

- **دخول دار العلوم: المتطلبات والإجراءات.**

ثمة ظواهر عديدة بارزة في إجراءات الالتحاق بدار العلوم ، خاصة بعد صدور لائحة المدارس ، التي وضعت أسلوبا ثابتا للمفاضلة بين المتقدمين.

في البدء ، عند إنشاء دار العلوم ، كانت أسس الدخول المتعلقة بالسن والصحة ومستوى المعرفة ، تقاس عن طريق الاختبار ، وبحلول عام 1920 تطورت الإجراءات والمتطلبات فأصبحت أطول كثيرا ، وأشد خصوصية ، رغم أن معايير الدخول ظلت ثابتة على حالها لم تتغير.

أحد الشروط الأساسية لدخول دار العلوم يتعلق بسن الطالب المتقدم في عام 1872 كان الحد الأدنى عشرين عاما والأقصى ثلاثين. وكما ذكرنا في الفصل الأول كانت مجموعة الذين حضروا محاضرات دار العلوم تتراوح أعمارهم بين الثلاثين والأربعين عاماً ، وأهم تغيير عرض لجانب السن هذا في الفترة ما بين 1872 و 1913 خفض السن تدريجيا. ومع صدور أول لائحة رسمية لدار العلوم عام 1887[1] اشترطت ألا يزيد سن المتقدم عن خمسة وعشرين[2] ، ويتم تحديد السن بتقديم شهادة الميلاد أو مستند رسمي معادل لها ، وفي عام 1896/1895 نصت اللائحة على أن يقدم المتقدم ما يثبت أن عمره يتراوح ما بين الثامنة عشر والخامسة والعشرين[3]. ومنذ سنة 1897 وحتى عام 1913 تحددت سن الطالب بأن يكون ما بين الثامنة عشر والرابعة والعشرين[4].

([1]) وضعت لجنة 1880 لوائح لمدرسة المعلمين المركزية ، وفيها شكلت دار العلوم القسم رقم واحد ، ولكن لا يوجد دليل على تنفيذ تلك اللوائح.

([2]) لائحة دار العلوم لعام 1887 ، مادة 13 ، ص5.

([3]) لائحة دار العلوم لعام 1895 ، مادة 4 ، ص3 ، ولائحة 1896 ، مادة 4 ، ص4.

([4]) لوائح دار العلوم ، مادة 4 على النحو التالي: 1897 ص4 ، 1898 ص4 ، 1899 ص4 ، 1901 ص10 ، 1903 ص6 ، 1906 ص8.

ولكن لائحة 1913 ، التي طبعت ، وأعيد تأكيدها عام 1920 ، اشترطت أن يكون سن المتقدم بين السادسة عشرة والثالثة والعشرين[5]. وعند إنشاء تجهيزية دار العلوم سنة 1920 كان الحد الأدنى لسن القبول فيها سبعة عشرة عاماً ، ولأن مدة الدراسة في التجهيزية أربعة أعوام ، كان على الطالب فيها لكي يستطيع دخول دار العلوم ألا يرسب طوال دراسته في التجهيزية أكثر من مرتين ، لأن سنه في حالة رسوبه أكثر من مرتين يتجاوز الحد الأقصى لسن القبول في دار العلوم[6].

بعامة يمكن أن نفسر متطلبات السن هذه في ضوء الرغبة في تحسين إعداد المرشحين المتقدمين ، وازدياد الطلب على المدرسين المؤهلين ، وتدل من جانب آخر على الرغبة التعليمية في إعداد من هم أصغر سنا.

إضافة إلى متطلبات السن ، كان على المتقدمين للالتحاق بدار العلوم أن يقدموا شهادات تدل على تمتعهم بصحة جيدة ، وعلى حسن السير والسلوك. وتذكر المادة الرابعة عشرة من لائحة 1887 ضرورة تقديم شهادة تطعيم تحديدا من طبيب المدرسة ، وأن تكون شهادة حسن السير والسلوك من المعهد التعليمي الذي سوف يتركه المتقدم. ومع صدور لائحة عام 1913 تم توضيح هذه المتطلبات تفصيلا.

وفي الواقع تضمنت هذه اللوائح مجموعة معينة من التعليمات الخاصة بملاحظة الشروط المختلفة. ونصت المادة الخامسة من اللائحة على وجوب أن يخضع الراغبون في الالتحاق لفحص طبي ، ولكن المادة الثانية من هذه التعليمات أوضحت أنه يجب عليهم أن يتقدموا لطبيب المدرسة

([5]) لوائح دار العلوم ، 1903 مادة 4.

([6]) نظارة المعارف العمومية ، لوائح المدرسة الإعدادية ، قرار وزارى رقم 2219 ، مادة 7.

في موعد ينشر في جريدة "الوقائع" الحكومية[7] ، هذا بالإضافة إلى شهادتي التطعيم وحسن السير والسلوك.

كما أوضحت التعليمات أيضا أن شهادة السير والسلوك يتم الحصول عليها من شخص مناسب وأن توثق من قبل السلطة المعينة (المادة 1). وأضافت التعليمات في عام 1901 شرطا آخر ، وهو يجب على الأب ، أو من ينوب عنه في القاهرة ، التعهد بملاحظة الطالب خارج المدرسة ، وأن يخطرها في حال غيابه موضحا لها الأسباب ، وتاريخ عودته إليها ، كما عليه أن يوافق على الالتزام بلوائح المدرسة وبالنظم المقررة فيها[8].

فيما يتصل باختبارات الدخول كانت المواد التي تقررت في عام 1887 تتشابه مع المواد التي ذكرت في عام 1887 تتشابه مع المواد التي ذكرت في عام 1872[9] ، إلا أن عملية الاختبار نفسها تم توضيحها بكثير من التفاصيل ، وأصبح دخولها يستلزم بدءا تقديم طلب التحاق ، مصحوبا بالمستندات التي أشرنا إليها آنفا ، وبعدها يتم اختبار الطالب شفويا وتحريريا أمام لجنة من الممتحنين من أساتذة الدار برياسة ناظرها ، وكان محتوى الامتحان على النحو التالي:

1- حفظ القرآن الكريم تلاوة وتجويداً.
2- حفظ ألفية ابن مالك: تسميعها وتحليل نص منها ، مع بيان وتوضيح ما يتضمنه من قواعد.
3- اختبار في علوم الشريعة.

([7]) أنظر مثلا: لوائح دار العلوم 1901 ، مادة 23 ص9.

([8]) لوائح دار العلوم ، 1901 مادة 3 ص4.

([9]) انظر الفصل الخامس بالقواعد الإرشادية لعام 1872 ، ولوائح دار العلوم 1887 ، مادة 10 ، ص 15 ، 17 ، صفحات 6 و 8 ، فهي تقدم الأساس الذي قامت عليه المناقشة الواردة في الفقرة التالية.

4- قراءة نص أدبي ، وتحليله لغوياً.

وقيل للطلبة آنذاك إن اللجنة تفضل من لديه معلومات أوسع مما هو متوقع. وبعد الاختبار يعد الممتحنون قائمة بالمرشحين تتضمن الدرجات التي حصلوا عليها في كل مادة ، ويقوم الناظر بإعداد قائمة بالطلاب الذين تسمح لهم درجاتهم بدخول المدرسة ، ثم يقدمها إلى نظارة المعارف. وكان على الطالب أن يحصل على اثنتي عشرة درجة من عشرين على الأقل في كل مادة من المواد التي اختبر فيها. وكانت نظارة المعارف تنشر في نهاية كل عام دراسي ، في الصحيفة الرسمية عدد الطلبة الذين سوف يقبلون للالتحاق بالمدرسة في السنة القادمة ، وتاريخ اختبار القبول ، ومتطلبات دخوله ، مما يعني أن المتقدمين إليه يعرفون سلفاً كم عدد الذين سينجحون فعلاً ، وبعد دخولهم تنشر أسماؤهم ، ومواطن ميلادهم ، في الصحف.

وتشير جداول متطلبات الالتحاق التالية إلى أي مدى اختلف محتواها وتغيّر ، فأصبح أكثر تفصيلاً ، وأدق توصيفاً ، وأشد توضيحاً ، منذ عام 1895 حتى عام 1920. وابتداء منذ عام 1895 تم تحديد البند الأول والثاني اللذين أشرنا إليهما فيما سبق ، على أنهما جزء من الاختبار الشفوي ، اما اختبار المتقدمين تحريرياً فكان يتم على النحو التالي:

1- يجب أن يحصل المتقدم على عشرين درجة من أربعين في مادة النحو ، بما في ذلك الإعراب. وكذلك في البلاغة (المعاني والبيان).

2- ويجب عليه أن يحصل على خمس عشرة درجة من ثلاثين ، في القسم الخاص بالتوحيد والمنطق والفقه ، في أي مذهب من المذاهب الأربعة.

3- أما المواد الأساسية في الاختبار الشفوي فيجب أن يحصل الطالب فيها على اثنتي عشرة درجة من عشرين على الأقل.

4- أما موضوعات المعارف العامة فتحظى بأفضلية أنها اختيارية. وتشمل مبادىء الدين الأساسية ، والمصطلحات التقنية الخاصة بالتقاليد وتدبيج الكلام وحفظ بعض النصوص الأدبية[10]. وفي عام 1896 أضيفت المعارف العامة إلى قائمة المواد الاختيارية[11] وبعد ذلك بعام ، أي في سنة 1897 أضيفت مادة الإملاء والإنشاء إلى مادة النحو. ثم جاءت مادة الخط العربي لتصبح بعد عدة سنوات جزءاً هاماً من الامتحان ، وكان على الطالب لكي ينجح فيها أن يحصل على خمس عشرة درجة على الأقل من أربعين.

وظلت مواد الشريعة كما هي ، غير أنه كان على الطالب أن يقرأ في الامتحان الشفوي جانباً من كتاب ذي قيمة لما يدرس من قبل ، وأن يشرح الفقرة التي قرأها مع إعرابها ، وكانت درجة النجاح في هذه الجزئية ثنتا عشرة درجة من عشرين. وفيما بعد أصبح الامتحان في الجزء الخاص بالمعارف العامة إجبارياً لقياس الذكاء الطبيعي للمتقدم ، وأصبح الحد الأدنى للنجاح فيها عشر درجات من عشرين[12]. والتغيير الوحيد الذي طرأ على هذا النظام حدث في عام 1898 ، وبمقتضاه أصبح النجاح في الخط العربي عشر درجات من أربعين. بدل خمس عشرة من أربعين[13]. وبعد عام 1896 لم يد ذكر لأي مواد اختيارية أخرى.

---

(10) لوائح دار العلوم 1895 ، مادة 5 ، ص3.

(11) لوائح دار العلوم 1896 ، مادة 5 ، ص5.

(12) لوائح دار العلوم ، التغييرات التي تمت للائحة 1887 عام 1897 ، وشملت المادة الخامسة ، ص4 و 5.

(13) لوائح دار العلوم 1888 ، مادة 5 ، ص4.

وفي عام 1901 تم تحديد المواد التي يختبر فيها المتقدمون على نحو أكثر تنظيماً من الصورة التي كانت تُقدم بها فيما سبق ، وتم تصنيف المواد وإدراجها على النحو التالي:

	المجموع الكلي للدرجات
1- مواد يمتحن فيها الطالب تحريريا:	
• المجموعة الأولى ، وتشمل:	
1- الإملاء.	
2- الإنشاء (تحرير موضوع بسيط).	50
3- الإعراب.	
4- شرح قواعد النحو.	
5- البلاغة (المعاني والبيان).	
• المجموعة الثانية:	
الخط العربي	40
• المجموعة الثالثة ، وتشمل:	
1- التوحيد	
2- المنطق.	
3- أحد المذاهب الأربعة	30
2- مواد يمتحن فيها شفوياً:	
1- حفظ القرآن الكريم تلاوة.	
2- حفظ الألفية.	40
3- قراءة نص أدبي وفهمه مع شرح قواعد النحو التي تحكمه	

وإعرابه.

4- المعارف العامة لقياس الذكاء الطبيعي للطالب[14].

وأوردت لائحة 1903 نمط الامتحان نفسه مع بعض التغييرات التالية: إضافة مادة الحساب إلى المجموعة الأولى.

إن العدد الإجمالي لأقسام هذه المجموعة من الامتحان ستة ، يحرم من الالتحاق بالدار أي طالب يحصل على أقل من نصف الدرجة القصوى في المجموعة الأولى والثالثة ، وأقل من ربع الحد الأقصى فى المجموعة الثانية. وبقى الجزء الشفوي كما هو دون أي تغيير وعلى الطلبة أن يحصلوا فيه على خمسين في المئة على الأقل لكي يجتازوه بنجاح[15].

وقد ذهبت لائحة دار العلوم التي صدرت عام 1906 إلى أبعد من هذا بكثير في تصنيف المواد المتنوعة عما سبقها من لوائح ، فكانت على النحو التالي:

الامتحان التحريري

القسم الأول		درجة المادة	المجموع الكلي
• المواد:	الإملاء	6	
	الإنشاء	12	
	الإعراب	13	50
	قواعد النحو	13	
	البلاغة	6	

([14]) لوائح دار العلوم 1901 ، مادة 5 ، ص 10-11.

([15]) لوائح دار العلوم 1903 ، مادة 5 ، ص7.

المادة		الدرجة	المجموع
	المنطق	10	
	التوحيد	10	30
	شريعة	10	
	حساب أساسي	30	30

- القسم الثاني

المادة		الدرجة	المجموع
الخط	ثلث	14	
	نسخ	13	40
	رقعة	13	

- القسم الثالث:

المادة	الدرجة	المجموع
الجغرافيا		
(مصر والسودان المصري والإنجليزي)	30	30

- الاختبار الشفوي:
- القسم الأول:

المادة	الدرجة	المجموع
حفظ القرآن الكريم	30	
ترتيل القرآن	10	40
حفظ الألفية	40	40
قراءة نص وتحليله لغويا	20	
النحو	20	40

- القسم الثاني: المعلومات العامة.

الأحياء (نبات وحيوان)	10	
المناخ في مصر والدورة الزراعية	10	30
التنظيم الإداري في مصر	10	

ولكي ينجح الطالب كان عليه أن يحصل في الأقل على 50% في كل قسم ، مع مراعاة ما يأتي: كانت درجة النجاح في الإنشاء 4 من 12 ، وفي الإعراب والنحو في القسم الأول 5 من 13 ، و 40% في الخط العربي ، و 10 من 30 في المعلومات العامة[16].

يمكن أن ندرك من التصعيبات المتزايدة في مواد الامتحان – على نحو ما رأينا – أن متطلبات دخول دار العلوم أخذت تزداد توسعاً وشدة منذ عام 1887 إلى عام 1906 ، وكان يتم توصيف كل مادة بدقة ، ونجد الدليل العلمي على ذلك واضحاً في مادة الخط العربي مثلاً ، فقد كُسرت على ثلاثة أنواع: ثلث ونسخ ورقعة. وإلى جانب صعوبة امتحان 1906 وجاء أكثر شمولاً من الامتحانات السابقة ، وفيه تم لأول مرة ، على نحو لا لبس فيه ، تحديد مادة المعلومات العامة بعبارات دقيقة غير فضفاضة ، كما أن المواد التي يتوقع الطلاب الامتحان فيها ، كانت ذات طابع علماني بكل تأكيد. وثمة ملمح آخر واضح في نظام هذا الامتحان ، وجدير بأن نشير إليه ، وهو أن حجم مواد المعلومات العامة أقل بكثير من حجم المواد الأزهرية التقليدية ، ومع ذلك فالدرجة المخصصة لمادة الحساب لوحدها تعادل الدرجة الإجمالية المخصصة لعلوم الشريعة الثلاثة مجتمعة: التوحيد والشريعة والمنطق.

وكذلك الحال فيما يتصل بالجغرافيا. ولكن لائحة عام 1913 عادت تركز على نحو أكبر في امتحان الدخول على الجانب العربي والإسلامي على النحو التالي ، وهو ما يحتاج إلى شيء من الشرح والتفسير:

([16]) لوائح دار العلوم 1906 ، مادة 5 ، ص 8-9.

- الامتحان التحريري:

اللغة العربية:	إملاء	20
	إنشاء	30
	نحو وصرف	30

ويتضمن ذلك شرح إبن عقيل والألفية ولامية الأفعال لابن مالك، وتطبيقات على قواعد النحو.

البلاغة (المعاني والبيان)	20
الحساب (العمليات الأربع والكسور البسيطة)	20
الخط العربي (ثلث ورقعة)	30
المنطق	10
فقه (أحد المذاهب الأربعة)	10
جغرافيا (مصر والعرب)	10

- الامتحان الشفوي

القرآن الكريم (حفظاً وتلاوة)	40
الألفية	40
المطالعة (قراءة وشرحاً وضبطاً)	40

شكل الامتحان السابق[17] ، بادىء ذي بدء ، صعوبة أمام طلاب الأزهر لما سنورده من أسباب بعد ، فكثير من المواد موضع الامتحان لما تكن تدرس في الأزهر بطبيعة الحال. ومع أن الأزهر حاول إدماج بعضها في مناهج التعليم الثانوي الجديدة عام 1911 ، لكن هذه الإضافة جاءت إما

([17]) لوائح دار العلوم 1913 ، مادة 3 ، ص8.

بطيئة أو لم تضف على الإطلاق[18]. وكانت العلوم الرياضية: الحساب والجبر والهندسة ، من بين المواد التي شكّلت صعوبات خاصة لطلاب دار العلوم[19]. وكان الشعور السائد لدى نظارة المعارف عدم جدوى التركيز على الجبر والهندسة. طالما ظل الطلاب يجدون صعوبة مع الحساب ، وأدركت ، أكثر من ذلك ، أنه ما لم يحفظ الطلبة "جدول الضرب" ، وقد بلغوا سن العشرين ، فسوف يبقون دائما في مشكلة مع الرياضيات[20]. واعترافاً من الوزارة بعدم كفاية الإعداد المسبق في هذا الجانب لكثير من الطلاب الراغبين في دخول دار العلوم ، فقد خفضت جانب الحجم الرياضي في اختبار الدخول ، وزادت في منهجه الدراسي عدة ساعات خصصت لدراسة مقرر الرياضة الأساسية[21].

أما العوامل الأخرى التي أثرت في تغيير القبول لدار العلوم فكانت ازدهار كليات "الإعداد" لخريجي المدارس الثانوية[22] وحفز عليها الرواتب المرتفعة لخريجي تلك الكليات المخصصة لإعداد المعلمين[23] ، وإنشاء مدرسة القضاء الشرعي والتوسع فيها عام 1907[24] ، ومع انتعاش كليات

([18]) الأزهر مصدر كل قوانينه التي ذكرتها هنا ، والتي سيتم ذكرها فيما بعد ، مصحوبة برقم القانون والعنوان والتاريخ فيما عدا لو ذكرت هذه المعلومات في النص. أما عن التغييرات التي حدثت عام 1911 ، فانظر القانون رقم 10 لسنة 1911 (13 مايو 1911م جمادي الأول 1329هـ) مادة 25.

([19]) امتحانات مدرسة المعلمين الناصرية ، ص 29-31.

([20]) المصدر نفسه ، ص29.

([21]) سوف أناقش المنهج تفصيلا في الفصل الخامس.

([22]) بين عام 1906 عند إعادة إنشائها وعام 1914 ارتفع عدد المقيدين في "مدرسة الإعداد الخديوية" من اثنين وثلاثين إلى مئتين واثنين وثلاثين ، وفقاً لما ورد في كتاب التعليم في مصر في عامي 1914 و 1915 ، ملحق 2 ، ص1 . ولكن مع اندلاع الحرب العالمية الأولى ، وفرض رسوم على التعليم ، أخذ المستوى ، وأعداد المتقدمين ، ينخفض تدريجياً ، فلم يزد عدد المقيدين في العام الدراسي 1919 – 1920 عن 143 طالباً فقط ،كما ورد في تقرير ألنبي Allenby إلى كيرزون Curzon :"التقرير السنوي عن مصر والسودان" ، 14 يونيو 1920 ، مكتب السجل العمومي 371/ 5019/ 6985/ 632 (698OE/ 1604/ 16).

([23]) يذكر كنزي في الصفحات 546-547 ، أن العدد ظل في الانخفاض حتى مع زيادة مرتبات هؤلاء الخريجين لتصبح 96 جنيها سنوياً (وهو ضعف ما يدفع لخريجي دار العلوم) ، ولم تفلح هذه الزيادة في اجتذاب خريجي المدارس الثانوية إلى مدرسة إعداد المعلم في عام 1908 ، وعندما ارتفعت مرتبات خريجي دار العلوم إلى 96 جنيها في العام ، ارتفعت مرتبات خريجي مدرسة إعداد المعلم الخديوية إلى 144 في العام.

الإعداد لخريجي المدارس الثانوية شعرت دار العلوم بضغط متزايد عليها ، دفعها إلى إصلاح مستوياتها وتحسين مناهجها[25]. ورغبة في إضافة مزيد من المقررات كاللغة الأجنبية ، ومواد إعداد المدرسين والتي أصبحت إجبارية في مستوى كليات الإعداد ، كان على دار العلوم أن تقلل من عدد الساعات المخصصة لمواد اللغة العربية والدينية في الدراسة ، وأن تستعيض عن هذا برفع نسبة النجاح المئوية المخصصة لهاتين المادتين في امتحان القبول.

كذلك أكدت دار العلوم اهتمامها بالمواد التي لم تكن تعيرها اهتماماً من قبل في مناهجها الدراسية السابقة مؤملة ألا يظهر ، على نحو مؤكد أي انحطاط في مستوى المعلومات العربية والإسلامية بين خريجيها في المستقبل.

وفي الوقت نفسه أدَّى نجاح مدرسة القضاء الشرعي إلى التقليل الشديد من الحاجة إلى الدراسات الإسلامية في دار العلوم ، فقد التحق الطلبة الراغبون في دراسة الشريعة الإسلامية للعمل في المحاكم الشرعية بمدرسة القضاء الشرعي بدل الالتحاق بدار العلوم.

وفي الوقت نفسه يمكن القول إن طلبة دار العلوم الآخرين ممن يستهدفون العمل في وظائف التدريس ، وليس الوظائف الدينية ، أمضوا عدة سنوات كافية ليتمكنوا من اللغة العربية والعلوم الإسلامية.

([24]) يشير كتاب "التعليم في مصر" في سنتي 1914 و 1915 ، الملحق 2 ، ص1 ، أن عدد المقيدين في عام 1907 كان أربع عشر ، وارتفع في عام 1914 إلى ثمانية وثمانين.

([25])أغلقت مدرسة الإعداد التوفيقية في عام 1903 ، وأعيد افتتاح الخديوية عام 1906 ، بعد أن أغلقت عام 1898 ، وعرفت فيما بعد باسم "المدرسة السلطانية" ، وكان ينظر إليها كمدرسة عليا لإعداد المعلمين ، ويشار إليها عادة باسم مدرسة الإعداد العليا ، وكانت تقدم منهجا لمدة عامين لخريجي المدارس الثانوية ، وعندما تقرر إلغاؤها عام 1928 حل مكانها فيما بعد معهد حديث متطور.

في الامتحان التحريري كانت درجات الحد الأدنى المتوقعة من الطلاب أقل من تلك الدرجات التي حصلوا عليها في الاختبارات السابقة ، وكانت مفردات اللغة العربية المختلفة هي الوحيدة التي يتطلب النجاح فيها الحصول على خمسين في المئة من مجموع الدرجات ، وتم خفض الحد الأدنى للنجاح في مادة الخط العربي إلى ثلاثين في المئة بدلاً من أربعين. وفي المواد التحريرية الأخرى تقرر أن تكون درجة النجاح عشرين في المئة ، على حين ظل النجاح في الامتحان الشفوي يتطلب الحصول على خمسين في المئة على الأقل من مجموع الدرجات لكل مادة ، ولا يسمح لأي طالب باجتياز امتحان القبول ودخول الدار إلا إذا حصل على الحد الأدنى للنجاح في كل مادة تحريرية أو شفوية.

إن إعادة التأكيد على هذه الشروط التي تضمنتها اللوائح المختلفة ، حتى بعد سبع سنوات من صدورها يدل – إن دل على شيء – على الفوضى التي مر بها التعليم المصري خلال الحرب العالمية الأولى (1914 – 1918) ، وثورة سنة 1919 التي أعقبتها. وفي أواخر عام 1920 خططت وزارة المعارف العمومية عدة خطوات أدت فعلاً إلى تغيير في طبيعة دار العلوم[26]:

أولاً: كان على دار العلوم أن تقبل الطلبة الذين أتموا الدراسة في القسم الأدبي في مدرسة القضاء الشرعي في صفوف السنة الأولى في دار العلوم.

ثانياً: أن تنشىء دار العلوم مدرسة إعدادية خاصة بها حملت اسم "تجهيزية دار العلوم" ، لها متطلبات قبول خاصة بها ، تشبه إلى حد كبير ، في جملتها ، متطلبات المدارس الثانوية العامة ، ويدرس الطلاب فيها إجمالاً مناهج في مستوى السنة الأولى والثانية في القسم الأدبي بالمدارس الثانوية ، إلا فيما يتعلق باللغات الأجنبية والترجمة فيستبدل بها علوم الدين والخط العربي وعلم الحياة ، وعلم نظام

([26]) انظر أيضا الفصل الثاني فيما سبق.

الحكومات الأجنبية (مع التوسع في نظام الحكومة المصرية)[27]. ومن نافلة القول أن نؤكد أن هذا التغيير في متطلبات القبول في دار العلوم لم يجد من الأزهر استحساناً أو رضى ، لأنه سوف يبتر العلاقة القائمة بين الطرفين: الأزهر ودار العلوم ، ووجدت وزارة المعارف حلاً لإرضاء الأزهر بإلغاء تجهيزية دار العلوم عام 1925 ، على أن تستمد دار العلوم طلبتها من حملة الشهادة الثانوية التي يمنحها الأزهر ومعاهده الدينية ، على أن يعاد تطوير الدراسة فيها ، وصياغة مناهجها التعليمية من جديد[28] ، ولكن إلغاء التجهيزية تأجل ، ربما لأن خريجي المعاهد الثانوية الأزهرية أخفقوا في الوصول إلى المستوى الذي تتطلبه دار العلوم.

وفي عام 1930/1929 بدأ تنفيذ إلغاء التجهيزية نهائياً ، على أن يتم ذلك على مراحل ، اكتملت عام 1932[29].

- **دار العلوم والأزهر:**

يمكن القول بعامة إن دار العلوم ارتبطت ، منذ البدء ، بالأزهر ارتباطاً وثيقاً ، لأن طلبتها ، وبعض أعضاء هيئة التدريس فيها ، كانوا يأتون إليها من الأزهر. لقد أنشئت دار العلوم في العام نفسه الذي صدر فيه أول قانون لإصلاح الأزهر (23 ذو القعدة 1288هـ = أول نوفمبر 1872م)[30].

([27]) نظارة المعارف العمومية ، القرار الوزاري رقم 2216 ، الصادر في 7 أكتوبر 1920 ، يضم لوائح لتنظيم هذه المدرسة الإعدادية التابعة لمدرسة دار العلوم.

([28]) نظارة المعارف العمومية ، القرار الوزاري رقم 2615 الذي ألغى إعدادية دار العلوم ، وافق عليه مجلس الوزراء في 4 فبراير 1925.

([29]) تقويم دار العلوم ص54.

([30]) دراسات إصلاح الأزهر التي راجعتها تضمنت:

- عبد المتعال الصعيدي ، تاريخ الإصلاح في الأزهر.
- محمد عبد الله عنان ، تاريخ الجامع الأزهر ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1958.
- فخر الدين الأحمدي الظواهري ، السياسة والأزهر: من مذكرات شيخ الإسلام الظواهري ، القاهرة 1945.

وقد استبدل هذا القانون بنظام آخر للامتحان والإجازات ، وسبق أن أشرنا إليهما في الفصل الأول.

وطبقا للنظام الجديد كان على كل طالب أن يمتحن في إحدى عشرة مادة ، أمام لجنة مكونة من ستة علماء ، والمواد الإحدى عشرة هي:

الأصول والتفسير والفقه والتوحيد والحديث والنحو والصرف ، والمعاني والبيان والبديع ، وهي فروع علم البلاغة ، والمنطق[31]. ومن بين هذه الإحدى عشرة مادة ستة علوم عقلية ، وخمسة دينية ، وخمسة من العلوم العقلية هي مواد لغوية في الأساس[32].

لقد أُعدّ قانون 1872 كي يوجد الأسس التي تمنح الشهادات الأزهرية على أساسها ، ومن ثم يرتقي التعليم فيه ، ولكن الذي حدث فعلاً مختلف جداً ، ذلك أن الطلبة بدل أن ينتهزوا الفرصة ليختاروا المواد التي يدرسونها ، أخذوا يركزون تماماً على الإحدى عشرة مادة التي تقررت للامتحان ، ومن ثم جعلوا مناهجهم جافة جداً ، وضيقة الأفق ، إذا قيست بما كان للطلبة السابقين في ذلك الوقت. وقد تص قانون 1872 على منح شهادة العالمية من الدرجة الثالثة ، ثم أُدخلت على القانون

- بيار دوج Bayrd Dodge ، الأزهر: ألفية التعليم الإسلامي (واشنطن 1961).

Al- Azhar : AM: Lee nium of Nuslim Learning (W. DC. 1961).

- دنيال كريكيلوس: العلماء والدولة في مصر الحديثة.

The Ulama and the state in Modern Egypt.

رسالة دكتوراه في جامعة برنستون 1967 ، وفيها تناول بالتفصيل إحباطات العلماء وإصطلاحات الأزهر في 1927 ، وذلك في: إجابات غير أيديولوجية عن الحداثة من العلماء المصريين.

"No ideological responses of the Egyptian Ulama to Modernization" في كيدي ص 200-204.

([31]) يستمر ذكر المصطلحات إما باللغة العربية بدون ذكر أداة التعريف أو باللغة الإنجليزية.

([32])هذا هو الامتحان الذي اجتازه الإمام محمد عبده عام 1877 ، وحصل فيه على الشهادة من الدرجة الثانية.

تحسينات إضافية عام 1885م للحصول على العالمية من الدرجة الأولى ، وأصبح الحصول عليها يتطلب أن ينال الطالب تقدير جيد في عشر مواد أو أكثر ، على حين كانت "العالمية" من الدرجة الثالثة تتطلب الحصول على تقدير "جيد" في ست مواد أو سبع من الإحدى عشرة مادة ، وللحصول عليها من الدرجة الثانية في ثماني مواد أو تسع[33].

في سياق متطلبات الأزهر هذه نصت لائحة الالتحاق بدار العلوم التي صدرت في عام 1887 على وجوب أن يجتاز الطالب امتحاناً يساير هذه المواد نفسها التي تدرس في الأزهر في ذلك الوقت ، وكانت لائحة دار العلوم مبهمة ، وغير واضحة نسبياً فيما يتصل بالمواد الاختيارية ، وكيفية تقييمها ، خاصة إذا قارنا هذه اللائحة باللوائح التي سوف تتلوها.

ومع أن لائحة 1895 كانت أكثر تحديداً فيما يختص بمستوى امتحان القبول ، إلا أن الامتحان ظل يتطلب معرفة إحدى عشرة مادة فحسب ، ومن يتمتع بمعرفة مصطلح الحديث وبعض النصوص الدينية يحظى بمزيد من الاستحسان والتفضيل.

وعندما تضمنت لائحة دار العلوم لعام 1899 أن "المعلومات العامة" مادة امتحان اختيارية ، لم تكن هذه الإضافة محاولة لتطوير طالب دار العلوم فحسب ، وإنما جاءت أيضاً انعكاساً للقانون

([33]) القانون الثاني ، "قانون امتحان من يريد التدريس في الجامع الأزهر ، وصدر في 24 مارس 1885 ، 7 من جمادي الآخر 1302 ، مادة 8.

الخاص بالأزهر لعام 1895 ، والذي نص على أن الطلبة الذين يدرسون مواد مثل الجبر والحساب والتاريخ يفضلون في المكانة والتوظيف على أقرانهم في نفس الدراسة ممن يحملون الدرجات نفسها[34]. ولما كانت هذه المواد لما تدرج بعد في منهج الدراسة العام في الأزهر ، كان على الطلبة المتقدمين لدار العلوم أن يلتحقوا بدراسات خاصة ليمكنهم أن يجتازوا امتحان القبول في دار العلوم.

ويبدو أن المراجعات الكثيرة التي تعرضت لها لائحة دار العلوم بعد عام 1895 كانت وثيقة الصلة بأول محاولة جذرية استهدفت إصلاح الأزهر من أساسه. ولها علاقة أيضا بارتباط دار العلوم بمدرسة المبتديان وبرنامجها النموذجي ، وتعيين أمين سامي باشا ناظراً لدار العلوم. وبشمل القانون الثامن التغيير الذي حدث في الأزهر في أول يوليو عام 1896م[35]. من منظور منهجي كانت المواد الشديدة الأهمية في هذا القانون هما المادتان السابعة عشرة والثامنة عشرة ، وهما تحدّدان المواد التي تدرس في الأزهر ، وقسمتاها ثلاث فئات على النحو التالي:

(34) القانون الخامس ، "قانون امتحان من يريد التدريس في الجامع الأزهر" ، صدر في 21 من رجب 1312هـ ، مادة 8.
(35)القانون الثامن ، "قانون الجامع الأزهر" صدر في 20 من محرم 1314هـ.

- **مواد قررتها المادة السابعة عشرة**:

1- مواد غايتها علمية ، وهي: التوحيد والأخلاق والفقه والأصول والتفسير والحديث.

2- مواد الوسائل ، وهي: النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق ، ومصطلح الحديث والحساب والجبر والعروض والقافية.

- **مواد قررتها المادة الثامنة عشرة**:

وهي غير مصنفة: التاريخ الإسلامي ، والإنشاء ، والهندسة ، والجغرافيا (للطلبة المتقدمين لها أو مع غيرها تقدير خاص).

وفي ظل القانون الثامن كان على الطلبة أن يدرسوا كل هذه المواد أو بعضها لاجتياز أحد امتحانين من أجل الحصول على الشهادات التالية:

- شهادة الأهلية.
- شهادة العالمية.

ويتم الامتحان الأول بعد ثماني سنوات من الدراسة ، ويؤهل الناجحين فيه للتعيين في وظائف دينية: أئمة في المساجد ومدرسين في المدارس الإلزامية (المادة 33). وكان محتوى الامتحان يركز على مواد الغايات ، وقد لا يتضمن شيئا من المواد التي وردت في المادة الثامنة عشرة على الإطلاق.

كانت لجنة لمتحان شهادة الأهلية تتكون من ثلاثة علماء (المادة 31) ، وكانت شهادة العالمية غاية الطلاب الذين يرغبون في الحصول على لقب عالم ، واستعدوا لهذا الامتحان ، وفي سبيل اجتيازه ، كان على الطالب أن يمضي اثنى عشر عاماً على الأقل ، ودون أن يتجاوز بقاؤهم في الأزهر خمسة عشر عاما (المادة 24) ، وبما أن المادة 20 تشترط أن يقضي الطالب معظم وقته في دراسة مواد "الغايات" ، فإن مواد "الوسائل" أصبحت تلعب دوراً ثانوياً في المنهج. وكان على الطالب المبتدىء أن يعرف القليل عن هذه المواد الأخيرة ، القدر الذي يمكنه من فهم الأوّليات فحسب (المادة 23). أما الطالب الذي يرغب في الحصول على شهادة العالمية فعليه أن يتقدم للامتحان في كل المواد المذكورة في المادة السابعة عشر ، وما يختاره من المواد المذكورة في المادة الثامنة عشر.

وبما أنه لا يمكن اعتبار الطلبة متقدمين للحصول على لقب عالم إلا بعد أن يبلغوا سن الخامسة عشرة فإن المتقدمين للحصول على شهادة العالمية يكونون عادة في أواخر العشرين وحتى أوائل الثلاثين من أعمارهم (مادة 15).

وكانت اللوائح المنظمة لامتحانات شهادة العالمية دقيقة جداً ، وبتولي تقييم المتقدمين للامتحان لجنة من ستة علماء أزهريين وفقاً للمعايير التالية:

- مستوى المعرفة العامة.
- قوة الفهم.

وكان النجاح في المواد الاختيارية يعطي الطالب أفضلية عن غيره (مادة 45) ، وثمة تسع مواد لها ثقل أكثرمن غيرها ، وهي مواد "الغايات" بالإضافة إلى المنطق والحساب والمعاني (مادة 50) ، وقد يتسبب الرسوب في إخفاق الطالب في الحصول على الشهادة ، على حين أن الطالب الذي يرسب في مادتين أو أكثر من المواد الأخرى يرسب في الامتحان بأكمله. أما إذا رسب في مادة واحدة فيستطيع أن يدخل الامتحان مرة ثانية في السنة نفسها ، ويحصل على الشهادة إذا نجح (مادة 55) ، فإذا رسب في المادة مرة ثانية ، أو في الامتحان بأكمله ، يمنع من دخول الامتحان ثانية إلا بعد عامين (مادة 52). أما الطلبة الذين يدرسون المواد التي نصت عليها المادتان السابعة عشر والثامنة عشر في أي مكان آخر فيمكنهم أن يتقدموا للحصول على درجة الامتحان.

ولنا أن نتصور أن هؤلاء الطلاب يمكنهم أن يحصلوا على الدرجة العلمية في زمن أقل من زمن الطلبة الذين بدأوا في الأزهر.

بحلول عام 1908 ، وصدور القانون التاسع لإصلاح الأزهر ، بدأ الأزهر يحدد أهدافه على نحو أشد وضوحاً ، وبدأت فرصه الدراسية تمارس تأثيراً تعليمياً واضحاً ، إذا قورنت بدار العلوم أو مدرسة القضاء الشرعي والمدارس الحكومية الأخرى[36].

في هذا الوقت كان دخول دار العلوم يتطلب دراية ومعرفة بعلوم الأحياء والجغرافيا والإدارة المصرية والزراعية ومواد أخرى لم تكن مطلوبة في أي من شهادتي الأزهر ، الأهلية والعالمية ، ومن ثم كان على الطلاب المؤهلين للحصول على هاتين الشهادتين أن يقضوا سنة أو سنتين في دراسة تلك المواد الأخرى ، لكي يستطيعوا التقدم لامتحان دخول دار العلوم.

ومن الواضح ، فيما يبدو ، أن مناهج الأزهر لم تكن كافية ولا معدة لتهيئة طلابه لدخول دار العلوم. ولكن الدراسة فيه ظلت شرطاً أساسياً ملزماً لهؤلاء الطلاب لأنهم لا يزالون في حاجة أيضاً إلى بلوغ مستوى عال في إجادة المواد العربية والإسلامية قبل أن يقفوا بباب دار العلوم في انتظار أن تسمح لهم بالدخول.

وقد حمل قانون عام 1908 الأزهر رسمياً مسئولية التعليم الديني في مصر ، ووضع منهجاً للمعاهد الدينية يقضي بأن تقدم هذه المعاهد دروساً دينية وعربية ، ومعها مادة الحساب (مادة 13) ، وأن

([36]) القانون التاسع ، "قانون الجامع الأزهر" ، وصدر في 5 مارس 1908 ، 2 من صفر 1326هـ.

تكون ذات مستويات ثلاثة: ابتدائي وثانوي وعال ، ومدة كل مستوى أربع سنوات (مادة 14) ، وتقضي المادة السادسة عشرة أن يمنح شهادة لكل من ينهي إحدى هذه المراحل الثلاث بنجاح بعد أن يمضي الفترة الزمنية المقررة لها ، ثم يمنح أخيراً بعد الانتهاء من المرحلة الأخيرة ، والنجاح فيها شهادة العالمية الجديدة ، وتتيح لحاملها أن يدرس في المعاهد الدينية بما فيها الأزهر نفسه ، ويمكن أيضاً للطالب الذي حصل على هذه الشهادة بالمرتبة الأولى أو الثانية أن يعمل قاضياً أو مفتياً ، طالما درس الشريعة على المذهب الحنفي (مادة 23).

وقد تمت مراجعة قوانين الأزهر مرات أخرى في سنوات 1911 و 1920 و 1921 و 1923 ، إلى جانب المراجعات التي تمت لقانون 1911 ، بمواده التي تبلغ مئة وستاً وستين مادة ونفذت فعلاً.

وقد عرّف هذا القانون (قانون 1911) الأزهر بأنه "أعظم معهد إسلامي ديني وبحثي ، ويشرف على المعاهد الدينية التي كانت توجد (في ذلك الوقت) في الإسكندرية وطنطا ودسوق ودمياط[37] ، وغاية هذه المعاهد بما فيها الأزهر نفسه نشر الإسلام وعلومه ، وإلى جانب هذا إعداد العلماء الذين يتولون التعليم الديني ، ويشغلون المناصب الدينية (مادة 25) ، كما تم وضع مدرسة القضاء الشرعي تحت مظلة الأزهر ، على أن تكون لها ميزانيتها الخاصة المستقلة ، وقد أصبحت هذه المدرسة فيما بعد

([37]) "قانون الأزهر" ، 13 مايو 1911م ، 14 من جمادي الأول 1329هـ ، مادة 1.

تابعة لوزارة العدل في القانون الخامس الذي صدر عام 1916 ، غير أنها في النهاية عادت إلى الأزهر مرة أخرى في عشرينات القرن العشرين.

كـان علـى المعاهـد الدينيـة وفقـا لقـانون 1911 أن تقـدم مـواد للدراسـة ذات مسـتوى طمـوح ، وتم التخطيط لها وتوزيعها على مراحل كي يدرسها الطلاب ، وكانت النية في بادىء الأمر أن يضم كل معهد المراحل التعليمية الثلاث ، ولكن تنقيح عام 1923 خص الأزهر وحده بالمستوى الأعلى(**) ، وفي هذا التنقيح تم تحديد سن القبول بألا تقل عن عشر سنوات عند دخول المرحلة الابتدائية ولا تزيد عن ستة عشر عاماً ، ويشترط في الطلبة المقبولين أن يكونوا ممن يحفظون نصف القرآن الكريم على الأقل ، وأن يعرفوا القراءة والكتابة (مادة 61). ثم جاء قانون 1921 فألزم الطلبة المتقدمين أن يكونوا من حفظة القرآن كله ، وأن تبلغ أعمارهم عند التقدم للمرحلة الابتدائية أربعة عشر عاماً على الأقل ، وأن يقدم كل طالب شهادة "حسن سير وسلوك" ، وشهادة طبية بأنه يتمتع بصحة جيدة ، وكلتا الشهادتين كانتا مطلوبتين من جميع المتقدمين.

ويمنح الطالب شهادة بعد إتمام كل مرحلة بنجاح ، وحملت أسماء: الابتدائية والثانوية والعالية.

وفي عام 1911 كان الطالب الحاصل على الشهادة الابتدائية يمكنه أن يعمل في وظائف التدريس في

(**) أجاز قانون إعادة تنظيم الأزهر رقم 103 لسنة 1961 أن ينشىء الأزهر كليات علمية ذات اتجاه مدني علماني ، ولا تقتصر على الأزهر نفسه في القاهرة ، وإنما انتشرت مع الكليات الدينية الأساسية في كثير من المدن المصرية الكبرى ، كما أن المعاهد الأزهرية الابتدائية أصبحت توجد في كثير من القرى الكبيرة ، وتوجد المعاهد الثانوية في المدن الكبرى والمتوسطة (المعرب).

الكتاتيب التابعة للأزهر. وفي عام 1923 كانت هذه الشهادة تؤهل حاملها لدخول مرحلة التعليم الثانوي الأزهري فحسب (مادة 59). وكانت الشهادة الثانوية تؤهل حاملها لتدريس مادة الخط والإملاء ، وأن يعمل في الوظائف الكتابية في الأزهر ، وفي المحاكم الشرعية أو الأوقاف ، او في الوظائف الدينية. ثم أضاف تعديل 1923 التدريس في المدراس الإلزامية (مادة 59). أما شهادة العالمية فكانت تخول صاحبها حق أن يعمل محامياً أمام المحاكم الشرعية ، وأن يدرس في الأزهر أو في أي من المعاهد الدينية أو الجوامع مربياً عاماً، وإذا كان حاملها يتبع المذهب الحنفي أمكنه ان يعمل في المناصب القضائية في المحاكم الشرعية. وفي عام 1923 سمح لهم بأن يعملوا في الإفتاء أيضاً (مادة 59).

قد لا يكون مهما هنا دراسة مناهج الأزهر بأكملها في كل مرحلة من المراحل الثلاث في الفترة ما بين 1911 و 1923 ، لكن من الضروري أن نلحظ المواد التي كانت تدرس في المرحلتين الابتدائية والثانوية ، خاصة بعد أن تم أخيراً اعتبار حملة الشهادة الثانوية الأزهرية مؤهلين على نحو مناسب لدخول امتحان القبول في دار العلوم.

لقد حاول قانون 1911 إيجاد منهج شامل متكامل للدراسة في المرحلة الابتدائية ، أما في المراحل الأخرى فبقيت المواد مقسمة كالتالي:

- العلوم الدينية.
- علوم اللغة العربية.
- الرياضيات وعلوم أخرى (مادة 25).

كان على الطلاب أن يدرسوا في الفئة الأولى مواد: الفقه والتجويد والتوحيد والسيرة النبوية والأخلاق.

وأن يدرسوا في الفئة الثانية مواد: الصرف والنحو والمطالعة والإنشاء والإملاء والخط.

وكانت الفئة الثالثة تضم المواد التالية: الجغرافيا والحساب والرسم والهندسة والتاريخ والأحياء والصحة والتاريخ الطبيعي.

يتضح لنا جلياً أن في هذا المنهاج خروجاً جذرياً على توصيفات المناهج السابقة ، خاصة فيما يتصل بالفئة الثالثة. وقد عدّلت التغيرات التي أحدثها قانون 1923 كثيراً في المواد المقررة من خلال إلغاء كل مواد الفئة الثالثة ما عدا: الحساب والتاريخ والجغرافيا ، وأضاف علم البيان إلى مواد الفئة الثانية

التي تدرس في المرحلة الابتدائية[38]. وكان هذا المنهج الجديد ، حتى مع هذا الإلغاء ، أكثر تطوراً في المادة العلمية إذا قورن بالمناهج الأزهرية السابقة ، ومثل ذلك وثبة جريئة هي الأولى في نوعها ، لملء الفجوة بين التعليم الديني والتعليم المدني في المرحلة الابتدائية.

وقد حاول قانون 1911 أن يضفي على منهج المرحلة الثانوية قوة واتساعاً فصنف المواد التي تدرس بها على النحو التالي:

- الفئة الأولى: توحيد وأخلاق وفقه ، مع تطبيقات فقهية ، وإسناد ديني ، وتفسير ، وحديث.
- الفئة الثانية: صرف ، ونحو ، ومطالعة ، وبلاغة بفروعها الثلاثة: المعاني والبيان والبديع ، والإنشاء.
- الفئة الثالثة: علم البحث والمناظرة ، والتاريخ ، والحساب ، والجبر ، والهندسة ، والفلك ، والصحة ، والأحياء ، والتاريخ الطبيعي.

ورغم أن مراجعة قانون 1923 للمادة 28 ألغت مادتي الإسناد الديني والتاريخ الطبيعي من الفئتين الأولى والثالثة وأحلت الأدب والعروض والقافية محل دراسة البيان والبديع فإنه لم يلحق ضرراً بمنهج المرحلة الثانوية ، بل ربما قوته. وكانت دراسة هذه المواد في المعاهد الدينية وفي الزهر كافية جداً

---

(38) مادة27.

لتمكين الطالب من الالتحاق بدار العلوم. كما تضمن هذا المنهج أيضاً معظم المواد المطلوبة في القسمين الأول والثاني في اختبار شهادة المدرسة الثانوية ، وفي تجهيزية دار العلوم في عام 1921[39].

ومنذ أن نص قانون الأزهر لعام 1911 على إجراء امتحانات نقل سنوية ، وامتحان الشهادة في نهاية كل مرحلة ، ومنذ أن تقرر عام 1911 ، أن تمد فترة الدراسة من خمس سنوات إلى سبع ، ثم جاء قانون 1923 فرفعها من أربع سنوات إلى ست ، اختار الطلاب أن يتقدموا لامتحان دخول دار العلوم ، قبل أن يحصلوا على الشهادة الثانوية الأزهرية التي تؤهلهم لدخولها ، وتمكنوا من أن يوجدوا لهم فرص نجاح أفضل ، على أساس ما توفر لهم سلفاً من معرفة بما سوف يمتحنون فيه (مادة 32 وهامش مادة 39): وقد يكون هذا صحيحاً على الرغم من حقيقة أن بعض المواد المقررة نظرياً على أنها جزء من المنهج في الأزهر ومعاهده ، درست تدريجياً ، أو لم تدرس على الإطلاق (مادة 25).

وعلينا أن نذكر أيضاً أن الطلبة الذين استمروا في الأزهر بعد عام 1911 كان في استطاعتهم أن يكملوا الشهادتين الأهلية والعالمية وفقاً لشروط مؤقتة (هوامش المادة 95).

([39]) نظارة المعارف العمومية ، قرار وزاري رقم 2282 باللائحة المؤقتة للمدرسة الإعدادية التي ضمت إلى دار العلوم ، 1 سبتمبر 1921 ، مادة 17.

فلننظر إلى متطلبات شهادات الأزهر المتعددة هذه ، وإلى متطلبات امتحان القبول في دار العلوم لنرى كيف كان الطامحون في دخولها يكملون الشهادات السابقة أو اللاحقة التي يقدمها الأزهر؟

ربما لم يستطع الطلاب الذين يحملون شهادة الأهلية من الزهر في عام 1897 أن يجتازوا امتحان القبول في دار العلوم للأسباب السابقة ، حتى لو افترضنا وجود متقدمين مؤهلين فور صدور قانون الأزهر لعام 1896 ، ولم تستطع شهادة الأهلية ان تؤهل الطلاب لدخول دار العلوم آلياً.

وبقيت حقيقة: إنه لا يكفي الطالب الذي يخطط لدخول دار العلوم مجرد أن يكون حاصلاً على إحدى الشهادتين اللتين يمنحهما الأزهر بعد عام 1896 وبالإضافة إلى العامل التعليمي هذا ، فإن خريج دار العلوم ، وغايته أن يتولى التدريس في المدارس الحكومية ، لا يحتاج إلى أي من شهادتي الأزهر المخصصتين للوظائف الدينية والتعليمية.

إذن كيف تطورت العلاقة بين المعهدين؟

يمكن القول أن علاقة دار العلوم بالزهر مرت بمراحل ثلاث أساسية:

- المرحلة الأولي ، قبيل عام 1923. ما بين عام 1872 وعام 1896 ، أو قريباً من هذا ، لم تكن متطلبات دخول دار العلوم تعلو علي ما تقدمه مناهج الأزهر ، ومن ثم فإن الطالب الذي يستعد لاجتياز امتحانات الأزهر ، ثم يفكر أن يعمل مدرساً في المدارس الحكومية ، لا يكلفه هذا أكثر من أن يستعد لامتحان دار العلوم ، أثناء دراسته العادية في الأزهر ، ولكن باستيعاب أشد وتركيز أقوى. وخلال هذه الفترة لم تشرع دار العلوم أو الأزهر قوانين متشددة لدخول كليهما. وفي الوقت ذاته بدأت تبني نفسها معهداً متميزاً ، ومن ثم ظلت الفرصة أمام خريجي الأزهر متاحة لكي يعملوا في المدارس الابتدائية الحكومية.

- بين عامي 1896 وعام 1911 أثناء نظارة أمين سامي باشا ، تطلب دخول دار العلوم معرفة أوسع بالمواد العلمانية مما يحصل عليه الطالب الأزهري ، حتى أن حملة شهادة العالمية لم يكونوا مؤهلين لدخول امتحان القبول في دار العلوم إلا إذا كانوا قد درسوا العلوم التي تتضمنها المادة الثامنة عشر ، أو اكتسبوا معرفة بتلك المواد من مصدر آخر ، واستمر هذا التفاوت بين

متطلبات دخول دار العلوم وبين مناهج الأزهر يمثل ضغطاً على الأزهر ، واضطره أن يضيف إلى مناهجه التعليمية محتوى علمانياً أكثر[40].

ومن ثم حاول قانون 1911 أن يوسع مدى معطيات الأزهر ، وأن يعيد تنظيم التعليم الديني في مصر من خلال الإفادة من نظم المدارس الحكومية العامة. وخلال هذه القترة الثانية ، أي ما بين (1872 – 1923) ، حدث تفاوت كبير بين سياسة القبول في دار العلوم وسياسة تطوير مناهج الأزهر.

ومنذ عام 1911 وحتى عام 1920 أبدت دار العلوم استيعاباً منظماً لدخول متطلبات العلمانية ، على حين بدأ الأزهر من خلال تطبيق قانون 1911 جزئياً أن تدرس بانتظام المواد التي يتطلبها امتحان القبول في دار العلوم.

ومع هذا أقدمت دار العلوم في عام 1920 على كسر علاقتها السابقة بالأزهر ، فأنشأت تجهيزية دار العلوم ، معهد خاصاً بها يغذيها بالطلاب. وكان ذلك يعني أن محاولة الأزهر فشلت تماما وأكد هذا الفشل عدم قدرة الأزهر على عبور الفجوة التي كانت تفصل بين

([40]) حاول محمد عبده خلال هذه الفترة ، وهو مفتي الديار المصرية ، أن يزيد من المواد العلمية التي تدرس في الأزهر بعد أن تخلى عن فكرته السابقة في أن تحل دار العلوم مكانه (انظر الفصل الثالث من هذا البحث) ، وقد رأس الامتحان النهائي لدار العلوم ، في فرصة واحدة على الأقل.

المعهدين ، كما جاء إنشاء التجهيزية إشارة على أن دار العلوم فكت ارتباطها بالمؤسسة الدينية ، وأكدت مكانتها مدرسة عامة لإعداد المعلمين.

جاء رد فعل الأزهر على محاولة دار العلوم فصم العلاقة التي بينهما ، وهي طويلة الأمد ، بان وضع للمعاهد الدينية مناهج أكثر تشدداً ، من خلال المراجعات التي تمت عام 1923 لقانون 1911 ، وانتهت بإقرار منهج يكون في مستوى التعليم الثانوي ، ويقترب من مناهج دار العلوم ، ويناسب الطلبة الذين يرغبون في دخولها ، وحاول في الوقت ذاته أن يقضي على دار العلوم[41]. بقى من الضروري أن نشير إلي أن التغيرات التي طرأت على الأزهر بين عامي (1872 – 1923) كانت فيما يتصل بهذا الأمر أعمق بكثير جداً من تلك التغيرات التي حدثت أثناء الفترة نفسها في دار العلوم المنشأة حديثا ، وعبر قرون من الحرية في اختيار موضوعات المناهج ، مع الالتزام بنصوص معينة وأساليب فاعلة ، رغم الأزهر خلال خمسين عاما فحسب على أن يواجه التحدي الذي أصبحت تمثله دار العلوم له – ولو جزئياً – على أن يعيد هيكلة التعليم الديني في مصر ، ولو شكلاً على الأقل وبدرجة أقل في المحتوى ، ليصبح تعليمه أشبه بالتعليم الذي تقدمه المدارس الحكومية العامة في سبعينات القرن الثامن عشر. ومع

([41]) يذكر دنيال كريكليوس في: "إجابات غير إيديولوجية عن الحداثة" ص206: إن العراقيل كانت توضع في (طريق دار العلوم) مع الإدعاء بأنها للمساعدة في سياسة الإصلاح ، أو للمؤسسة ، بينما هي في الحقيقة محاولة لإضعاف مكانتها ، وكان هذا سمة أساسية في الأزهر ، خاصة منذ عشرينات القرن العشرين وما بعدها.

أن القوانين الأحدث لم تقدم منهجاً مناسباً من حيث عدد الساعات المقررة في كل أسبوع ، والتي على الطالب أن يقضيها في دراسة مادة معينة من المواد ، إلا أن هذه القوانين أدت إلى توسع تعليمي بعيد المدى في الأزهر ، نظرياً على الأقل.

وعلى الرغم من قبول دار العلوم لحملة الشهادة الثانوية الأزهرية ، غير أنها طالما تاقت إلى اليوم الذي تصبح فيه كلية جامعية تماماً من كليات الجامعة المصرية التي أنشئت عام 1925.

إن المحافظة على العلاقة مع الأزهر أو إحيائها خدم دار العلوم أيضاً ، لأنه ميز بينها وبين المدارس العليا الأخرى لإعداد المعلمين. ومع وجود التجهيزية مدرسة خاصة بها ، استطاعت دار العلوم أن تطور نفسها ، وأن تصبح كلية لإعداد المعلمين لا للغة العربية فحسب ، وإنما لمواد أخري أيضاً ، واستمرت في علاقتها المباشرة المتجددة بالمؤسسة الدينية ، حتى لو كانت علاقة عامة نظرياً، تضعها في مكانة متميزة بين كل المدارس العليا الأخرى في مصر ، وحمتها هذه العلاقة من أن تصبح مجرد كلية أخرى لإعداد المعلمين ، ولكن أيضاً ، من جانب آخر زاد الصراع القائم حدة بين دار العلوم والأزهر وأقسام اللغة العربية في الجامعات الحديثة التي تعد مدرسين لهذه المادة حول من يقوم بتدريس اللغة العربية[42].

(42) سوف نتناول هذا الموضوع في الخاتمة.

هذا الفقر النسبي في المنافسة المباشرة ، والوفر الزائد في المدرسين ، قبيل أواخر عشرينات القرن العشرين جعلت دار العلوم والأزهر يتوافقان سويا في الفترة التي ندرسها ، بين عامي (1872 و 1923) ، وبينما كانت دار العلوم تحاول أن تتجه أكثر نحو التركيز على الطابع المهني والعلماني ، كان الأزهر يعيد التأكيد على مكانته السابقة ومؤسسة دينية ، وعلى حين حافظ المتقدمون لدار العلوم على ضرورة تحقيق مستوى متقدم في المواد الإسلامية والعربية في الأزهر قبل دخول دار العلوم ، تضمن منهجهم فيها توجهاً أشد تركيزاً وأوسع مدى لإعداد المدرس مما تتطلبه شهادة "العالمية" في الأزهر[43] ، فما إن يلتحق الطلاب بدار العلوم حتى يبدأ إعدادهم للتدريس في المدارس الحكومية ، أما الذين في الأزهر فيتم إعدادهم ، في الغالب ، للوظائف والمركز الدينية ، حتى بعد أن زيد الجانب العلماني في المحتوى. ومن ثم فإن التنافس بين دار العلوم والأزهر في الفترة ما بين (1872 – 1923) ، لم يكن على المناصب نفسها ، ما عدا

([43]) ومع هذا ظل خريجو دار العلوم يحتاجون إلى شهادة "العالمية" إذا أرادوا التدريس في الأزهر.

في فترة وجيزة من تاريخ دار العلوم ، عندما افتتحت أقساماً لمن يرغبون في العمل في المهن

الشرعية ، أو في الكتاتيب.





• **فاتحة العدد**:

الثقافة واللغة والتعليم في مصر الحديثة (١٨٧٢ – ١٩٢٣)

ودور دار العلوم في تحديثها

للدكتورة لويز آرمين أروين – جامعة متشيجين

تعريب وتقديم وتعليق: د. الطاهر أحمد مكي

الفصل الخامس

• **التعليم في دار العلوم**:

لم تكن دار العلوم تعرف في البدء أي مقرر دراسي ثابت، وإنما كان الطلاب يختلفون إلى المحاضرات التي تلقي فحسب، ثم يتم تعيينهم في المدارس الحكومية. وبعد عامين من بدء الدراسة، أي في عام ١٨٧٤–١٨٧٥، بدأت نظارة المعارف العمومية، في عهد ناظرها **مصطفي فهمي باشا**، وضع أول منهج دراسي لدار العلوم، في ضوء ما أوصت به اللجنة المشكلة من: **عبد الله فكري**، ودورو بيه، وبعض من أساتذة المدرسة [1]. وتضمن الجدول الجديد برنامجًا للدراسة مدته خمس سنوات وحدَّد عدد الساعات الأسبوعية المقررة لكل مادة [2]. وإضافة إلى ذلك كسر المنهج المقترح – لأول مرة – الطلبة علي سنوات دراسية.

فيما بعد رسخت دار العلوم هذا المنهج، إما في أربع سنوات أو في خمس، وجدول أسبوعي يتكون من ثمانية وعشرين ساعة إلى أربعة وثلاثين.

ومن بين التغييرات الهامة في هذه الفترة، الجديرة بإلقاء الضوء عليها، والتي ظلت قائمة حتى عام ١٩٢٣، التغييرات المتصلة بمحتوي المنهج، والكتب الدراسية، والامتحانات النهائية، ومَنح الدبلومات. وقد شاكل، بالقدر نفسه، التطوَر الذي حدث في سياسات القبول، وفي طبيعة هيئة التدريس تطوَر آخر منهجي ذو علاقة بالتعليم المصري كافة، وبالمجتمع والسياسة اليومية.

- **منهج دار العلوم**:

حين درست مناهج دار العلوم عبر السنوات المختلفة وجدت الأمر يقتضي دراسة الجداول المتعددة بشيء من التفصيل.

وتختلف المصادر الأولية مثل: القوانين والبرامج الرسمية وتقويم دار العلوم، والتعليم في مصر في سنتي (١٩١٤ – ١٩١٥)، فيما يتصل بتصنيف المواد المختلفة، فعلي حين اتبع تقويم دار العلوم الحديث عن المناهج مادة مادة بدقة، اتخذ أمين سامي باشا طريقة الجداول [٣]، متضمنًا الأعوام من ١٨٧٤ إلى ١٩١٣، مقسمًا المواد إلى فئات ليست محددة دائمًا بالساعة كما في الجداول الرسمية، ولكن إذا عدنا إلى البرامج وجدناها تذكر كل مادة على حدة. وبينما حددت قوانين دار العلوم شكل المدرسة الأساسي، وسياسة القبول، والجداول والامتحانات وما يتصل بذلك كله، تناول البرامج المحتوي التعليمي، بما في ذلك بيان المفردات التي تدرس في كل مادة، في كل سنة دراسية، كما شملت البرامج أيضًا قائمة الكتب التي تُدرس في كل مادة لكل سنة. وفي ضوء المعلومات التي توفرت لي يمكن تتبع بعض التغييرات التي طرأت على الهيكل التعليمي لدار العلوم.

اقتضي رسم أو مخطط لمنهج دار العلوم الدراسي أن يقضي الطلاب نصف ساعات الدراسة تقريباً في دراسة مواد اللغة العربية والإسلامية [٤]. وكان الطلاب يقضون في كل سنة من السنوات الخمس الساعات الأسبوعية المقررة لكل مادة، وكانت هذه هي المرة الوحيدة في الخمسين سنة الأولي

من عمر دار العلوم التي يوضع فيها تخطيط للمنهج الدراسي في شكل موحد على هذا النحو، وكُسرت الست عشرة ساعة المقررة للغة العربية والدراسات الإسلامية على النحو التالي:

- تسع ساعات أسبوعياً للدراسات الأدبية (صرف ونحو وعلوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع، والإنشاء).
- وساعتان لكل واحدة من الفقه والتفسير.
- وثلاث ساعات للخط.

أما الساعات السبع عشرة الأخرى فيقضيها الطالب في دراسة الرياضيات على النحو التالي: ست ساعات للحساب، وخمس للهندسة، وساعتان لكل مادة من المواد الآتية: الجغرافيا والتاريخ العام والكيمياء والفيزياء.

وإذا تجاوزنا وضع المنهج الدراسي، فإن مجرد إيجاد مخطط لمنهج دراسي في دار العلوم، في العام الدراسي (١٨٧٤–١٨٧٥) اعتبر استمرارًا لمركزية أشد، في السيطرة على المدارس، والاتجاه تدريجاً نحو اللجان والاجتماعات والتقارير المطوَّلة، والقوانين، وقد حمَّل هيوارث دن رياض باشا مسئولية هذا الاتجاه (٥).

غير أنه من الظلم أن نضع على عاتقه مسئولية فشل التعليم، أو حتى مسئوليته عن الظواهر السلبية التي شابت محاولات إصلاحه، من خلال سيطرة مباشرة أشد وأقوي، على حين يرجع هذا إلى التمركز والبيروقراطية، وهي نقطة جانبها شيء من الصواب. ولا يقدم لنا المنهج الدراسي لدار العلوم في عام ١٨٧٤/ ١٨٧٥ أفضل تفسير لهذه النقطة، لأن القوانين كما أوضحَتْ دراسة عملية القبول في دار العلوم بدأت تزداد تعقيدًا خلال فترة الاحتلال البريطاني، وإلى جانب ذلك، ومع صعوبة تحديد إلى أي مدي كان يتم تطبيق القوانين المختلفة، لا يتضح لنا تمامًا ما إذا كانت محاولة

الحكومة توحيد معايير التعليم المصري ضارة تمامًا، خاصة في أواخر القرن التاسع عشـــر. ومـــع هـــذا يجدر أن نذكر أن المصريين شرعوا بجهد عظيم، وربما بمشاركة من العناصر الاستشارية الأجنبيـــة، في إصدار القوانين التي تجيء وليدة التشاور، لتحسين التعليم المصري قبل الاحتلال البريطاني.

وعندما ندرس تطور مناهج التعليم في دار العلوم ما بين عـــامي ١٨٧٥ و١٩٢٣ تبـــدو لنـــا التغييرات الواضحة التي تمت في تلك الفترة، فعلي حين كان تَضمًّن أول مخطـــط للمنـــهج الدراســـي ٥٥% للمواد الأزهرية في مقابل ٤٥% للمواد العلمانية (العامة)، نجد أن طلبة عـــام ١٩٢٠ قضـــوا ثلثي وقتهم في دراسة هذه المواد الأخيرة.

وكما بسطنا القول في الفصل الرابع، كانت معظم المواد العلمانية، فيما سبق، تمر بعملية دمـــج مع البرنامج الأزهري التعليمي.

جدول رقم (٥) مواد تدرس بدار العلوم [٦]

ستة الإصدار	١٨٧٥					١٨٨٧				١٨٩٠				١٨٩١					١٨٩٥[٧]			
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	أولى	ثانية	ثالثة	رابعة	خامسة	أولى	ثانية	ثالثة	رابعة	أولى	ثانية	ثالثة	رابعة	أولى	ثانية	ثالثة	رابعة	خامسة	أولى	ثانية	ثالثة	رابعة
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢			٢	٢				٢	٢		١	١	١
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٥	٥	٥	٥		٥	٥	٥	٥	٢	٢	٢	٢
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٨	٧	٧	٧	٩	٨	٢	٥	٥	٧	٧	٤	٢
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	٢	٢	٢	٢	٢	١	١	١	١	١	١	١	١	١	١	١	١		١	١	١	١
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢		٣	٣	٣	٣
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	٦	٦	٦	٦	٦	٥	٥	٥	٥	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢		٣	٣	٣	١
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	٥	٥	٥	٥	٥	٣	٣	٣	٣	٢	٢	١	١	٢	٢	١	١	٢	٢	٢	٢	٣
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢			٢	٢			١	١				٢	٢
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٤	٤	٢	٢	٤	٤	٤	٤		٤	٣	٣	٣
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟								١	١	٢	٢				١	١				١	١	
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟								١	١				١			١			٣	٢	٢	٥
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟						٣	٣	١	١					٣	٣	٣	١٠					
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟												٢	٢			١	١	٣	١	١	١	١
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟										١				٢					١			
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟										١	١			٢	٢				١	١	١	١
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟												١	١			١	١				١	١
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟											٢	١		١			١	١				
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟														٦	٤	٤			٥	٥	٥	٥
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟																		٦				
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟																٤	٤					
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟						١	١	١	١			١	١			١	١			١	١	١
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟																						١
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٢٨	٢٨	٢٩	٢٩	٣٤	٣٤	٣٤	٣٤	٣٤	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣

جدول رقم (٥) مواد تدرس بدار العلوم

سنة الإصدار	١٨٩٦				١٨٩٧					١٨٩٨					١٨٩٩					١٩٠١				
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	أولى	ثانية	ثالثة	رابعة	تحضيرية	أولى	ثانية	ثالثة	رابعة	تحضيرية	أولى	ثانية	ثالثة	رابعة	تحضيرية	أولى	ثانية	ثالثة	رابعة	تحضيرية	أولى	ثانية	ثالثة	رابعة
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟		١	١	١			١	١	١		١	١				١	١	١			١	١		
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	٢	٢	٢	٢		٢	٢	٢	٢		٢	٢	٢	٢		٢	٢	١	١		١	١	١	١
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	٥	٧	٥	٣	٦	٥	٧	٥	٣	٥	٦	٦	٤	٤	٦	٦	٦	٥	٥	٦	٦	٦	٦	٦
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	١	١	١	١		١	١	١	١		١	١	١	١		١	١	١	١	١	١	١	١	١
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	٣	٣	٣	٣	٤	٣	٣	٣	٣	٤	٣	٣	٣	٣	٤	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	٥	٢	٢	٢	٥	٤	٢	٢	٢	٤	٣	٣	٣	٣	٥	٣	٣	٣	٢	٥	٤	٣	٣	٢
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟		٣	٣	٢	١	١	٣	٣	٢	١	٢	٢	٢	٢	١	٢	٢	٢	٢	١	٢	٢	٢	٢
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟			٢	٢				٢	٢				٢	٢				٢	٢			١	١	٢
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	٤	٣	٣	٣	٦	٤	٣	٣	٣	٥	٤	٣	٣	٣	٤	٤	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	٤	٢	٢	٤		١	٢				١	١				١	١				١			
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	١	١	١	١		٤	١	٢	٤		٢	٢	٤	٤		٢	٢	٤	٤		٢	٣	٤	٤
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	١	١	١	١		١	١	١	١		١	٢		١		١	٢		١		١	١	١	١
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	١				٣	١				٣	١				٢	١				٢				
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	١	١	١	١	٢	١	١	١	١	٢	١	١	١	١	٢	١	١	١	١	٢	٢	١	١	١
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟			١	١				١	١				١	١				١	١				١	١
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	٥	٥	٥	٥	٤	٥	٥	٥	٥	٥	٥	٥	٥	٥	٥	٥	٥	٥	٥	٦	٥	٥	٥	٥
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟								١											١					
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟					٢					٢					٢					٢				
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟										٢					٢					٢	١			
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟		١	١	١			١	١	١			١	١	١			١	١	١			١	١	١
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟																								
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣

جدول رقم (٥) مواد تدرس بدار العلوم

سنة الإصدار	١٩٠٢					١٩٠٦					١٩٠٩					١٩١٣					١٩٢٠				
سنة الدراسة	تحضيرية	أولى	ثانية	ثالثة	رابعة	تحضيرية	أولى	ثانية	ثالثة	رابعة	تحضيرية	أولى	ثانية	ثالثة	رابعة	أولى	ثانية	ثالثة	رابعة	خامسة	أولى	ثانية	ثالثة	رابعة	خامسة
تفسير [٨]		١	١				١	١				١	١								٣	٣	؟	٣	٣
فقه		١	١	١	١		١	٢	١			١	٢	١											
الأدب العربي والدراسات النحوية	٦	٦	٦	٦	٦	١٠	٩	٩	٨	٨	١٠	١٠	١٠	٨	٨	*١١	*١١	*٧	*٧	٦	٨	٨	٨	٨	٨
تاريخ [٩]	١	١	١	١	١		١	١	١	١	٣	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٦	٦	٦	٥	٥
جغرافيا	٣	٣	٣	٣	٣	٤	٤	٤	٣	٢	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣					
حساب [١٠]	٥	٤	٣	٣	٢	٥	٣	٣	٣	٢	٥	٣	٣	٣	٢	٦	٦	٦	٦	٦	٦	٦	٦	٦	٦
هندسة	١	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢										
كيمياء وفيزياء			١	١	٢	٢	٢	٢	٢	٢		٢	٢	٢	٢						٣	٣	٣	٢	٢
خط عربي [١١]	٥	٣	٣	٣	٣	٦	٤	٤	٤	٢	٦	٤	٤	٣	٣	٣	٢	٢	١	١	٤	٤	٤	٤	٤
تاريخ طبيعي		١									٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢					
علم أصول التربية (نظري وعلمي)[١٢]	٥	٣	٣	٣	٣				٥	٩				٥	٧			**٢	**٥	**٦	٤	٤	٤	٦	٦
أصول الفقه		١	١	١	١		٢	١	١			٢	١	١											
دروس الأشياء	٢																								
رسم	٢	٢	٢	١	١	٢	٢	٢	١	١	٢	٢	٢	١	١	٢	٢	٢	٢	٢					
فلك				١	١				١	١				١	١										
توحيد وحديث												٢	٢												
لغة أجنبية	٥	٥	٥	٥	٥											٦	٦	٦	٦	٦					
أخلاق	٢					٢					٢							٢							
مخطوط أوروبي	١	١																							
جبر			١	١	١		٢	٢	٢	٢			٢	٢	٢										
مجموع الحصص الأسبوعية	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤

* المواد الدينية والمنطقية تشغل أربع ساعات من الإحدى عشرة ساعة، وساعة من السبع ساعات (معتمداً عن تقويم دار العلوم ص ٤٦) ** تشمل ساعة صحة في كل حصة.

وتكشف لنا الجداول المستقلة حين نتأملها جيدًا، هذا التغيير الرئيسي، حين تظهر لنا أي المواد تمَ إسقاطها، أو إضافتها، أو اختصارها، أو التوسع فيها خلال عمليات التطوير، وبما أن الخطوة الأكبر أهمية تمثلت في إضافة دراسة اللغة الأجنبية لمنهج الدراسة في دار العلوم، وهو أمر جديد بالذكر، لأنه أحد الفروق الهامة الرئيسية بين دار العلوم وكليات الإعداد العليا الأخرى في مصر، وهو ما أشار إليه كتري، يقول: إن خريجي دار العلوم يعرفون اللغة العربية فحسب، أما خريجو المدارس الأخرى، فقد درسوا اللغات الأجنبية [١٣].

والواقع، أنه فيما يتصل بجزء هام من الفترة الزمنية التي تضمنتها دراسة كتري عن دار العلوم (١٨٨٢-١٩٠٣) كانت دراسة اللغة الأجنبية تشكل جانباً شديد الوضوح في الدراسة بدار العلوم. أما اختلاف منهج دراسة اللغة الأجنبية في دار العلوم عنه في كليات الإعداد الأخرى، فيتمثل في اختلاف عدد الساعات المقررة لهذه المادة في كليهما، فكانت في المعاهد التي لم تخصص لإعداد معلمي اللغة العربية أكثر بكثير منها في هذه، وقد بدأ تدريس اللغات الأجنبية في دار العلوم حين أُلحقت بكلية إعداد المعلم المركزية الجديدة عام ١٨٨٠/١٨٨١.

ومع أن اللغة الفرنسية كانت مادة اختيارية، وقع عليها اختيار كل الطلاب [١٤]، وعندما انفصلت دار العلوم عن ذلك المعهد أسقط تدريس اللغة الأجنبية من الجدول مؤقتًا.

ولكن ضم مدرسة اللغات إلى دار العلوم تحت اسم (قلم الترجمة)، كان يعني إضافة تدريس اللغة الأجنبية إلى منهج دار العلوم مرة أخري، مع تخيير الطلبة بين دراسة إحدى اللغتين: الفرنسية أو

الإنجليزية، ومن الراجح أن دراسة هذه المادة ظلت اختيارية، لأنها لم تظهر في المنهج الدراسي حتى عـــام ١٨٩١[١٥].

في منهج اللغة الفرنسية والإنجليزية بعد عام ١٨٩٥، نلتقي بأمرين في دراستهما تحـــت مســـمي: (الشفوي) و(التحريري)، فقد أشتمل الشفوي في السنة الأولي على تعلم حروف الهجـــاء ونطقهـــا، والتمرس بإلقاء بعض أبيات الشعر القصيرة، واكتساب معرفة بعض مفردات اللغـــة الأساســـية، مـــع التركيز على ما اتصل منها بالموضوعات العملية، كالطعام، وأعضـــاء جســـم الإنســـان، والأعـــداد والأفعال، وغيرها. وأسس المحادثة والقواعد.

أما في السنوات التالية فكان على الطلبة أن يتوسعوا في معرفتهم باللغة من خلال التـــدريب علـــى الترجمة التحويلية، من اللغة الأجنبية إلى العربية، ومن هذه إلى تلك، وعلى الإملاء والإلقـــاء والمحادثـــة والترجمة والإنشاء. وركز منهج ١٨٩٥ على إلقاء الشعر باللغة الأجنبية التي اختارها الطالب، على أن يستوعب الطلاب معرفة معاني النص كاملة والقدرة على ترجمته [١٦].

ويبدو أن طريقة تدريس اللغة الفرنسية كانت تماثل طريقة تدريس اللغة الإنجليزيـــة [١٧]. وبعـــد إضافة السنة التحضيرية عام ١٨٩٧ توسعت دار العلوم في تدريس اللغات الأجنبية، فتقـــرر تدريســـها في السنة التحضيرية أيضًا لمدة أربع ساعات أسبوعيًا، مقابل الساعات الخمـــس المقـــررة في الســـنوات الأخرى في دار العلوم، وذلك باستثناء منهج ١٩٠١ الذي تقرر فيه زيادة تدريس اللغـــة الأجنبيـــة في السنة التحضيرية إلى ست ساعات أسبوعيًا، إلى أن أُلغي تدريس اللغـــات الأجنبيـــة كلـــها في عـــام ١٩٠٤[١٨]. وعندما أعيدت دراستها إلى المنهج مـــرة أخـــرى في العـــام الدراســـي ١٩١٣-١٩١٤

أصبحت دراسة اللغة الإنجليزية مادة إجبارية [19]، واستمر الطلبة يدرسونها بواقع ست ساعات أسبوعيًا، إلى أن جاءت لوائح أكتوبر ١٩٢٠ فجعلت من دراستها مادة اختيارية بعامة، وإجبارية على الطلاب الذين يرى ناظر المدرسة أحقيتهم في هذه الدراسات الخاصة [20].

هذا العرض يفسر لنا كيف لعبت اللغات الأجنبية في الفترة ما بين ١٨٧٢و ١٩٢٣ دورًا هامًا في تطور مناهج دار العلوم، ولكنه دور ليس أساسيًا، وعندما درست هذا التقلقل في تدريس اللغات الأجنبية في دار العلوم توصلت إلى عدة تفسيرات ودواع ممكنة، تتعلق بأن مهمة دار العلوم الأساسية والأولى إعداد معلمي اللغة العربية، معلمين يتولون مناصب في مدارس اللغة العربية، ولمواجهة هذه الغاية أصبحت الأولوية في عدد ساعات المنهج الأسبوعية للمواد التي تعتبر أساسية في ذلك الأعداد، ولأن منهج دار العلوم خضع لفترة يُمكن أن توصف بأنها ذات طبيعة تجريبية، علية أن يعايش خلالها تغييرات متعددة نسبيًا، وحتى المواد التي تُعد إجبارية أصابها، من سنة لأخرى، حظ من هذه التغييرات. ولعبت السياسة، في الأيام الأخيرة من عصر كرومر، وأثناء وزارة سعد زغلول باشا، أي في العقد الأخير من القرن العشرين، دورًا بارزًا في اتخاذ تلك القرارات، واحتدم الجدل في مصر حول مكانة اللغة العربية في التعليم [21]، ولأن هذا الموضوع، في هذه الفترة، ارتبط بالحكم البريطاني في مصر، فقد رشَح هذا العامل استخدام اللغة الإنجليزية لغة للتدريس [22] غير أنه في فترة سابقة لهذه الفترة، مع جهود الإصلاح التي ظهرت في عهد حكم **الخديو إسماعيل،** ومنذ عام ١٨٦٨، كانت مدرسة الحقوق تدرس في بعض فصولها اللغة الفرنسية، كما أن **على باشا مبارك** أدخل تدريس اللغات الأجنبية منذ السنة الأولي في المدارس الابتدائية، على أمل أن يكون هذا إجراءً مؤقتًا، معتقدًا أن الترجمة وتحسين طرق تدريس اللغة العربية، سوف يعيد اللغة العربية قريباً إلى سابق مجدها: لغة التدريس الوحيدة [23].

وبحلول عام ١٩٠٦ اتهمت الحكومة بأنها ضحت باللغة العربية وسيلة للتـــدريس في المـــدارس محابـــاةً للغات الأوربية، لأن مواد كثيرة في المرحلة الابتدائية المتقدمة، كانت تُدرسَ موادها باللغة الإنجليزيـــة أو الفرنسية (٢٤)، وقد حاولت الحكومة الدفاع عن نفسها، معتمدة على التقارير المقدمة من مفتشي اللغـــة العربية في المدارس الحكومية، وهم أصلاً من خريجي دار العلوم، فقد أثبتوا فيها أن الطلبـــة حققـــوا في امتحانات الشهادة درجة عالية في إجادة اللغة العربية، كما أثبت **سعد زغلول** نفسه أن مستوي إجادة اللغة العربية بين المدارس الابتدائية أعلى منه بين خريجي المدارس الثانوية أو حتى بين خريجـــي المـــدارس المتخصصة قبل عشرين عامًا خلت (٢٥). وقد أدي الإقبال الكبير على دخـــول دار العلـــوم، وزيـــادة عددي مدرسي اللغة العربية ومفتشيها الذين أُعدوا لهذه المهام، إلى إلغاء تدريس اللغات الأجنبية مؤقتًـــا لصالح المزيد من الإعداد في اللغة العربية.

لماذا عادت اللغة الإنجليزية إذن مادة دراسية مقررة في مناهج دار العلوم عام ١٩١٣؟ نجد الإجابة عن هذا المأزق الذي واجهه المدرسون المصريون منذ أوائل القرن التاسع عشر، وحتى يمكن القول منـــذ أواخر القرن الذي سبقه، في: كيف يمكن اكتساب تقنيات التعليم الحديثة ومعرفة منهجيتـــه، دون أن تتغلب الثقافة الأجنبية على نحو يُفقد المرء، في الوقت نفسه ثقافته وتراثه، ومع احتلال بريطانيا مصـــرَ أصبحت اللغة الإنجليزية شرطاً أساسيًا للحصول على وظيفة في مجال الأعمال الحـــرة، أو في التجـــارة، وحتى في الحكومة أيضًا، ومع ذلك ظلت اللغة الفرنسية هامة بوصفها لغة ثقافـــة، ورمـــزًا لمعارضـــي الاحتلال البريطاني. ويمكن القول إن سيطرة اللغات الأجنبية في المدارس لم تكن وليدة تخطيط بريطـــاني فحسب، وإنما جاءت أيضًا استجابة لحاجة مصرية ملحة، وكانت مطلبا ضرورياً للحصول على عمـــل، أو الوصول إلى وظائف أفضل، أو القيام بدور أقوى تأثيراً في أمور الوطن، وكان الإحساس واضـــحًا:

إذا لم توفر لهم المدارس الحكومية المدخل لهذه الوظائف، فسوف يواجه الطلاب المسلمون عقبة كــأداء تعوقهم عن بلوغ هذه الغايات، حين يقارن بينهم – بوصفهم هذا – وبين سكان مصر الآخرين، وهم في الأغلب من المسيحيين، وهؤلاء كانوا يلتحقون بالمدارس القبطية أو الأجنبية أو مدارس الإرســاليات التنصيرية [٢٦]. ومع أن سبل العيش لخريجي دار العلوم لا تعتمد على معرفة اللغات الأجنبية، إلا أنهــم أدركوا مدي أهميتها لمكانتهم مدرسين محترمين في المجتمع، حتى ولو من باب المقارنة مع خريجي كليــة الإعداد العليا. وهكذا نجد السبب نفسه الذي ألح على المدارس الابتدائية والثانوية الحكومة أن تــدرس اللغات الأجنبية، هو ذاته الذي أعاد تدريس اللغة الإنجليزية إلى مناهج دار العلوم، وكان ذلــك علــى حساب الحصص المقررة للخط العربي واللغة العربية والعلوم[٢٧].

أما المواد التي كان عدد ساعاتها يتزايد بانتظام فأهمها: التدريب الذي يتخذ من علم أصول التربية قاعدة يعتمد عليها نظريًا وعملياً على حد سواء، وقد ظهر علم أصول التربية مادة تــدرس لأول مــرة في دار العلوم، في منهج عام ١٨٨٧، وتظهر دراسة الجداول المختلفة أن عدد الساعات المخصصة لهــذا التدريب، أو الإعداد العلمي، يتراوح ما بين ساعتين أسبوعيًا لأصول التربية نظريًــا في عــام ١٨٨٧، حتى تبلغ ثماني ساعات لمادة التربية العملية في عام ١٨٩١، ومن عام ١٩٨٥ إلى عــام ١٩٠٠ تطلــب التدريب الذي يعتمد على علم أصول التربية (ثنتي عشرة ساعة) من المذاكرة، سوف ترتفع إلى ثــلاث عشرة ساعة في عام ١٩٠١، وإلى أربع عشرة ساعة في عام ١٩٠٦، وإلى خمس عشرة ساعة في عــام ١٩١٣ [٢٨].

أما الجدول الجديد الذي أعد في عام ١٩٢٠، فقد تضمن أربعة وعشرين ساعة لأصـــول التربيـــة والمنطق والصحة والأخلاق، يتلقاها الطلاب المنتظمون [٢٩]. وتمثل تلك الساعات الوقت الذي يقضـــيه الطالب في دار العلوم، نظام السنوات الأربع أو الخمس.

في إطار علم أصول التربية النظري يدرس طلبة منهج السنوات الخمس من خلالـــه موضـــوعات تتعلق بالشخصية والذكاء وقيم المجتمع الأساسية والدين. ثم يدرسون بعد ذلك علم الصـــحة والتربيـــة البدنية والانضباط، وأضيف إلى ذلك علم النفس في السنة الثالثة، وأســـس منهجيـــة التـــدريس الـــتي يطبقونها علميًا، ولا يقتصر هذا التطبيق على اللغة العربية وحدها، وإنما يشمل تدريس القـــرآن أيضًـــا، والجغرافيا والتاريخ والحساب والهندسة والأخلاق. وأخيرًا بدأت القوانين الخاصة بتنظـــيم دار العلـــوم وحفظ السجلات تؤخذ في الاعتبار [٣٠]. وكان التركيز في حصص مادة أصول التربية يقـــوم أساسًـــا على التدريب عمليًا على التدريس في المدارس الابتدائية، وعلى إعداد المدرس، وعلـــى ممارســـة النقـــد الجماعي[٣١].

وكان الكتاب الأساسي المستخدم في دراسة علم أصول التربية نظريًا من تأليف حســـن توفيـــق العدل، أما التدريب العملي فكان يقوم على استخدام كتب تدريس المواد المختلفة التي كانـــت تـــدرس فيها هذه المواد [٣٢].

أمَا المواد التي خُفَضت ساعاتها المقررة لها في منهج دار العلوم فأبرزهـــا دراســـة المـــواد الدينيـــة الكثيرة، فخفَّضت ساعات تدريس التفسير – مثلا – من عشر ساعات في عـــام ١٨٧٥إلى ســـاعتين فحسب في عام ١٩٠٩، وبحلول عام ١٩١٣ أصبح إجمالي الساعات المقررة للفقه والمنطـــق والأصـــول

والحديث والتوحيد عشر ساعات فقط في منهج الخمس سنوات، وعند مراجعة جدول أكتـــوبر عـــام ١٩٢٠، وجدت أن على الطلاب أن يحضروا خمس عشرة حصة تتناول المواد نفسها (٣٣).

وحدث الاستثناء الوحيد في هذا الاتجاه الانحداري بعد عام ١٨٨٨ حين شرح **علي مبـــارك** في إعداد برنامج عام خامس يضاف إلى مدة الدراسة في سنة ١٨٩١ نُقلت دراســـة الفقـــه بمقتضــاه إلى السنوات الأربع الأخيرة فقط. وفي عام ١٨٩٣تقرر وقف الدراسة في السنة الخامسة علـــى الطـــلاب الذين يعدون أنفسهم مهنيًا للعمل في المجالات الشرعية والقانونية فحسب. وأخيرًا عندما عزف طـــلاب دار العلوم جميعًا عن الالتحاق بهذه السنة الدراسية تقرر إلغاءها عام ١٨٩٢، ومـــن ثم فقـــد أعـــادت قوانين ١٨٩٥نظام الأربع سنوات، وفيها تقرر أن يكون نصيب مادة الفقه حصتين أسبوعياً لكل فرقة، خلال السنوات الدراسية الأربع (٣٤).

كان وراء عزوف طلاب دار العلوم عن الانتظام في السنة الخامسة التي خُصصت لدراسة الفقـــه رفض وزارة الحقانية (= العدل) تعيين حاملي هذه الشهادة في مناصب قضائية للأسباب الآتية:

إذا رجعنا إلى سجلات التوظيف لعام ١٨٩٥ وجدنا أنه أُعلن عن ١٤٧ وظيفـــة فقـــط للقضـــاة والمحامين جاء توزيعها على النحو الآتي: أربعة عشر قاضيًا في المحاكم الكبرى، وخمسة وعشرون قاضيًا، وتسعة عشر مفتيًا في مراكز المحافظات، وتسعة وسبعون قاضيًا في المراكز (٣٥). وفي الوقت ذاتـــه كـــان يوجد – كما يقال – أكثر من ١٧٠٠ وظيفة تعليمية، نصيب دار العلوم منها ٦٥، وذلك في الفتـــرة ما بين ١٨٨٩ و١٨٩٤ (٣٦). وجملة من تم تعيينهم من خريجـــي الأزهـــر ومســـجد إبـــراهيم باشـــا بالإسكندرية في الوظائف القضائية، خلال الفترة نفسها، لا تتجاوز ثنتي عشرة وظيفة فحسب، ومـــع

كثرة عدد طلاب الأزهر وخريجيه وندرة الوظائف في المجال القضائي، ليس مستغربًا أن تقرر الحكومة المصرية إلغاء السنة الخامسة في دار العلوم، وهي التي خُصصت لإعداد قانونيين تم إعدادهم من قبل، عبر سنوات أربع ليكونوا مدرسين مؤهلين.

وبعد تخفيض عدد الساعات المخصصة للدروس الدينية في دار العلوم أصبح من الصعب جدًا على الأساتذة في الدار أن ينهضوا بالمتطلبات المنوطة بهم في المنهج الدراسي المقرر.

وخلص تقييم عام ١٩١١ لنتائج امتحانات دار العلوم إلى أن حصص تفسير القرآن الكريم التي تضارب منهجها في السنوات الأولي حتى الأخيرة، وأصبح لها في ذلك الوقت مكان في جدول السنتين الأوليين، ولكنة — إجمالا — لم يكن كافيًا لتحقيق الغاية من دراستها، فإذا أخذنا بعين الاعتبار أن المنهج لا يضم غير ساعة واحدة أسبوعياً فحسب، لكل من التفسير والحديث، أدركنا أن الأستاذ علية أن يفسَر نصف القرآن الكريم في ثنتي عشرة ساعة في العام الدراسي، ودراسة الحديث في وقت قصير كهذا ضرب من المستحيل. ويذكر التقرير كيف أن دار العلوم بدلت في الجدول الرسمي لتجعل دراسة هاتين المادتين، التفسير والحديث، تتم أيضًا في ساعات خُصَصت في الجدول من قبل لدراسة علم الأصول، وهو أمر تم بصورة غير رسمية. واقترحت اللجنة توصية أخري تقضي بأن يدرس كتاب **الإمام الغزالي** فقد يعين على اختصار دروس التفسير (٣٧). وفيما يتصل بالعلوم الدينية الأخرى أوصي تقرير عام ١٩١١. أيضًا بخفض الساعات المقررة لدراسة الأحوال الشخصية في الفقه، لأن بوسع الطلبة دراستها في معاهد أخرى. ويبدو أن الذي خطط للمنهج الدراسي كان واسع الطموح جدًا فيما يتصل بدار العلوم، حين أمل أن في إمكان طلابها دراسته أي شيء بعمق (٣٨)، ويقول التقرير

نفسه، تقرير عام ١٩١١، عن دراسة المنطق: إن دراسة هذه المادة بقيت علي نحو ما تركهـا أرسـطو والكندي والفرابي وآخرون، على الرغم من أن الفكر الإنساني تقدم كثيرًا عما كـان عليـه في تلـك الأيام، ومن ثم أوصي **أحمد زكي** كاتب التقرير بانتقاء بعض الكتّاب الغـربيين، وأن يقـوم متـرجم معروف بترجمة أعمالهم إلى اللغة العربية فيما إذا استمرت المدارس الحكومية في تدريس مـادة المنطـق. ويقول **أحمد زكي** إنه أحس بأن الأمر يدعو إلى شيء من السخرية، حين وجد أن العرب أخذوا المنطق من الإغريق، واستعاره الأوربيون من العرب، وطوَروه على حين ظل عند العرب كمـا أخـذوه عـن الإغريق [٣٩]. وانتهي التقرير إلى نتائج مرضية فيما يتصل بمادتي التوحيد وأصول الفقه، مع أن المنـاهج الدراسية المخططة لهما تشي بأن الخطط الموضوعة لدراسة هاتين المادتين كانت أكثر طموحًا مما يسمح به الزمن المقرر لتدريس كلتيهما على حد سواء [٤٠].

وفي محاولة لبناء منهج دراسي متوازن، ومبتكر في الوقت نفسه، واجه المرتبطـون بـالتعليم في دار العلوم أزمة أخري في مجال المواد الرياضية والعلمية، وذلك عندما وضعت دار العلـوم الخطـوط الأولي لأول منهج دراسي لها، وكان الطلاب يخصصون لهذه المواد الساعات نفسها الـتي يخصصـونها للغـة العربية والشريعة الإسلامية مجتمعتين معًا، أي ثلاث عشرة ساعة أسبوعيًا، من تلقاء أنفسهم، لكل سنة دراسية، مؤملين أن يؤهلهم هذا كي يصبحوا معلمين لتلك المواد في صفوف التلاميذ الصغار.

وفي عام ١٨٨٧ حُذف من الجدول بعض حصص الرياضيات والعلوم ليصل إلى أدني معدل، وهـو ست ساعات في الأسبوع لطلاب السنة الأولي والثانية، على حين زادت دراسات الفقـه والدراسـات الدينية الأخرى مؤقتاً. وحتى عام ١٨٩٥ لم يزد عدد حصص الرياضة والعلوم على نحو منـتظم نظـرًا

لإضافة ست ساعات في كل سنة لدراسة اللغة الأجنبية، على حين تقلصت ساعات تلك المواد لتصبح خمساً في السنة الأولي، شغلت دراسة الرياضيات والعلوم في السنة الثالثة ثلث الساعات المقررة لكل المنهج الدراسي تقريبًا، وهي ثلاث وثلاثون ساعة أسبوعًا. ولخلق متسع من الساعات لتدريس أصول التربية، والعلوم، والساعات المقررة للغات الأجنبية، خُفَضت دراسة اللغة العربية من سبع ساعات أسبوعيًا في السنة الأولي إلى ساعتين في السنة الرابعة (٤١). ومنذ عام ١٨٩٥ إلى عام ١٩٢٣ تراوح عدد الساعات المخصصة للرياضة والعلوم ما بين ست ساعات وثنتي عشرة ساعة أسبوعيًا، حسب السنة والفصل. وتبلغ الاثنتي عشرة ساعة ذروتها في عام ١٩٠٩، قرب نهاية فترة **أمين سامي باشا**، عندما كان مطلوبًا من طلاب الفرقتين الثالثة والرابعة دراسة الحساب والجبر والرياضة والهندسة والفيزياء والكيمياء والأحياء والفلك، وهو أمر ليس بمستغرب في ضوء تقرير عام ١٩١١ عن امتحانات دار العلوم.

لقد ألمح هذا التقرير فيها يتصل بالعلوم الرياضية إلى تدني مستويات المعرفة وبؤسها بين الطلاب بعامة، ورثي أيضًا (العقبات التي لا تقهر) التي واجهها طلاب السنة الرابعة، وهي السنة الأخيرة، حيث كانت السنة التحضيرية موجودة حينذاك (٤٢).

وبينما كانت أهداف المنهج الدراسي مقبولة وجديرة بالثناء، كان واضحًا أنه من الصعب أن يتعلم الطلاب الجبر دون دراسة الحساب، ومعرفة الجبر مفيدة وضرورية لدراسة الهندسة. فإذا بلغ الطالب العشرين من عمره دون أن يعرف جدول الضرب حتى ذلك الحين، فسوف يسبب له ذلك صعوبة كبرى في فهم مواد الرياضيات الأخرى، وعلى حين لم يكن ضرورياً بالفعل أن يحقق الطلاب

مستوي متقدمًا في الرياضيات، لأنهم لا يحتاجون لمعرفة (اللوغاريتمات)، وخاصة بعد أن بدأت كليـــة (الإعداد العليا) في تخريج مدرسين لتلك المواد، ومن ثم عُدَت دراسة الرياضيات المقـــررة في المنـــهج على الطلاب المتخرجين في دار العلوم تضييعًا للوقت الذي ينفق في تحصيلها، وإذ من المفترض أن تركَز دار العلوم على إعداد معلمي اللغة العربية، ومن ثم اقترح **أحمد زكي باشا** خفض مقررات الرياضة مـــن حيث العدد والتنوع، وزيادة حصص اللغة العربية، لكن ما حدث فعلاً أن حصص اللغـــة الإنجليزيـــة شغلت بعض الساعات التي كانت مخصصة لدراسة الرياضيات فيما سبق.

وفيما يتصل بدراسة العلوم ثمة شعور بأنه على الرغم من أن دراستها ساعدت في تمييز طلبـــة دار العلوم عن أقرانهم في الأزهر، كانت الدراسة مسهبة جدًا على نحو لا يمكّن الطلبة من تعلـــم الكـــثير، خاصة في مادة الفلك، وكانت نصيبها من الوقت ساعة واحدة في الأسبوع فحســـب، علـــى مـــدي سنتين. وأظهر الطلاب ميلا واضحًا للحصول على درجات أعلي في الفيزياء دون الكيميـــاء، لكنـــهم أبلوا بلاء حسنًا في المادتين على حد سواء. وقد ارتبطت دراسة هاتين المـــادتين (الأحيـــاء والفلـــك) بالعلوم الأخرى فيما بعد، تحت مسمَي (التاريخ الطبيعي) عندما وضع منهج عام ١٩١٣ (٤٣).

ويجدر أن نشير إلى أن دراسة العلوم تضمنت مادة تُسمَي "الأشياء"، تتناول توضيح الفروق بـــين النباتات والحيوانات والمعادن ومختلف المواد المصنعة، بما فيهـــا أواني الطـــبخ، والعمـــلات، والســـكك الحديدية، والزجاج، وغيرها (٤٤). وعندما إعداد المنهج الجديد في سنة ١٩٢٠ تضمن مـــن ثمـــاني إلى تسع ساعات للرياضيات والعلوم، إلى جانب حصص أخري خُصصت للتربيـــة الصـــحية، تضـــمنها

الجدول مع التربية والأخلاق والمنطق، لتكون محصلة ما فقررَ لها كلها أربعًا وعشرين ساعة في الأسبوع على مدي السنوات الخمس (٤٥).

وقد أشتمل منهج دار العلوم منذ إنشائها إضافة إلى دراسة اللغة العربية، على مادتين هما: التاريخ والجغرافيا منذ عام ١٨٧٤ إلى عام ١٩٢٠، وكان يخصص لهما من الوقت ما لا يقل عن ثلاث حصص أسبوعياً، ولا يزيد – إجمالا – عن خمس، باستثناء طلبة السنة الأولي في الأعوام ١٨٩٧ – ١٨٩٩، و ١٩٠٦ – ١٩٠٩، فقد اقتصرت دراستهم على مادة الجغرافيا وحدها، وفيما عدا هذه السنوات كان الطلاب جميعًا، في كل السنوات، يدرسون المادتين معًا: الجغرافيا والتاريخ (٤٦).

أما عن محتوي المنهج فكان كالآتي: في سنة ١٩٠٦ لم يكن طلاب السنة التحضيرية يدرسون التاريخ رسميًا، وإنما خُصَصت له ساعة واحدة من الوقت المخصص للجغرافيا، يدرس فيها الطلاب (النظام المدني) أو ما نطلق علية الآن علم (حقوق المواطنين وواجباتهم). وتتضمن دراسة الجغرافيا: دراسة علم رسم خرائط العالم، موزعة على السنوات الدراسية في قطاعات جغرافية وسياسية، وأوربا والسياسة الاستعمارية، وتاريخ أمريكا الشمالية والجنوبية، وتاريخ آسيا وأفريقيا وجغرافيتهما، وجغرافية مصر والسودان(٤٧).

أما فيما يتصل بالتاريخ فيقضي طلاب السنة الأولى في دراسة قضايا تتصل بكتابة التاريخ، والإنسان البدائي، ونوح والطوفان، والأجناس المختلفة، والحكومات، والأديان، وتاريخ مصر قبل الإسلام، وتاريخ مصر القديم. وركَزت الدراسة في السنة على تاريخ الفينيقيين والعبريين والفرس والإغريق والرومان، إضافة إلى تاريخ العرب قبل الإسلام، وفجر الإسلام. أما طلاب الفرقة الثالثة

فكانوا يدرسون فترة الخلفاء الراشدين، والخلافة بعامة حتى يومنا هذا، بما في ذلك دراسة دولة بني أمية في الأندلس، والحروب الصليبية. وأخيرًا يدرس طلاب الفرقة الرابعة نهاية الحكم الإسلامي في الأندلس، والتي أعقبت ازدهار العصر الأموي هناك، والأحداث الهامة في تاريخ الخلافة العثمانية، والوقائع البارزة التي ارتبطت بتاريخ القوى الأوربية[٤٨].

لم يستطع الأساتذة، وفقًا لتقرير عام ١٩١٨، إتمام دراسة المقرر الذي قرره مثل هذا المنهج الطموح في مادة التاريخ على الرغم من الأداء الجيد للطلاب في الامتحان[٤٩]. وقد استنكر التقرير التركيز على أوربا مما أضر بالجانب الخاص بالتاريخ العربي والإسلامي. وقال كاتب التقرير، وهو يلقي على هذه النقطة مزيدًا من البيان: (بينما سيطرت أوروبا على التاريخ وضعت حضارة أخَاذة برَاقة تثير الإعجاب، إلا أن التدريس يجب ألا يغفل البلدان الضعيفة، فقد بدأت الإمبراطورية الرومانية كيانًا صغيرًا جدًا، وسارت في طريق النهضة، إلى أن أصبحت حضارة عظيمة الأهمية ومؤثرة). كما أحس كاتب التقرير أيضًا بأن تقليل الدراسات عن مصر ربما أدي إلى إحساس المصريين بازدراء بلادهم لمجرد أنها كانت ضعيفة في تلك الفترة [٥٠]. وهذا التقرير ربما أثر فيما بعد، على نحو ما، في الذين خططوا للمناهج، فقد زاد عدد الساعات المخصصة لدراسة التاريخ والجغرافيا إجمالاً في جدول عام ١٩٢٠، من أربع وعشرين ساعة في منهج نظام السنوات الخمس إلى ثمان وعشرين ساعة إجمالاً[٥١].

وتضمنت دراسة الجغرافيا مادة رسم الخرائط، وكانت فيها يبدو تروق للطلاب كثيرًا، وحققوا فيها درجة عالية من الكفاءة [٥٢].

ولما كانت الغاية من دار العلوم إعداد معلمي اللغة العربية، فإن الأمر يتطلب أن نتناول منهج اللغة العربية ومحتواه، وأن نأخذ في الاعتبار، على الرغم من هذا، أن الطلبة أتوا إلى دار العلوم، وهم يحملون – في حقيقة الأمر – قدرًا جيدًا من المعرفة بعلوم اللغة العربية [٥٣]:

من بين أبرز الحقائق المتصلة بمنهج اللغة العربية وأوضحها في الفترة ما بين ١٨٧٤ و ١٩٢٣، أن الساعات المقررة في الفرق المختلفة، على امتداد الدراسة، كانت تقل في الفرقة الأخيرة ساعة واحدة فحسب في الأسبوع، عما هو مقرر لها في السنة الأولي، على الرغم من التغييرات الكثيرة التي أصابت الجدول فيها بين بداية هذه المرحلة (١٨٧٤) ونهايتها (١٩٢٣)، وكانت مناهج اللغة العربية هي الوحيدة التي ظلت ثابتة طوال سنوات الدراسة، وجاءت سنوات ١٨٧٥/ ١٨٧٧ و ١٩٠١/ ١٩٠٣و ١٩٢٠ استثناء في هذا. ومثلها جداول عام ١٩٠٦ و ١٩٠٩، حيث لم يقض الطلبة أكثر من تسع ساعات في الدراسات العربية في أي سنة دراسية، ولم يأت كل هذا صدفة، وإنما هي السنوات التي ألغيت فيها دراسة اللغات الأجنبية.

وفيما بين عامي ١٨٩٥ و ١٩٠٦ نصت المناهج على ضرورة أن تتعادل الساعات المقررة لدراسة اللغة العربية، مع الساعات المقررة للغات الأجنبية، وهي في المتوسط من خمس ساعات إلى ست لكل سنة دراسية [٥٤]. وثمة دراسة عن المناهج الدراسية، في سنوات مختلفة تظهر لنا: أن الطلاب الذين يقضون وقتًا أطول بكثير في دراسة النحو والتعبير والأسلوب والشكل، لم يدرسوا – بعامة – الأدب باعتباره أدباً، ولكن بوصفه شواهد نحوية أو بلاغية، وتؤكد هذه الحقيقة قائمة الكتب الدراسية لعام ١٩٠٦، مع غيبة الكتب التي تتناول موضوع التاريخ الأدبي[٥٥]. ودعا تقرير **أحمد زكي باشا** في عام

١٩١١ بالحاجة إلى زيادة ساعات هذه المادة، وذكر حقيقة أن الطلبة لا يدرسون من كتاب حسن توفيق العدل إلا ربُعَه فقط، وهو الكتاب الذي ظل مستخدمًا طوال ثماني سنوات، على الرغم من أن الكتاب كله لا يؤرخ إلا للعصرين الجاهلي والأموي، ومن ثم يبدو أن الطلاب لا يعرفون شيئًا عن تاريخ الأدب العربي في عصور ما بعد أوائل العصر العباسي، رغم أن الأدباء الذين أتوا بعد ذلك هم الذين مارسوا تأثيرًا قويًا على اللغة و أدبها. ومع أن كتاب **حسن توفيق العدل** كان يمثل بداية هامة إلا أن **أحمد زكي** تمنى أن تكون هناك كتبًا أخرى تتناول تاريخ الأدب واللغة على نحو أوسع وأعمق على أن تتخذ من منهج **حسن توفيق العدل** أساسًا يحتذي، فقد اتسم بتحليل المادة الأدبية في ضوء الظروف التاريخية التي كانت تحيط بها (٥٦).

ويذكر تقرير ١٩١١، إلى جانب ما أشار إلية من قصور المقررات التي تتناول دراسة الأدب العربي، بعض الحقائق والموضوعات الأخرى.

مع تزايد المواد الأخرى في مناهج دار العلوم بدأ القلق يتسريب إلى نظارة المعارف، وأصبحت أكبر مشكلة تواجه طلاب الدراسات العربية هي عدم قدرتهم على تطبيق ما يدرسونه نظريًا في اللغة، على الكتب الخاصة بالمواد الأخرى، فاتجه الطلبة إلى الحفظ عن ظهر قلب، مما يفسر تشابه الأسلوب والتعبير في معظم دراساتهم. ويذكر **أحمد زكي** أن هذا التماثل في الأسلوب على نحو من القوة يجعلك حين تقرأ صفحة ما أن تظن أنك قد قرأتها من قبل (٥٧). ويمكن حل هذه المشكلة في عدم التركيز على الكلام المُملَي الذي يفضل التقليد، وإعلاء شأن التأليف الأصلي (٥٨).

حين نتأمل ما يقال عن عدم وفاء دار العلوم وطلابها في الوصـــول إلى الأهـــداف المقـــررة في مختلـــف المناهج، علينا أن نأخذ في الحسبان الوسائل القاسية التي كان على الطـــلاب أن يتبعوهـــا مـــع ســـت حصص يوميًا، ومعظمها مواد جديدة، أو على الأقل غير معروفة لهم، فكان عليهم أن يركزوا جيـــدًا في دراستهم. حتى يمكنهم الاستمرار فيها، وكان عليهم، في وقت ضيق جـــدًا، أن يهضـــموا المحاضـــرات والقراءات المختلفة، فحاولوا أن يعوضوا هذا بالحفظ.

وفي عام ١٨٩٥ قضَى كثير من الطلاب عطلتهم الصيفية في مذاكرة مواد اللغة العربية المختلفـــة، بُغيةَ الوصول إلى أداء جيد في امتحانات الخريف، أملا في الحفاظ على المنح الدراسة. ومـــن الفطنـــة أن نصدق أن معظم الطلبة يقضون صيفهم في مثل هذه الدراسات[٥٩].

مع التغييرات المتكررة في الجداول، في أوائل التسعينيات من القرن التاسع عشـــر وأوائـــل القـــرن العشرين بخاصة، شهد طلاب دار العلوم الكثير من التعديلات التي بلغت أربعة، في متطلبات مـــا قبـــل الحصول على شهادتهم النهائية، حتى لو كان مسموحًا لهم أن يستكملوا مقرراتهم الدراسة وفق المنـــهج الذي كان مطبقًا في دار العلوم عند التحاقهم بها. ومن المؤكد أن هذا الوضع أحدث ارتباكًـــا شـــديدًا بين الطلاب. وبين هيئة التدريس أيضًا. ومع تغيير امتحانات القبول للشهادات نفســـها كـــان علـــى الأساتذة أن يتذكروا لا ما درسوه في كل فصل من فصول السنة السابقة فحسب، ولكن الفروق بـــين المستويات المختلفة أيضًا عند الدخول لكل فصل.

وإلى جانب ذلك، مما يثير العجب والدهشة في أعماق المرء: كيف قرر أمين سامي باشا وزمـــلاؤه في تسعينيات القرن التاسع عشر حاجتهم إلى جدول جديد، مع أن ما مضي من الزمن علـــى الجـــدول

السابق أقل من سنة. ويصعب – بكل تأكيد – تقييم التأثير الذي أحدثه تغـــيير المنـــاهج المتكـــرر في الهيكل الطلابي، وبخاصة لأن بعض الأساتذة من ذوي الشخصيات المتميزة كان بوسعهم دائمًا إحـــداث تغييرات جوهرية في أي مادة يكلفون بها خلال تدريسهم لها.

- **الوسائل المنهجية:**

ما حدث في مجال المناهج، على نحو ما عرضناه فيما سبق، حدث مثله في مجال الوسائل المنهجية، فعلـــى حين أن قائمة كتب ١٨٩٩ – ١٩٠٦، التي ألمحنا إليها من قبل لم تذكر شيئًا، إلا أن هـــذا لم يكـــن دقيقًا – ربما – فيما يتصل بالوسائل المنهجية خلال فترة الخمسين عامًا الأولى، لأن وجود كتب ألفهـــا معاصرون لهيئة التدريس، أو نماذج أخرى بارزة، يشير إلى محاولة دار العلوم استخدام أفضل الوســـائل وأحدثها في تدريس مقرراتها. مثلاً: استخدمت في تدريس مادة التاريخ "تاريخ دول العـــرب" الجـــزء الأول، تأليف طلعت حرب، أحد رأسماليِّ القرن العشرين في مصر، والذي ألف كتبًا أخـــرى كـــثيرة، وقد تخرج في مدرسة الحقوق في القاهرة عام ١٨٨٩[٦٠]. أما مادتا الحساب والهندسة فقد اســـتُخدم في تدريسها كتب من تأليف أحمد نظيم ناظر دار العلوم السابق وأحمد سامي ناظرها الحالي. ومـــن بـــين الكتب التي كانت تُدرَّس أيضًا: كتاب "تدريب التدريس في الأدب" – تأليف محمد الســـيد، الـــذي سوف يصبح ناظر دار العلوم في عام ١٩٢٣. وظـــل كتـــاب "مـــذكرة في الخـــرائط والأطـــالس" Memory Map Atlas من تأليف ه. و. ماردون H. W. Mardon، وهو عضو في هيئـــة التدريس، يُدرِّس في مادة الجغرافيا لسنوات طويلة، غير أن الكتاب الرئيسي في المادة كان مـــن تـــأليف إسماعيل رأفت. كانت الكتب التي تُدرَّس في مادة التاريخ الطبيعي من عمل أحمد عبد العزيـــز، وهـــو

عضو في هيئة التدريس، وكان يقوم، في الوقت نفسه، بتدريس مادة العقاقير في مدرسة الطب أيضًـــا، عثمان غلاب، وكان لما يزل يدرس الرياضيات في دار العلوم عام ١٩١٣/ ١٩١٤. وكان حمزة فـــتح الله أستاذًا في دار العلوم، وألّف الكتاب الرئيسي في مادتي الإنشاء والأسلوب ويدرس الطلبة في الفيزياء كتابًا ألفه إسماعيل حسنين، الذي أصبح في عام ١٩١١ نائبًا مؤقتًا لناظر دار العلوم. وألف أحمد عبـــد العزيز كتبًا، كما ألف سلطان محمد الذي تخرج في دار العلوم عام ١٨٨٤م الكتاب الـــذي يدرســـه الطلاب في مادة المنطق، وسوف يصبح مؤلفه من بين أوائل أعضـــاء هيئـــة التـــدريس لأول جامعـــة مصرية[٦١]. ومن بين الكتب التي ألفت للتدريس أيضًا كتاب في النحو لطنطاوي جوهري، وآخـــر في التربية لحسن توفيق العدل، وكلاهما تخرَّج في دار العلوم، وظهر الأول منهما أســـتاذًا في جـــدول دار العلوم لعام ١٩٠١، وظهر الثاني للمرة الأولى أيضاً في جدول عام ١٩٠٣. وعلى الرغم مـــن غيـــاب قائمة هذه الكتب الدراسية لهذه المواد في سنوات الدراسة الأخيرة فإن المعلومات التي تقدمها لنا السِّـــير الذاتية للمشهورين من خريجي دار العلوم تشير إلى ما قدَّموه من مؤلفات لـــدار العلـــوم، وإلى جانـــب ذلك تدل قائمة الكتب الخاصة بالفترة من ١٩٠٦ إلى ١٩٢٣ على ثراء ما قدَّموه في هـــذا الجانـــب، خاصة التقليدي منها، المتصل بدراسات اللغة العربية والشريعة الإسلامية، وكـــان إدخـــال نصـــوص جديدة فيها أمرًا بالغ الأهمية، لما لهما من علاقة وثيقة بالتقاليد لقد كانـــت النصـــوص المســـتخدمة في النحو في دار العلوم حتى عام ١٩٠٦، لما تزل نصوصًا لابن مالك، على حين كانت النصوص الخاصـــة بالعروض والقافية من تأليف الدمنهوري[٦٢].

ومع هذا، ورغم استخدام معظم الكتب في اللغة العربية والشـريعة الإسـلامية بـين عـامي ١٨٩٢ و١٩٠٦ دون ذكر مؤلفيها، لا يستطيع المرء أن يجزم بأن كل هذه الكتب المستخدمة تمثل كل ما كان يستخدم تقليديًا من كتب.

ومن جانب آخر، فإن الكتب التي ألَّفها خريجو دار العلوم، وممن كانوا يدرسون هذه المواد قبـل عـام ١٩٢٣ معروفة تمامًا، وذُكِر الكثير منها في الفصل الثاني من هذه الدراسة. وأغلب الظـن أن الكتـب الأعلى قيمة في الدراسات الدينية واللغوية ربما قدمها مؤلفوها لدار العلوم فيما بـين عـامي ١٩٠٦ و ١٩٢٣، مما يشي أيضًا بأن الأساتذة كانوا يميلون إلى استخدام الكتب الدراسية التي يؤلفونها بأنفسهم، وهو أمر متوقع، لأن الكتب الدراسية التي كانت موجودة في مصر قبل إنشـاء دار العلـوم وكليـات إعداد المعلمين الأخرى كانت قليلة للغاية، وبالتأكيد فإن أحد الأسباب الرئيسية في إنشاء دار العلـوم هو تقديم جيل جديد من الكتب المنهجية الجديدة لكل المدارس.

- **الامتحانات والشهادات:**

كما ذكرنا في الفصل الثاني كانت عمليتا الامتحانات النهائية ومنح الشهادات تـديرهما لجـان تُعـيَّن خصيصًا لهذا الأمر، على حين يتولى أساتذة دار العلوم مع ناظر المدرسة امتحانات نصف العام، وكـان محتوى الامتحانات مرتبطًا بكل تأكيد بالمقررات الدراسية التي تلقاها الطلاب في كل فرقة. ومـن ثَـمَّ فإن الفروق بين كل مجموعة وأخرى من القوانين يتمثل في الأهمية النسبية للمواد، ويتجلـى ذلـك في تفاوت مجموع الدرجات المقررة لكل مادة في الامتحان، وفيما يتصل بامتحانات القبول كـان أفضـل جدول امتحان جدَّد عملية الحصول على الدرجة هو جدول لائحة عام ١٩٠٦. لقد كانت الدرجـة

العظمى لامتحان القبول تتغير من سنة إلى أخرى: ففي عام ١٨٩٨ – مثلاً – بلغ المجموع الكلي ٧١٠ درجات، ولكنه هبط في عام ١٩٠١، وفي عام ١٩٠٣ إلى ٥٠٠ درجة. وأصبح في عام ١٩٠٦ ٤٣٠ درجة، وفي عام ١٩١٣ أصبح ٥٥٠ درجة، واشتمل هذا على درجات للسلوك والمواظبة(٦٣).

وجاء تغيير الدرجات فيما يبدو، من إضافة أو إلغاء مادة أو أكثر في المنهج لا عن محاولة متعمدة لتغيير مجموع درجات الامتحان نفسه، باستثناء عام ١٩١٣، حيث أصبح السلوك مكونًا رئيسيًا في تحديد الدرجة النهائية.

وكانت لوائح عام ١٨٨٧ هي الأولى التي تضمنت قواعد محددة للامتحانات النهائية ومنح الشهادات(٦٤). وأُبلغ الطلاب بأن عليهم أيضًا أن يستعدوا لامتحان تحريري، وآخر شفوي بإشراف هيئة امتحان من أساتذة دار العلوم، باستثناء طلاب السنة النهائية، فقد كانت نظارة المعارف هي التي تعين لهم الأساتذة الممتحنين، وأغلب الظن أن الدرجة العظمى للمادة كانت عشرين درجة على أساس امتحان القبول، وأن درجة النجاح الصغرى كانت ثنتي عشرة درجة، كما حددها لوائح ١٨٨٧، ويعطي الممتحنون المختلفون درجات يحدد متوسطها بدوره درجة الطالب النهائية، وانتقاله للسنة التالية. ويعدّ ناجحًا كل من يحصل في المتوسط على ثنتي عشرة درجة في كل المواد، على ألا يقل ما يحصل عليه في كل مادة من المواد الأساسية، وهي: اللغة العربية والرياضيات عن ثنتي عشرة درجة. ويحتمل أن هذا كان يطبق على طلاب السنة النهائية أيضًا، إذ لم يرد لهم ذكر خاص بهم إلا في المادة ٣١ التي تنص على أن طلاب السنة النهائية، ممن لا يقل متوسط درجاتهم عن خمس عشرة درجة

مؤهلون لوظائف تحت الاختبار في مدارس الوزارة، إذا سمحت الميزانية بهذا، ويعتبرون في فترة التدريب هذه تحت إشراف الوزارة، ولمدة غير محددة.

وفي عهد أمين سامي باشا، في تسعينيات القرن التاسع عشر، عندما خضعت اللوائح لمراجعات مستمرة، تعرضت لوائح الامتحانات لتغييرات أقل نسبيًا على النحو التالي:

- بين عامي ١٨٩٥ و١٨٩٦ عكست درجات الشفوي والتحريري في اللغة الأجنبية، فأصبح الحد الأعلى للشفوي عشرين درجة، والتحريري عشر درجات، وكانت من قبل عشرين للتحريري وعشرًا للشفوي. وهذه الدرجات، ويضاف إليها درجات الرسم والتربية البدنية، تمَّ استبعادها من قائمة الامتحان النهائي، إلا إذا قررت الوزارة غير ذلك.

- في عام ١٨٩٧ أصبحت مادة رسم الخرائط مستقلة، مما جعل مجموع الدرجات المخصصة للجغرافيا ستين بدلاً من ثلاثين درجة التي كانت مخصصة لها في ١٨٩٥/ ١٨٩٦ إلا أنه في عام ١٨٩٨/ ١٨٩٩ أُعيد دمج الجغرافيا ورسم الخرائط في مادة واحدة مرة أخرى، وخُصِّص لها ٤٥ درجة، منها ثلاثون للامتحان التحريري وخمس عشرة درجة للامتحان الشفوي.

- في عام ١٨٩٨ تقرر فصل دروس "الأشياء" عن مادة "العلوم"، واعتبارها مادة مستقلة، وتقرر لها عشون درجة للامتحان التحريري، وعشر درجات للامتحان الشفوي، وبقى الحال على هذا في عام ١٨٩٩.

- كما انفصلت الكيمياء عن العلوم أيضًا في عام ١٨٩٨، وتقرر لها عشرون درجة للامتحان التحريري وعشر للعملي، وأدى هذا إلى ارتفاع إجمالي الدرجات المقررة لمجموع المواد العلمية من عشرين درجة في عام ١٨٩٧ إلى ثمانين درجة في عامي ١٨٩٨ و ١٨٩٩، وكان الحد الأعلى لمجموع الدرجات يزيد عن ذلك بأربعين درجة فحسب.

خلال هذه الفترة حصدت مواد اللغة العربية ما يقرب من ثلث درجات الحد الأعلى للامتحان. وثمة مظهر آخر من مظاهر الاهتمام باللغة العربية، يتجلى عام ١٨٨٥، في المادة السابعة عشرة من اللائحة، وهي التي تحدد المواد التي يلزم للنجاح فيها الحصول على خمسين في المئة على الأقل من مجموع درجاتها، وتذكر من بين هذه المواد: النحو والصرف والإملاء والإنشاء وعلوم البلاغة، والعروض والقافية، وكلها من مفردات اللغة العربية، وأصول التربية والرياضيات والجغرافيا، والخط. أما متوسط درجات المواد الأخرى، فكان أيضًا خمسين في المئة، ولكن دون اشتراط أي حد أدنى لها. وعندما أضيفت مادة التاريخ إلى القائمة المطلوبة عام ١٨٩٦ تم تحديد ثلث الدرجة النهائية حدًا أدنى له وللمواد الأخرى. وفي عام ١٨٩٧ استبعدت مادة العروض والقافية من بين قائمة المواد التي تحددت درجتها الصغرى بخمسين في المئة، على حين أضافت لوائح ١٨٩٨ – ١٨٩٩ مادة "الأشياء" لتصبح إحدى المواد التي تقرر لها حد أدنى. وفي عام ١٩٠١ و ١٩٠٣ حذف التاريخ من القائمة المطلوبة، كما حذفت الفقرة التي كانت تشترط الحصول على ثلث المجموع حدًا أدنى للنجاح في كل مادة من المواد الأخرى[٦٥]. ولم يطرأ أي تغيير آخر على هذه الفئات حتى عام ١٩١٣ عندما تغيرت نسبيًا أهمية عدد من المواد فعلاً، وأصبح على الطلاب أن يحصلوا على درجات تبلغ ٦٠% على الأقل من المجموع النهائي لمواد اللغة العربية، والحصول على ٣٠% على الأقل في كل فرع من فروعها. وفي مادة الخط

العربي وأصول التربية العلمية اشترطت اللائحة الحصول على ٥٠% حدًا أدنى للنجاح. أمـــا في بقيـــة المواد الأخرى فقد سُمح بأن يكون الحد الأدنى ٢٠%، على أن يحصل الطالب على ٥٠% من مجموع الدرجات في الامتحان الكلي.

بعد تسعينيات القرن التاسع عشر انخفض المجموع النسبي للمـــواد المختلفـــة في الامتحانـــات النهائيـــة فانخفض في مواد اللغة العربية، باستثناء الخط العربي، من ثلث إجمالي الـــدرجات في ١٨٩٨ – ١٨٩٩ إلى أقل من خمس المجموع الكلي في أعوام ١٩٠١ – ١٩٠٣، ثم زاد بصورة طفيفة عن الخمس في عام ١٩٠٦، وعلى الرغم من أن امتحان ١٩١٣ تطلب متوسطًا أعلى في تلك المواد فقد وصلت مجاميعهـــا الكبرى إلى أقل من خمس مجموع الدرجات. بسبب رصد مئة درجة للمواظبة والسلوك، وكان النقـــل إلى السنة التالية يتطلب الحصول على ٥٠% من مجموع الدرجات. وإذا وازنا بين معـــايير تســـعينيات القرن التاسع عشر نجد أن المعايير النسبية التي تتصل بالمواد العلمية قد انخفضت، على حين ارتفعـــت في الرياضيات أعوام: ١٩٠١ و ١٩٠٣ و ١٩٠٦، لكنها انخفضت قليلاً فيما بعد، ولو أنها نسبيًا ظلـــت أعلى مما كانت عليه في تسعينيات القرن التاسع عشر. ثم حدث تطور آخر بعد بداية القرن العشـــرين، وهو إنشاء علامات خاصة توضع على الشهادة، ويمكن الحصول عليها بعـــد النجـــاح في امتحانـــات إضافية في الرسم والتربية البدنية. ولكن لوائح عام ١٩١٣ ألغت هذا الأمر الخـــاص، وأعيـــد إدراج المادتين السابقتين في الامتحان المعتاد.

أما عن الشهادة التي يحصل عليها خريج دار العلوم، فرغم أن لـــوائح ١٩٠١ لم تحـــدد لهـــا مستوى معينًا من الدرجات، يستطيع المتخرج أن يمارس على أساسه مهنـــة التـــدريس، إلا أن هـــذه

الشهادة، وحملت اسم: "شهادة التدريس الابتدائية" ظلت تمنح فحسب، حتى سنة ١٩١٣، لمن يكمل بعد الحصول عليها مدة عامين في التدريس تحت التمرين، وقبل إيجاد هذه الشهادة عام ١٨٨٧ كان الطلبة يعتبرون حاصلين على الدبلوم فور استكمال المقرر الدراسي واجتياز الامتحانات.

وعند الحديث عن الشهادات علينا ألا نغفل شهادة أخرى خاصة استُحدِثت عام ١٨٩١ عندما فتحت دار العلوم لفترة قصيرة قسمًا خاصًا بإعداد معلمي الكتاتيب[٦٦]. وقد استمر هذا النظام عامين، كان الطلاب يحصلون خلالهما على مكافأة قدرها جنيه مصري تقريبًا، مثل ما كان يحصل عليه طلاب دار العلوم الآخرون. وقد تخرج في هذا القسم بين عامي ١٨٩١ و ١٨٩٥ ثلاثة وثلاثون طالبًا يحملون شهادة تدريس في الكتَّاب. ومع أن هذا القسم لم يصمد طويلاً على نحو ما صمد القسم القانوني الذي ابتكره علي مبارك أيضًا، إلا أنه وضع الأساس لمدارس "إعداد معلم المدارس الإلزامية"، وأنشئت بعد بداية القرن العشرين، وهي مدارس قام فيها خرِّيجو دار العلوم بدور جليّ جدًا.

وثمة تعليق آخر يجب أن نضيفه عن امتحان الشهادات في دار العلوم، وهو: ليس من الضروري أن يدخل الامتحان طالب دار العلوم فحسب، وإنما وفقًا للمادة التاسعة عشر من لوائح ١٨٩٥ – ١٨٩٧، يستطيع أي شخص في هذه الفترة أن يجتاز امتحان القبول، وعمل مدة أربع سنوات على الأقل في إحدى المدارس التي تشرف عليهما الوزارة أن يتقدم للامتحان، شريطة أن يتم هذا قبل الموعد المحدد للامتحان في الجدول بخمسة عشر يومًا. ولكن لا توجد معلومات عن عدد خريجي دار العلوم الذين استفادوا من هذه الرخصة للحصول على شهادة بها، والعمل بالتدريس. ومن

المفترض أن يتم هؤلاء العامين المخصصين للمعلمين تحت التدريب قبل أن يحصلوا على شهادتهم بالفعل.

- **قضايا حول إعداد المعلم (ملحق):**

حين نأخذ بعين الاعتبار الطريق إلى إعداد المعلم الذي يعتمد على أصول التربية في دار العلوم، من المهم أن نتذكر أنه في الفترة ما بين ١٨٧٥ و ١٩٢٣، لم يكن قد اعتُرف عالميًا بعد بضرورة إعداد المعلم، ولا حتى في أوربا[٦٧]، ومن ثَمَّ لم يكن قرار إلغاء حصص مادة أصول التربية في دار العلوم قبل عام ١٨٨٧ مفاجأة لأولئك الذين يرون أن المعلم يولد ولا يُصنع، وإضافة إلى ذلك فإن التغييرات المستمرة في المناهج الدراسية تشير إلى ما أصبح مأزقًا متكررًا فيما يتصل بموضوع التدريس وإعداد المعلم في مصر.

ثمة كتابان تناولا هذه القضايا في ثلاثينيات القرن العشرين هما:

* كتاب جاكسون: نظرة مستقبلية إلى التعليم في مصر.

- Locking Ahead in Egyptian Education.

* وكتاب أمير بقطر، المدرسة والمجتمع في وادي النيل.

- School and society in the valley of the Nile.

وصدر في القاهرة عام ١٩٣٦.

ويقدم لنا الكتابان نظرات في تطورات ما بعد عام ١٩٢٣ في مجال إعداد المعلـــم واســـتمرارية الأسئلة القديمة. وفي ثلاثينيات القرن العشرين اكتفت دار العلوم بأن تمنح شهادة معلمي اللغة العربيـــة فحسب، وأما المعلمون الآخرون فكان يتم إعدادهم في معاهد أخرى متفرقـــة. ويقـــال إن طلبـــة دار العلوم يختلفون عن طلبة المدارس الأخرى مع أن طلبة دار العلوم نجحـــوا في الاســـتغناء عـــن الـــزى التقليدي، وارتدوا الحلة الأوربية، ويقال إن هذه المميزات تشمل الشكل العام ومـــا وراءه، والســـمات الشخصية[٨٦]. ويرى أمير بقطر بخاصة أنه لا يوجد سبب للفصل بين منظور إعداد معلم اللغة العربيـــة وبين إعداد المعلمين الآخرين، وأن التفاوت بين الاثنين بدأ ينمو بوضوح[٦٩].

عندما نقيم إجمالاً إعداد المعلم نلحظ أن مهنة التدريس لا تجتذب بعامة أذكى الطـــلاب، وأن هؤلاء الطلاب الذين يختارون طريق إعداد المعلم قد ينتهي بهم هـــذا إلى الوقـــوع في أســـفل قائمـــة اختيارات المجتمع، والأرجح أنهم يأتون من أفقر الطبقات اقتصاديًا[٧٠].

وحدث ذات مرة أن الطلاب في كليات الإعداد لم يتلقوا الإعداد الكـــافي في علـــم الـــنفس التربوي[٧١]. ولم تكن المقررات تتكامل فيما بينها بصورة كافية، واتُّهم التدريب العملي على التـــدريس بأنه يتم بشكل سطحي[٧٢]، إذ كان على الطلاب أن يتعاملوا مع عدد كبير من الكتب المؤلفة باللغتين الإنجليزية والفرنسية، وهما لغتان غير مفهومتين لهم بسهولة[٧٣]. أضف إلى ذلك كلـــه أن المعلمـــين في تلك المدارس غير مدفوعي الأجر، ومن ثَمَّ أدت قلَّة الإغراءات إلى عدم جودة التـــدريس[٧٤]. ومعظـــم

الانتقادات وُجهت إلى طريقة إعداد المعلمين، لأن من درَّسوا في تلك المدارس لم يضعوا الطفل في بؤرة اهتمامهم، وتعاملوا مع الأطفال كأنهم نماذج من الجبس(٧٥).

تشي لنا الصورة التي أوضحناها عاليًا، بأن ثمة اهمامًا يوجه إلى المدارس الابتدائية والثانوية والجامعات في مصر، بقدر ما يوجه من اهمام إلى معاهد إعداد المعلم أيضًا. ومع ذلك من المهم أن نلفت النظر إلى أن الاهتمام بإعداد المعلم حَظِيَ بحلول الثلاثينيات من القرن العشرين بقدر كاف من الاهتمام، وأصبح الحديث عنه ونقده مادة متداولة.

وفي الفترة ما بين ١٨٧٢ و ١٩٢٣ لم ينجح إعداد المعلم في أن يصبح مهنة تستحق العناية بها بطريقة كافية، ويمثل لنا الدكتور أمير بقطر، وحصل على الدكتوراه من جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة، الاهتمام الآخذ في النماء بأهمية التعليم في مصر، والحاجة إلى إصلاح تعليمي متطور(٧٦). وبدون الجهود الرائدة لدار العلوم، والمعاهد التي قامت بعدها، ما كان محتملاً أن يصل إعداد المعلم أكاديميًا ومهنيًا لهذه الدرجة من مراحل الاعتراف به مظهرًا أساسيًا وحيويًا للتعليم في مصر.

الهوامش:

(١) التعليم في مصر في سنتي ١٩٠٤ و ١٩٠٥، ملحق ٣، ص ٤٥ هوامش.

(٢) المصادر الرئيسية لمنهج ١٨٧٤ – ١٨٧٥ هي: تقويم دار العلـــوم ص ١٩ – ٢٠ – التعليم في مصر سنتي ١٩١٤ و ١٩١٥، ملحق ٣، ص٤٥ – تاريخ التعليم في مصـــر جـــ٢ ص٥٩ – طيباوي، التربية الإسلامية ص٥٨، لندن ١٩٧٢.

Tibawi, A.L.: Islamic Education, London 1972, P.58

صادق جوهر: دار العلوم، حديث له في مجلة المقتطف، فبراير ١٩٣٧، ص ١٥٣.

(٣) توجد هذه الجداول في تقويم دار العلوم ص ١٩ – ٥١ – والتعليم في مصر في ســـنتي ١٩١٤ و١٩١٥، ملحق ٣، ص ٤٥ – ٤٨. واستخدمت أيضًا وثائق نظارة المعارف العمومية التالية، إلى جانب لوائح دار العلوم، ولوائح أخـــرى ذكرتهـــا في هـــوامش سلفت:

نظارة المعارف العمومية، مدرسة دار العلوم، مواد العلوم المقرر تدريسها بالمدرسة، بقـــرار نظارة المعارف العمومية رقم ١٧٠، في ٢٢ سبتمبر ١٨٩٠ (بولاق ١٨٩٠) – نظارة المعارف العمومية قرار رقم ١٨٧، في ١٥ فبراير ١٨٩١ – ونظارة المعارف العمومية، بروجرام قسم المعلمين العربي، قرار رقم ٤٦٣، في ٢٨ أغسطس ١٨٩٥ – ونظـــارة المعارف العمومية: بروجرام قسم المعلمين العربي (بولاق ١٨٩٦)، ونظارة المعـــارف

العمومية، مدرسة الناصرية العامة Normal، اللغة الإنجليزية، القـــاهرة ١٨٩٧ — ونظارة المعارف العمومية، بروجرام قسم المعلمين العربي، ســبتمبر ١٨٩٧ (بـــولاق ١٨٩٧) — ونظارة المعارف العمومية قسم المعلمين العربي، بروجرام السنة التحضيرية (بولاق ١٨٩٧) — ونظارة المعارف العمومية، المدرسة العربية العامة، بروجرام اللغة الفرنسية، القاهرة ١٨٩٧ — نظارة المعارف العمومية مدرسة الناصرية العامة: بروجرام السنة التحضيرية: اللغة الفرنسية، القاهرة ١٨٩٧ —ونظـــارة المعـــارف العموميـــة، بروجرام قسم المعلمين العربي، ٣٠ أغسطس ١٨٩٨ (بولاق ١٨٩٨) —وبروجـــرام السنة التحضيرية في التاريخ نفسه وذات جهة النشر — ونظارة المعـــارف العموميـــة بروجرام قسم المعلمين العربي، ١٣ سبتمبر ١٨٩٩ (بولاق ١٨٩٩). ولمزيـــد مـــن البرامج التي استشهدت بها: انظر فيما سبق هامش رقم ١ في الفصل الثاني.

(٤) انظر جدول رقم ٥ ص٩، ١٠، ١١ ويتضمن تقسيم المواد المدرسية في دار العلوم قبل عام ١٩٢٣م.

(٥) هيوارث دن ص ٣٨٠.

(٦) تاريخ التعليم في مصر من نهاية حكم محمد علي إلى حكم توفيق، الملحق ٣، ص ٤٥ و ٤٨. ونظارة المعارف العمومية القرار الوزاري رقم ٢٢١٤ في أكتوبر ١٩٢٠.

(٧) في عام ١٨٩٥ أطلق على هذه الفئة "أساليب تدريس الأطفال".

(٨) تتضمن قوانين أكتوبر ١٩٢٠ مواد: الفقه، والأصول، والحديث، والتوحيد.

(٩) تتضمن قوانين أكتوبر ١٩٢٠ مادة الجغرافيا.

(١٠)قوانين أكتوبر ١٩٢٠ تتضمن كل مواد الرياضيات.

(١١)وتتضمن هذه القوانين أيضًا مادة الرسم.

(١٢) كما تتضمن أيضًا هذه القوانين مواد: المنطق، والأخلاق، والصحة (الأشياء).

(١٣) كتري ص٥٤٦.

(١٤)تقويم دار العلوم، ص٢٠.

(١٥)يضع التعليم في مصر في سنتي ١٩١٤ و ١٩١٥، ص٤٥ (هوامش) عددًا من الساعات في الجدول تحت عنوان: "مذاكرة"، وهي ساعات تستغل في مذاكرة اللغات: الإنجليزية والفرنسية والتركية، وغيرها.

(١٦)بروجرام اللغة الإنجليزية بدار العلوم عام ١٨٩٥، ص٨.

(١٧)بروجرام اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية للسنة التحضيرية ١٨٩٥ و ١٨٩٧ — وبروجرام ١٨٩٩ ص ٣٨ — ٤٦ — وبروجرام ١٩٠١ ص ٣٩ — ٤٥ — وبروجرام ١٩٠٣ ص ٣٤ — ٤٠.

عند دراسة اللغات الأجنبية كان الطلبة يلتحقون بفصول خاصة بالخط اليدوي، بالإضافة إلى الساعات المخصصة لدراسة اللغة.

(١٨) لم تلغ دراسة اللغات الأجنبية بصورة رسمية حتى عام ١٩٠٦، وفقًا لما جاء في كتاب تاريخ التعليم في سنتي ١٩١٤ و ١٩١٥، ملحق ٣، ص ٤٧، ولكن تقويم دار العلوم ص٤٠ يذكر أن إلغاء هذه الدراسة تم عام ١٩٠٤، لإتاحة الفرصة أمام دراسة الإنشاء واللغة العربية، ولكنها ظلت اختيارية أيضًا في بروجرام دار العلوم، قوانين دار العلوم ١٩٠٣.

(١٩)تقويم دار العلوم ص٤٦، والتعليم في مصر سنتي ١٩١٤ و ١٩١٥، ملحق ٣، ص ٤٨. ويبدو أن دار العلوم توقفت عن تدريس اللغة الفرنسية من عام ١٩٠١ إلى ١٩٠٤ وفقًا لما ورد في بروجرام دار العلوم، وقوانين دار العلوم لعام ١٩٠١ و ١٩٠٣.

(٢٠)نظارة المعارف العمومية، قرار وزاري رقم ٢٢١٤، ١٤ أكتوبر ١٩٢٠.

ويذكر تقويم دار العلوم في ص ٤٨ أن دراسة اللغة الأجنبية اختيارية، ولكنه لا يذكر أن تلك الدراسة كانت ميزة خاصة قاصرة على الطلاب الممتازين.

(٢١)سوف أتناول هذه القضية في الفصل السادس، لأن لها علاقة بالبريطانيين، وفي الفصل الثامن بوصفها موضوعًا ثقافيًا. ولتوثيق هذا الموضوع توجد وثائق مسهبة في مصادر رسمية بريطانية ومصرية.

(٢٢)يذكر بروس تايبوت مككالي Bruce Tiebout Mccully في كتابه عـــن: "التربية الإنجليزيـــة وأصـــول القوميـــة الهنديـــة" (نيويـــورك ١٩٤٠) English Education and the Origins of Indian Nationalism, (New York, 1940): ص ١٧٦. "أن كلمة "متعلم" تعني في الهند الأشخاص الـــذين نشأوا في مدارس ومعاهد تدرس المعرفة وتمنحها من خلال وســـط يتحـــدث اللغـــة الإنجليزية"، ومن ثم فهو يستبعد هؤلاء الذين تربوا في اللغات والآداب والفلســـفات الهندية.

(٢٣) كتري، ص ١٦٤ و ٣١٥ و ٥٢٤. NOTE : ملاحظة على تقدم التعليم العـــام وأحواله في مصر من عام ١٨٩١ إلى ١٩١٣. ص ١٠ – ١١.

(٢٤)ملاحظة على تقدم التعليم ١٩٠٦، ص ٩ – ٢٨ عن "الأساس اللغوي للتدريس في المدارس الحكومية"، وجاء أساسًا ردًا على هذا الاتهام.

(٢٥)المرجع نفسه ص ١٨، وفي ملحق ٢ شرح أوفى لتفوق خريجي دار العلوم في تفتـــيش اللغة العربية.

(٢٦)انظر NOTE (ملاحظة على تقدم التعليم ١٩٠٦)، ص ٢١.

(٢٧)قوانين دار العلوم ١٩٠٦، ص ١٠، وقوانين دار العلوم ١٩١٣ ص ٢، وتقـويم دار العلوم، ص ٤٤ و ٤٦، والتعليم في مصر في سنتي ١٩١٤ و ١٩١٥، ملحق ٣، ص ٤٧ – ٤٨.

(٢٨)المصدر نفسه، والتعليم في مصر في سنتي ١٩١٤ و ١٩١٥، ملحـق ٣، ص ٤٥ – ٤٦. وقوانين دار العلوم ١٨٨٧ – ١٩٠٣، وتقويم دار العلـوم ص ٢١، ٣١، ٣٣، ٣٤، ٣٩، ٤٠. وقد ظهر انخفاض (ساعة واحدة إجمالاً) في عامي ١٨٩١ و ١٨٩٧ فقط.

(٢٩)نظارة المعارف العمومية، قرار وزاري رقم ٢٢١٤ في ١٤ أكتوبر ١٩٢٠ ص ١.

(٣٠)بروجرام دار العلوم ١٩٠٣، ص ٤١ – ٤٤. وبروجرام دار العلوم ١٨٩٧ ص ١٨ – ٢٠. وبروجرام دار العلوم ١٩٠٦ ص ٣٧ و٣٨. وبروجرام دار العلـوم ١٨٩٠ ص ٢٥ (وإذا قورن هذا بشروط المناهج اللاحقة بدا هزيلاً للغاية) وكلها تقدم أمثلة للمواد التي تم تدريسها في ضوء علم أصول التربية النظري.

(٣١)بروجرام دار العلوم ١٩٠٣، ص ٤٤ – ٤٦. وبروجرام دار العلوم ١٨٩٧، ص ٢٠ – ٢٣. بروجرام دار العلوم ١٩٠٦، ص ٣٨ حيث توجد التفسيرات.

(٣٢)بروجرام دار العلوم ١٩٠٦، ص ٥٨. وبروجـرام دار العلـوم ١٩٠٣، ص ٧٧، وبروجرام دار العلوم ١٩٠١، ص ٧٨، وبروجرام دار العلوم ١٨٩٩، ص ٥٠. وقد

تناولنا حسن توفيق العدل، خريج دار العلوم، ١٨٨٧ تفصيلاً، فيما سبق (الفصل الثالث).

(٣٣)قوانين دار العلوم ١٨٨٧ – ١٩٢٠، وتاريخ التعليم في مصر سنتي ١٩١٤ – ١٩١٥، ملحق ٣، ص ٤٥ – ٨٠، وتقويم دار العلوم ص ١٩، ٢٢، ٢٥، ٢٦، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٩، ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٤٨.

(٣٤)تقويم دار العلوم، ص ٢٢ – ٤٦.

(٣٥)مقتبسة من تقويم دار العلوم، ص ٢٧.

(٣٦)تقويم دار العلوم، ص ٢٧. وبين هؤلاء الخريجين في دار العلوم من تخرَّج في السنوات السابقة، لأن ثلاثة وستين فقط تخرجوا أبناء تلك الفترة، وفقًا للمصدر نفسه، انظر ص ٨٨٥ – ٨٨٦.

(٣٧)تقرير مرفوع إلى صاحب السعادة أحمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية، من أحمد زكي سكرتير أول مجلس النظار، ورئيس الامتحان النهائي لمدرسة المعلمين الناصرية في السنة المكتبية ١٩١٠/ ١٩١١، ص ١٨ – ١٩.

(٣٨)المصدر نفسه، ص ٢٠.

(٣٩)المصدر نفسه، ص ٢٠، ٢١.

(٤٠)بروجرام دار العوم ١٨٩٠، ص ٧ — ٢٨، وبروجرام دار العلوم ١٩٠٦، ص ٣٢ — ٣٤، وتقرير مرفوع إلى صاحب السعادة أحمد حشمت باشا، ص ١٩.

(٤١)قوانين دار العلوم ١٨٨٧ — ١٩٢٠، والتعليم في مصر في سنتي ١٩١٤ و ١٩١٥، ملحق ٣، ص ٤٥ و ٤٦، وتقويم دار العلوم ص ١٩ — ٢٠، ٢٥، ٣١.

(٤٢)تقرير مرفوع إلى صاحب السعادة أحمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية، من أحمد زكي سكرتير أول مجلس النظار، ورئيس الامتحان النهائي لمدرسة المعلمين الناصرية في السنة المكتبية ١٩١٠/ ١٩١١، ص ٢٩ — ٣٤، وهو يقدم الأسس التي قامت عليها مناقشة وضع تعليم الرياضيات في دار العلوم، في ١٩١٠ — ١٩١١.

(٤٣)المصدر نفسه، ص ٢٧ — ٢٨، والتعليم في مصر سنتي ١٩١٤ و ١٩١٥، ملحق ٣ ص ٤٨، وقوانين دار العلوم ١٩١٣ ص ٢ تدرج العلوم فئةً واحدة. وتقويم دار العلوم ص ٤٥.

(٤٤)بروجرام درا العلوم ١٩٠٣، ص ٦٩ — ٧٠.

(٤٥)نظارة المعارف العمومية، قرار وزاري رقم ٢٢١٤ في ٧ أكتوبر ١٩٢٠ ص ١.

(٤٦)قوانين دار العلوم ١٨٨٧ — ١٩٢٠، والتعليم في مصر سنتي ١٩١٤ و ١٩١٥، ملحق ٣، ص ٤٥ — ٤٨، وتقويم دار العلوم، ص ١٩، ٢١، ٢٥، ٣١، ٣٣، ٣٤، ٣٩، ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٤٨.

(٤٧)بروجرام دار العلوم ١٩٠٣، ص ٥٨ -٦١، وبروجرام دار العلوم ١٩٠٦، ص ٤٨ — ٥٠، وبروجرام دار العلوم ١٨٩٠، ص ٣٥ و ٣٦.

(٤٨)بروجرام دار العلوم ١٩٠٣، ص ٦١ — ٦٢، وبروجرام دار العلـــوم ١٨٩٠، ص ٣٧.

(٤٩)تقرير مرفوع إلى صاحب السعادة أحمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية، مـــن أحمد زكي سكرتير أول مجلس النظار، ورئيس الامتحان النهائي لمدرســـة المعلمـــين الناصرية في السنة المكتبية ١٩١٠/ ١٩١١، ص ٢٦.

(٥٠)المصدر نفسه ص ٢٦ — ٢٧.

(٥١)نظارة المعارف العمومية، القرار الوزاري رقم ٢٢١٤ في ٧ أكتوبر ١٩٢٠ ص ١.

(٥٢)تقرير مرفوع إلى صاحب السعادة أحمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية، مـــن أحمد زكي سكرتير أول مجلس النظار، ورئيس الامتحان النهائي لمدرســـة المعلمـــين الناصرية في السنة المكتبية ١٩١٠/ ١٩١١، ص ٢٦. في لقاءاتي مع خريجي دار العلوم طرحت عليهم السؤال الأتي: أي المواد كنتم تفضلون؟ وما هي المواد التي تعلمتم منها الكثير على نحو أخص؟ فكانوا عادة يذكرون هذه المادة.

(٥٣)تم التعريف بها فيما سبق. انظر: بروجرام دار العلوم ١٨٩٠ — ١٩٠٦.

(٥٤)بروجرام دار العلوم ١٨٩٠ — ١٩٠٦.

(٥٥)بروجرام دار العلوم ١٨٨٩، ص ٥٠ – ٥٤، وبروجرام دار العلوم ١٩٠١، ص ٧٦ – ٧٨، وبروجرام دار العلوم ١٩٠٣، ص ٧٩ – ٨٠. وفي سنتي ١٩٠١ و ١٩٠٣، أُدرج كتاب عن "الأدب" بين الكتب للتدريب على التدريس فحسب.

(٥٦)تقرير مرفوع إلى صاحب السعادة أحمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية، من أحمد زكي سكرتير أول مجلس النظار، ورئيس الامتحان النهائي لمدرسة المعلمين الناصرية في السنة المكتبية ١٩١٠/ ١٩١١، ، ص ١٦ – ١٧. ولا تتضمن قائمة ١٩٠٦ كتاب حسن توفيق العدل، مع أن إدراجه كان ضروريًا.

(٥٧) المصدر نفسه، ص١٣ -١٥ (والفقرة المقتبسة من ص ١٥).

(٥٨) المصدر نفسه ص ١٥-١٦ .

(٥٩) تقويم دار العلوم ، ص٣٢.

(٦٠) الزركلي ٧/ ٤٥ – ٤٦، وأورد أيضًا مؤلفاته الأخرى.

(٦١) النص موجود في بروجرام دار العلوم ١٩٠٦، ص ٥٨.

(٦٢) توفى أحمد عبد المنعم الدمنهوري شيخ الأزهر في ١٧٧٨م، هيوارث دن ص ٥٩.

(٦٣) قوانين دار العلوم ١٨٩٨، مادة ١٦، ص ٨. قوانين دار العلوم ١٩٠١، مادة ١٨ ص ١٥. وقوانين دار العلوم ١٩٠٣، مادة ١٩، ص ١٢. وقوانين دار العلوم ١٩٠٦، مادة ١٩، ص ١٣. وقوانين دار العلوم ١٩١٣، مادة ١٢، ص ٤. ومع هذا فإن هذه

المجاميع الكلية لا تتضمن أربعين درجة مخصصة للرسم في عام ١٩٠١ و ١٩٠٣ و ١٩٠٦. والتي عقدت لها امتحانات خاصة. ولا تتضمن أيضًا أربعين درجة لامتحان خاص آخر في التربية البدنية. ثم جاءت قوانين ١٩١٣ فوحَّدت هذه المواد في الامتحان النهائي المعتاد.

(٦٤) توجد هذه الشروط في المواد من ٢٦ إلى ٣١، ص ١٠ – ١١، في النسخة الفرنسية.

(٦٥) تظهر هذه الشروط في المادة ١٨، في قانون ١٩٠١، وفي المادة ١٩ في قانون ١٩٠٣.

(٦٦) تقويم دار العلوم ص ٢٧، ونظارة المعارف العمومية، القرار رقم ٨٧، في ١٥ فبراير ١٨٩١، ويشمل على إحدى عشرة مادة تنظم القسم الثاني لدار العلوم (مخطوطات).

(٦٧) يذكر ستانلي هـ. جاكسون Stanley H. Jackson في كتابه: نظرة مستقبلية في التعليم المصري: دراسة في الاتجاهات الحالية مع بعض الاقتراحات (القاهرة ١٩٣٧).

looking Ahead' in Egyptian Education: A Study in Present tendencies with some suggestion (Cairo 1937).

قبول القرن العشرين لمثل هذا الإعداد في فرنسا.

(٦٨) أمير بقطر ص ١٨٢.

(٦٩) المصدر نفسه، ص ١٨١ – ١٨٢.

(٧٠) المصدر نفسه، ص ١٨٢ – ١٨٣. ويبدو انه لم يدر بخلد أمير بقطر أن الدرجات المنخفضة لأصحاب المستوى الاقتصادي الهابط، قد يكون مصدرها الفقر، كما قد تنشأ أيضًا، بالقدر نفسه، عن غيبة الذكاء.

(٧١) المصدر نفسه، ص ١٨٣ – ١٨٤. وجاكسون، ص ٥٠ – ٥١.

(٧٢) أمير بقطر ص ١٨١.

(٧٣) تظهر ص ٥٤ – ٥٥ عند جاكسون فهمًا مؤيدًا لمشكلة طلبة الابتدائي هذه، وانظر أيضًا: أمير بقطر ص ١٨٨ – ١٨٩.

(٧٤) جاكسون ص ٦٠.

(٧٥) المصدر نفسه، ص ٤٩ – ٥٠.

(٧٦) يمثل هذا العمل مدى تأثير جون ديوي John Dewey، وإدوارد ثورنديك Edward Thurndyke، وآخرين، فهو يقتبس منهم كثيرًا، كما يقارن بين التعليم في المدارس المصرية والتدريبات الأميركية في المعاهد التربوية التعليمية في الولايات المتحدة الأمريكية.





• فاتحة العدد:

الثقافة واللغة والتعليم في مصر الحديثة (١٨٧٢-١٩٢٣) ودور دار العلوم في تحديثها

للدكتورة لويز آرمين أروين – جامعة متشيجين

تعريب وتقديم وتعليق : د. الطاهر أحمد مكي (•)

الفصل السادس

السياسة وسياسة التعليم

• دار العلوم والاحتلال البريطاني:

" لم يكن متوقعا أن تنجح إدارة وادي النيل من لندن، وأي محاولة من جانبنا للمشاركة في هذا المشروع تجعلنا في الحال هدفا للكراهية والشك من جانب سكانه، وسوف تصبح القاهرة بؤرة للدسائس والتآمر الأجنبي ضدنا، وسنجد أنفسنا مرغمين علي التخلي عن طموحاتنا في ظروف مخزية، أو علينا أن نخوض جاهدين تجربة اكتساب البلد تماما، بأن نرضى لأنفسنا بدور أكثر اعتدالا، ونجعل المصريين يفهمون بأننا لا نحاول أن نفرض عليهم حكما استبداديا غير مباشر، وإنما نحن راغبون، وبكل إخلاص في تمكينهم من حكم بلادهم، بأنفسهم، تحت درع صداقة أكيدة، ولن يصعب عليهم فهم ذلك. أما العالم الأوروبي الأشد اهتماما بأمنه ورخائه، فنحن أبعد ما نكون عن السماح للتأثير الذي وضعته مجريات الأحداث علي عاتقنا، وعلينا أن نمارسه، بأن ننحدر به إلي سلطة مثيرة للسخط والغضب، وهو أمر قاتل للمواهب الوطنية، وللحرية التي نفخر بتشجيعنا لها في كل بلد نضع قدمنا فيه".

لورد دوفرين Lord Dufferin

٦ فبراير ١٨٨٣ [1]

• أستاذ الأدب بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة، عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة، وعضو المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب والإعلام .

***

"خطأ كبير أن نعتقد أننا انتزعنا من الحكومة المصرية إدارات البلد الهامة كاملة، لم نفعل شيئا مـــن هذا "

وليم إيوارت جلادستون William Ewart Gladiston

١٣ فبراير ١٨٨٤ [٢]

***

" إنهم يطالبون بحكم ذاتي كامل لمصر، على أن يترك لحكومة جلالتـــه (يقصـــد ملـــك إنجلتـــرا) الإشراف على الدين العام، وضمان سير السفن في قناة السويس فحسب، ترى أكانت هذه مطالب منطقيـــة، قام بها رجال مسئولون من الشعب، إذا أخذنا في الاعتبار كل تاريخ الحكم البريطاني في مصر؟ لقد أنقذ هذا الحكم مصر من السيادة التركية، ولم يتمتع أي شعب، في أي بلد، بمثل ما تمتـــع بهـــا الإنســـان في مصـــر، وقدمت مصر بذلك لكل عين رأت نموذجا من المواهب المعجزة للشعب البريطاني في تكوين إمبراطورية".

سيسل هارمز ورث Cecil harms woerth

مايو ١٩١١ [٣]

عندما يتناول الباحثون الاحتلال البريطاني –عادة– وهو فترة تقع بكاملها في نطاق هـــذا البحـــث، فمن السهل علينا أن نعتبرها كيانا متماسكا ومتناغما ومتكاملا، سواء أكان سيئا كلـــه أم جيـــدا، دون أن نأخذ في الاعتبار التغيرات التي قد تحدث في وجهات النظر والأفراد والسياسات التي واكبتها، والاقتباســـات التي أوردناها بدءا فيما سبق، تدعم نتيجة واحدة وهي: في خلال الفترة التي امتدت ستة وعشـــرين عامـــا، وتفصل بين كلمات اللورد دو فرين، وبين تقلد هارمز ورث وكالة الوزارة، مرحلة وصـــل فيهـــا الحكـــم البريطاني، بكل دقة، إلي تلك المرحلة من الأحداث التي كان يخشاها اللورد دوفوين، وكان هذا القول ســـابقا لها، حتى إذا حل عام ١٩١٩ لم تنس الحكومة البريطانية تأكيداها المتكررة لطبيعة الحكم البريطـــاني المؤقـــت فحسب، ولكنها انتهت أيضا إلي قرار اعتبر مصر جزءا لا يتجزأ من الإمبراطورية البريطانية ! ومن ســـخرية

القدر أن الحكومة البريطانية التي أرسلت قواتها إلى مصر، كانت برئاسة وليم إيـوارت جلادسـتون الـذي حارب من أجل تقليص الإمبراطورية، ومن أجل حكم ذاتي لأيرلندا، ومن أجل أن تقوم بين شـعوب العـالم رابطة تنهض على أساس من الحب والاختيار الحر، وعمل لذلك خـلال رئاسـته الـوزارة أربـع مـرات (٤)،وتعكس احتجاجات جلاد ستون في عام ١٨٨٤ إيمانه القوى بضرورة رحيـل بريطانيـا مـن مصـر (٥)، كيف تطور الاحتلال البريطاني إذن إلى هذا النحو الذي أدى إلى ما عبر عنه هارمز ورث من أراء رسميـة في عام ١٩١٩ ؟ما مدى السيطرة التي حاولت بريطانيا أن تمارسها على التعليم في مصر، وما طبيعـة هـذه السيطرة ؟ ومن هم هؤلاء الذين ارتبطوا بها؟ وكيف لنا أن نقيم النتائج؟

كرومر ورفاقه في التعليم المصري :

"كل ما أستطيع قوله من تبرير هو أنني صنعت أفضل ما أستطيع صنعه بما توفر بين يدي".

اللورد كرومر ١٨ يناير ١٩٠٦.

فيما ترى الباحثة، فإن كثيرا من الفضل، أو اللوم لنتائج احتلال بريطانيا مصر، وضع عنـد أقـدام إفيلين بارينج evlyn baring وهو الذي اشتهر باسم اللورد كرومر(٦). وشغل منصب المعتمـد البريطـاني في مصر، "سفير جلالة ملك بريطانيا والقنصل العام في القاهرة "منذ عام ١٨٨٣إلى عام ١٩٠٧.ولـد هـذا البريطاني عام ١٨٤١م في أسرة بارزة من أصحاب المصارف الشهيرة، وكان ترتيبه الرابع بين أبنـاء أسـرة بارينج، فلم يحصل على لقب "نبيل" خلال فترة ستين عاما، كانت كلها في القرن التاسع عشـر(٧). وقـد قضى فترة إعداده الباكرة في مدرسة إعدادية عسكرية، التحق بعدها بأكاديمية ولوتش woolwich، ولمـا أنهى دراسته بها التحق بالجيش في عام ١٨٥٨، وخلال المناصب المتعددة التي تولاهـا عمـل في : كورفـو،

وجامايكا. وفي عام ١٨٦٨ التحق بكلية ستاف staff، وبعد أن أمضى فيها عامين، دعي ليعمل مـع أحـد أقاربه، وهو اللورد نورثبروك northbrook، أمينا خاصا له، وكان هذا اللورد يعمل في الهند.

بدأت علاقة كرومر بمصر بعد تعيينه مندوبا للحكومة البريطانية في صندوق الـدين عـام ١٨٧٧، وظل في هذا المنصب حتى مايو عام ١٨٧٩(٨). وعاد إلى مصر في السنة نفسها بعد أن عزل الخديو إسماعيـل وأعيدت المراقبة الثنائية أثناء حكم توفيق، واعتبر كرومر المسئول الأول عن الدين البريطـاني وإليـه يرجـع الجانب الأكبر من الفضل في تسوية قرض "المقابلة"، وفقا لشروط قانون السـيولة الصـادر في ١٧ يوليـه ١٨٨٠، مع أنه رحل إلى الهند قبل إصداره، حيث تولى منصب العضو المالي في القنصلية البريطانية، وكـان هذا تعيينا محظوظا، نظرا للوضع الاقتصادي المعتدل للهند في ذلك الوقت، مما أتاح له الفرصة كـي يحقـق نجاحا ملموسا من خلال سياسته الاقتصادية المحافظة، قبل أن يرحل عائدا إلى إنجلترا في عام ١٨٨٣م، وقـد سبقته إليها سمعة رائعة (٩). وقد وصف قبل تعيينه في الهند بأنه "رجل لبق وحذر"،وأحد الذين سوف يكـون لهم في جلاء ووضوح مستقبل مهني عظيم.

لقد كانت قدرات بارينج الإدارية أقيم بكثير من أن تغفل، وكان من السهل جدا التنبؤ له بمسـتقبل مشرق، وقبل أن تمضي سنوات كثيرة، سوف يشغل منصبا أعلى بكثير من مجرد مراقب حسـابات، في إدارة صندوق الدين المصري الثنائية (١٠).

قبل بارينج منصبه الجديد في مصر، وكيلا لجلالة الملك، نزولا علـى رغبـة اللـورد ساليسـبري وإصراره، وهو منصب أطلق عليه نص القرار اسما مشابها للقب المندوب السامي البريطاني في الهنـد، وهـو

لقب رفضه بارينج في مصر، في أوائل سنوات تواجده فيها، وكان يردد في ذلك الكلمــات التاليــة للــورد جرانفيل:

"كنت أرى دائما، بوضوح، أن التمثيل الإنجليزي في مصر، يشبه – إلى حد ما– منصب المنــدوب السامي في بلاط أمير هندي في الهند، ومن المفترض رغم خبرتي الهندية التي تشي لي بــأن هــذا الافتــراض خاطئ إلى حد ما، فإن المندوب السامي في الهند هو الحاكم الحقيقي، على حين أن الأمــير الــوطني يحكــم الدولة اسما فحسب،كما يذكر كرومر باستمرار أيضاً إنه كثيراً ما كان يرجع إلى باستمرار عند مــا يريــد الاستفسار عن التفاصيل. أحوال كثيرة من هذا النوع، تكشف عن فكرة غير دقيقة تماما عــن المهــام الــتي أؤديها في مصر، وأرى من الضروري عدم تقسيم السلطة في مصر، وعلى الحكومة المصرية أن تشــعر بأنهــا المسئولة عن قيادة الإدارة المصرية فعلا وليس اسما، وأن عمل الممثل البريطاني ليس مــن شــأنه إضــعاف أو تشوبه سلطة الخديوي ووزرائه"(١١).

لكن في أقل من عشر سنوات اشتكى بارينج من عباس حلمي الثاني قائلا عنه : " خــديو يــبغض إنجلترا، ويقود الطبقات العسكرية والثرية"، كما أضاف : " إن ضباط الجيش المصري على اســتعداد لتــرك الضباط الإنجليز، وأخذ رجالهم معهم فور استحضار أو إثارة المشاعر العرقية أو الدينية"(١٢).ومن الســهل أن نتتبع تطور أفكار كرومر من خلال التقاط أكبر قدر من مقتطفات أفكاره، من أوراقه ومقالاته ومراسلاته.

ومع أن هذا ليس الهدف الرئيسي لهذا الفصل، لكن يبدو من الأنسب تلخيص الثابــت والمــتغير في أفكار بارينج عن مصر ووضع بريطانيا فيها. أثناء توليه منصبه معتمدا بريطانيا في مصر عــرض لموضــوعات عديدة، مرارا وتكرارا، أبرزها ما يتصل بتعريفه للمصريين وذلك بعد أن اتهــم ولفــرد بلانــت Wilfed

Blunt كرومر بتفضيله بعض الجماعات عن الأخرى، وقد أجاب كرومر قائلا: عندما يتحدث بلانت عن المصريين فهو يعني المسلمين....

وعندما أتحدث أنا عن المصريين فإنما أعني كل سكان مصر، أي المسلمين والأقباط، والسوريين والشوام وكل الأوربيين الذين تمصروا مهما كانت جنسياتهم السابقة، والذين، بكل ما فيهم من عيوب، يمثلون عناصر التحضر في هذا البلد(١٣).

ولا يدور بخلد أحد أن كرومر هو أول من استحدث هذه السياسة، إذ الحق أنه ورثها عن دوفرين الذي قال في تقرير له : "من الأسلم أن نعد كل مولود في مصر مصريا بغض النظر عن المكان الذي قدمت منه أصوله، وأنه صالح لشغل أي مركز تؤهله له مواهبه واستعداداته ويتحقق هذا من خلال تنفيذ القوانين العادلة، وعلى تطوير المبادئ الدستورية التي تعمل على إبطال الغرور والطموح الطبقي، وإزالة الفروق العرقية البغيضة"(١٤).

ولكن هذه النظرة حققها كرومر، والدليل على أنه لم ير المصريين أبدا على أنهم مزيج من الجنسيات والعروق والديانات ما نجده في خطاب سطره للورد ساليسبري في عام ١٨٩١، يقول فيه: "السبيل إلى إدراكي مسئولياتي هو أن لدي مجموعة من المساعدين الإنجليز، طوع تصرفي بشكل أو بآخر، ليسوا تحت أوامري وليسوا حذرين أو أكفاء دائما، مع أن فيهم الكثير من الرجال الأكفاء، إلى جانب مجموعة من المساعدين الأجانب والمسيحيين، وعلى أن أقود وأتحكم في عرق آخر أجنبي هم الأتراك، وهم غير أكفاء تماما، ويكرهون الإنجليز، بالإضافة إلى كراهية جموع الشعب لهم بشدة. في حكومة العرق الثالث

المصريون هم من تجب علينا مراضاتهم، ولكن إرضاءهم هذا حين نبلغه لا ينتج عنه في الحاضر أي نوع من المساعدة السياسية أو التأييد"[١٥].

إضافة إلى تعريف كرومر للمصريين وهو الذي يعتبر عمليا أن كل فرد مقيم في مصر مصريا، شعر كرومر أن مهمته إصلاح أحوال الفلاح المصري، وقد أشير إليه في الاقتباس السابق، وعد نفسه حاميا لطبقة العامة المظلومة من الطبقات العليا، مع أنه كان يعتمد على هذه الطبقات العليا نفسها في حكم البلاد، وكان يفخر بخاصة أنه ألغى نظام "السخرة" الفوري إلي حد ما، وكذلك ألغى استخدام السوط، وظل يتحدث في هذا الصدد، وفي إعلاء المساواة، حتى وهو يستعد لترك منصبه في مصر[١٦].ولكن إذا كان مهتما بالطبقات العاملة إلى هذا الحد، فلماذا كانت ميزانية التعليم قليلة جدا في الفترة ما بين (١٨٨٣-١٩٠٧)؟

يمكن أن نجد الإجابة عن هذا السؤال في الطبيعة المرتبكة للحكم البريطاني في مصر خلال معظم فترة وجود كرومر في مصر، وفي طبيعة اهتماماته نفسها التي ثابر عليها. عند ما حضر كرومر إلي مصر، كان من المتوقع بوصفه خبيرا ماليا بريطانيا أن يعيد تنظيم الوضع المالي والاقتصادي في مصر، ولم يكن هذا الأمر بالمهمة السهلة، "بينما الامتيازات الأجنبية معلقة في رقبة الحكومة المصرية مثل الحمل الساكن، (غير قابلة للتغيير من حيث الموقع أو المقدار)، deadweight وبعد ستة وعشرين عاما أصبح من الضروري أن يوافق على كل القوانين الهامة سبعة عشر موقعا قويا مختلفا في أوربا"[١٧].

ولكنه استطاع بحلول عام ١٨٨٨ أن يعيد إلى الميزانية المصرية توازنها، كما استطاع أن يحقق قدرة الخزانة المصرية على إيفاء الديون في مواعيدها بقدر المستطاع لأن فائض الميزانية كان يحول آليا ليصبح جزءا

من الميزانية المخصصة لسد الدين الوطني، طبقا للتسوية الدولية التي تم الاتفاق عليها، إلى جانب مصـــروفات إضافية أخرى يجب دفعها، وتساوى في قيمتها الدين نفسه..

كان بارينج يؤمن، ويؤكد بأنه جاء إلى مصر لا ليحكمها، ولكن ليعاون أهلها في حكمها، وكـــان هذا المبدأ يطبق طالما أظهر حكامها الموافقة والتأييد لما يرى. وعلى حين كان ينطبق هذا على الخديو توفيـــق، كان الخديو عباس حلمي الثاني الذي خلفه يخطط مع أطراف متعددة خلال فترة حكمه لاســتعادة ســلطته على البلاد، وتأمين استقلالها.

وكانت الثورة الوطنية التي ظهرت خلال حكمه مظهرا آخر من مظاهر السياســة الــتي هــددت سياسة كرومر في حفظ الأمن والنظام بعامة، وحماية قناة السويس بخاصة، وبعد أن كـــان يؤكـــد في عـــام ١٨٨٣ على " أننا يجب ألا نمكث طويلا لأسباب أوروبية ومصرية وبريطانية خالصة". أصر في عام ١٩٠٨ على " أنه يجب ألا نعجل بترك هذا المجهود النبيل الذي بذلناه لرفع أمه بأكملها مـــن الحالـــة الهزيلـــة الـــتي وجدناها عليها، نفعل هذا من أجل كرامتنا ومن أجل المصلحة الحقيقية، لكل من المصريين والعالم المتحضـــر بأسره كافة، ولا يزال الوقت مبكرا لكي نتنبأ بأن الحالة الهزلية لن تعاود الحدوث مرة أخرى"[١٨]،

وقد ظل كرومر يقول خلال فترة توليه منصبه : " إنه يريد إعداد المصريين للحكم الذاتي، ولكـــن، بمرور الوقت تبين أن تاريخ إنجاز هذا الوعد بدا وكأنه يدفعه إلى أبعد وأبعد في المستقبل غير المنظور، بسبب تنامي التوسع البريطاني أمنيا في مصر. وإحقاقا للحق لابد من القول بأن كرومر كان يكره الإمبريالية، فعلا، وفي خطابه إلي مورلي Morley وألمحنا إليه فيما سبق كان نادما على الاحتلال وحدوثه، وقال: "إن كل مـــا صنعه في مصر أملته عليه رغبته في منع نشوب حرب مع فرنسا"[١٩].

وأغلب الظن أن كرومر كان يؤمن في أعماقه بأن أعماله في خدمة بلاده ما هي في الحقيقة إلا من أجل مصر والمصريين، وأن معظم المصريين يقدرونه لهذا السبب وفيما يتصل بالحكم الذاتي في مصر ألف كرومر كتابه "مصر الحديثة Modern Egypt "، وأورد فيه قائمة بإيجابيات الحكم الذاتي والحكم البريطاني [٢٠]، وقال فيه أيضا: " إن توظيف الأوربيين كان مفيداً لأنهم كانوا يضعون المصلحة العامة في المقدمة، ولأن عامة المصريين يفضلون الحكومة الجيدة عن حكومة ترفع شعار الوطنية، ولا نعمل ولا تزال الحكومة تعاني من عدم كفاية الأوربيين المشتغلين فيها، وكانت السلبيات هي أن المصريين يفضلون نظاما معينا يديره أبناء بلادهم على نظام ممتاز نسبيا يديره الأجانب".

وإضافة إلى عدم تشجيع التعليم، وإغلاق باب الوظائف الحكومية العليا، وقصرها على المتعلمين فقط، وأن المصريين لن يتعلموا أبداً حكم أنفسهم بأنفسهم إلا بعد منحهم الفرصة، وأن الإدارة السيئة مؤقتة، مع تقليل عدد الأوربيين في الوظائف الحكومية إلى أقل حد ممكن. وكان الحل الذي قدمه كرومر هو أن يجد حلا وسطاً لكل تلك الإفراطات، ومع هذا ظل يؤمن بأن الوظائف يجب أن تمنح للأوربيين، أو للمصريين الذين تلقوا تدريباً أوربياً. ومع الاعتراف بأن أمثال هؤلاء الناس لعبوا دوراً رئيسياً قبل الاحتلال، علينا أن نتذكر أن الاختلاف هو أن المصريين لم يعودوا يتمتعون بالقدر نفسه من حرية الاختيار التي كانوا يمارسونها من قبل، كما زادت أعداد المستشارين البريطانيين من ١١٣ في عام ١٨٨٩ إلى ١٦٠٠ في عام ١٩١٩، وأدى هذا إلى عبء غير ضروري أثقل كاهل الميزانية المصرية، وبالتالي، كان هذا استهلاكاً للموارد التي – ربما – كان يمكن أن تستخدم في مجال التعليم[٢١].

إذن، ما مدى السيطرة التي مارسها كرومر في منطقة التعليم، والتي يعد إهماله فيهــا أكــبر جريمــة ارتكبها في حق الشعب المصري؟

يرى أحمد شفيق(٢٢) أن بارينج عندما كان في البداية، يعتبر إقامته في مصر مؤقتة حاول أن يتظــاهر بأنه لا يتدخل في شئون التعليم على الرغم من إظهار اهتمامه بهذا الموضوع، ومــع ذلــك احتــوى تقريــر دوفرين صفحات مطولة عن هذا الموضوع، حيث صنف كاتبه المدارس المختلفة، وقدم اقتراحــات متعــددة لتحسين نظامه ومستواه. وكانت النقطة الجوهرية فيه هي: من خلال الجيل الصــاعد تســتطيع الحكومــة المصرية إحلال المصريين مكان الموظفين الأجانب الذين يحتشدون في الإدارات الحكومية(٢٣). وعلــى الــرغم من مناقشة المسهبة لما يسببه التعليم باللغة العربية من مشكلات لم يــذكر دار العلــوم في قائمــة المــدارس الحكومية(٢٤).

وكان رأيه فيما يخص اللغة العربية أن الطريقة الوحيدة التي يستطيع بها المصــريون تــأمين التعلــيم ومستقبله أن تكون اللغة العامية هي الوسيلة الوحيدة للتعليم في المدارس، وبدون ذلك – يقــول – ســيظل شعار مصر للمصرين صرخة فارغة بلا معنى(٢٥). كما تناول تقرير دوفرين مسألتين أخريين مهمتين تتعلقــان بنشاطين كان لخريجي دار العلوم دور واسع فيهما وهما:

تأليف الكتب المدرسية، بما في ذلك ترجمة النصوص الأجنبية إلى اللغة العربيــة، والتفتــيش علــى المدارس.

يقول دوفرين: "لن يتم تطبيق اللوائح والقوانين، وسيظل التعليم على مستوى حالته المحزنة"(٢٦).

مثل بقية تقرير دوفرين، لم يكن للقسم الخاص بالتعليم تأثير يذكر على سياسات بريطانيا التاليـــة في مصر، ولم يشر كرومر إلى ذلك الموضوع في أي من مراسلاته الرسمية، وإجمـــالا، اعتمـــد كرومـــر علـــى مرؤوسيه في رسم السياسة التعليمية والنموذج الأكبر لتحمل المسئولية في التعليم المصري طوال فتـــرة حكـــم كرومر اثنان: يعقوب أرتين وهو أرمني، يرد في قائمة المتمتعين بالامتيازات الأجنبيـــة علـــى أنـــه مـــواطن فرنسي(٢٧). وعمل وكيلا لنظارة المعارف العمومية منذ أول إبريل ١٨٨٤ إلى ســـبتمبر ١٨٨٨، ومـــن ١٤ مايو ١٨٩١ حتى ٢٧ نوفمبر ١٩٠٦، وقد وصفه كتري بأنه "عقل تحليلي واسع الأفـــق"، وبأنـــه "يـــدرك الاحتياجات التعليمية المستقبلية"، يطمح في تدعيم الاندماج واقعاً، وتحسين التعليم كيفا(٢٨). وكان من بـــين أكثر أعضاء المعهد المصري L'Institut d' Egypte نشاطاً. وعمل رئيساً له في الفترة مـــا بـــين ١٨٨٩ و١٩١٦ باستثناء ثماني سنوات، وقام بكتابة دراستين مهمتين عن التعليم المصري، وهمـــا "التعلـــيم العـــام في مصر L'instruction Publique en Egypte (باريس ١٨٩٠) وملحوظات حول التعليم العام.

Considerations sur L' instruction Publique (Paris 1894)

قد يظن المرء أن استقالة يعقوب أرتين من نظارة المعارف عام ١٩٠٦ ترتبط بصورة مباشرة بتعـــيين سعد زغلول باشا ناظراً رغم مظاهر الشكر والتقدير الرسمية التي وجهها لـــه كـــل مـــن ســـعد زغلـــول وكرومر(٢٩).

أن يعمل كل من يعقوب أرتين وكرومر معاً على نحو جيد، أمر مؤكد تماماً والدليل علـــى ذلـــك قدرته على تحمل المسئولية، ولابد أن يعقوب أرتين قام بمسئولياته على نحو جيد أيضاً، تحت رئاســـة الرجـــل الذي كان يسيطر على التعليم المصري طوال أيام الاحتلال، وهو دوجلاس دنلـــوب Douglas Dunlop، وهو رجل بكل المقاييس، أصعب من كرومر بكثير، ولد في أسكوتلاندة عام ١٨٦١، وتعلـــم في المـــدارس

الأسكوتلاندية، وحصل على الماجستير (العادي) في العلوم الإنسانية والكلاسيات، من جامعة جلاسجو عـــام ١٨٨٣، ثم ذهب إلى بن لدراسة اللاهوت(٣٠)، ونتيجة اختلافات لاهوتية عـــاد إلى أســـكوتلاندة، وتـــولى التدريس لعدة سنوات في المدارس الثانوية.

وعلى الرغم من أنه قام برحلة واحدة إلى مصر لأسباب صحية، إلا إن رحلته الثانية إليهـــا جـــاءت نتيجة تعيينه مديراً لمدرسة سان أندرو في الإسكندرية. وقد كتب كتري في تقاريره عنه:" إن دنلوب اعتـــبر أن أحد إنجازاته في هذه المدرسة أنه رفع مصاريف التعليم فأدى ذلـــك إلى تحســـن الوضـــع الاقتصـــادي للمدرسة(٣١). ويبدو أنه كان من أكثر المدراء البريطانيين المرغوب فيهم للعمل في نظارة المعارف العموميـــة، وهو ما تشير إليه المكاتبات الرسمية التي تتعلق بهذا التعيين الحكـــومي، إذ يبـــدو منـــها أن لجنـــة مدرســـة الإسكندرية لم تكن متحمسة لتركه ذلك المعهد، ولكنها سمحت له بالمغادرة في أول فبرايـــر ١٨٨٩، علـــى الرغم من عدم قدرتهم على نوفمبر من يخلفه إلا بعد ثلاثة أشهر(٣٢).

وجاء تعيينه الأول، في نظارة المعارف العمومية مدرساً للغة الإنجليزية، في الســـنة الأولى في المـــدارس الحكومية العامة بمرتب شهري قدره ثلاثون جنيهاً مصرياً، وبالتحديد في مدرسة (المهندسخانة)، كمـــا أنـــه أعد برنامجا تدريبياً لمدرسي اللغة الإنجليزية(٣٣).

وبعد أن درس فترة وجيزة في مدرسة الخديوية الثانوية أيضـــا عـــين دنلـــوب مفتشـــاً في نظـــارة المعارف(٣٤). وهو تعيين قال عنه كتري:" إن على مبارك قام به تحت ضغط شديد لإرضاء البريطـــانيين(٣٥). وأخيرا في عام ١٨٩٧، تم تعيين دنلوب أميناً عاماً لنظارة المعارف العمومية، بعد أن أصبح مـــن اختصاصـــه التفتيش على المدارس وإدارتها(٣٦) ثم عمل وكيلاً لنظارة المعارف أثناء غياب يعقوب أرتين(٣٧). كمـــا شـــغل

مناصب مختلفة في اللجان العليا العديدة التي أنشئت لتشرف على التعليم في المدارس العامة. ومن عام ١٨٩٤ إلى عام ١٩٠٢ عمل رئيساً لهيئة امتحان الشهادة الابتدائية(٣٨). وكان لمنصبه في لجنة "التقصـــي" الخاصـــة برواتب الموظفين المصريين في الحكومة وترقياتهم في عام ١٩٠٦ تأثير قوى، وفى الوقـــت نفســـه اســـتطاع دنلوب أن يصبح أقوى شخصية في إدارة التعليم المصري. وعندما تولى سعد زغلول منصبه ناظراً للمعـــارف العمومية، وقعت المنافسة بينه وبين دنلوب على السلطة في الوزارة، ويشير كتري إلى الـــدعم الـــذي قدمـــه كرومر إلا سعد زغلول في عدد من الموضوعات، مثل زيادة رواتب المدرسين(٣٩)، ولكن يبـــدو أن تـــدخل كرومر المباشر في مثل هذا النوع من القضايا التعليمية الداخلية كان يحدث نادراً لان معظم الأمور التعليميـــة المصرية التي تحدث داخل النظارة، كان أمر حلها متروكاً لدنلوب. ما هي خصـــائص أســـلوب دنلـــوب في الإدارة إذن؟

"لقد وصف بأنه أكثر الموظفين البريطانيين نفوذاً واستبداداً، ويعتمد نظامه الاستبدادي في الحكـــم" على النظام المركزي الصارم،.. الذي يبغض القيم والتقاليد الإنجليزية(٤٠). ويرجع كتري هذه الخصـــائص إلى النظم الاسكوتلندية في التعليم وهي تتسم بالسيطرة المركزية والنظام الضاغط في القوانين، والحـــرص علـــى تنفيذها(٤١). ويستطيع المرء أن ينتهي من هذا إلى أن دنلوب هو المسئول عـــن صـــدور مجموعـــة القـــوانين والقواعد التي تعتمد في إنشائها على المركزية، مما أحدث كثيراً من المشقة في العمل للمفتشـــين والمدرســـين على حد سواء(٤٢). كان دنلوب يهتم بنص القانون لا بروحه، فأصبح إداريا مريحاً أكثر منه تربوياً(٤٣)، ومع أنه لم يتعاطف مع المصريين أبداً، كان في الأساس عادلا، ولم يحاول أن يعلى قدر المصالح السياسية البريطانيـــة في مصر على نحو ينتهي به إلى الطيش أحياناً(٤٤). ويبدو أن عدم وجود مناهج في دار العلـــوم تتعامـــل مـــع الإمبراطورية البريطانية، كان أحد الأسباب وراء رفض دنلوب عروض المكتب الاستعماري البريطاني دمـــج

مثل هذه الموضوعات مع مناهج المدارس الحكومية(٤٥). في رحلة بحثية عن المالية والجودة في الــوزارة، دعــم دنلوب تعيين المدرسين والمفتشين البريطانيين والأجانب الآخرين، ومع أن دنلوب كان معاديــاً للمصــريين المسلمين لم يحاول أن يقيد التعليم الإسلامي(٤٦). وكان هو الذي اختار في عام ١٨٩٠ هنرى ولــيم مــاردن Henry William Mardon في لندن، من بين مجموعة من البريطانيين تقدموا للعمل بالتدريس تبلغ مــئتي متقدم(٤٧)، وقد درس ماردن في دار العلوم لعدة سنوات.

ويبقى سؤال: كيف كانت علاقة دنلوب بكرومر؟

من وجهة نظر دنلوب كان كرومر أعز صديق له (٤٨)، ولكن الحقيقة شيء آخــر، فقــد كانــت صداقات دنلوب قليلة جدا وهو ما ينم عن أن صداقته مع كرومر لا تنطوي بالضرورة على علاقــة حميمــة بين الطرفين بينما يدعونا كتري إلى أن نلاحظ تشخيص كرومر لزملائه الإسكوتلانديين بأنهم :"صــارمون وبلا خيال" (٤٩)، وهى فئة أدرج بينها دنولب، غير أن كتري يقدم دليلاً خاصاً يدعم رأيــه، إذ يــرى أن أسلوب دنلوب يتناسب مع منصبه. مثلا: حاول أن يطور نظام التعليم الإلزامي الذي سوف يقــود بطبيعــة الحال إلى مدارس أعلى وهى الابتدائية فالثانوية، ودعا الحكومة أن تتوسع في المدارس الثانوية حتى يتسنى لهــا استيعاب كل المتقدمين الصالحين إليها، على حين كان كرومر يفضل نظام الكتاتيب عن المدارس، التي تتســم بأنها ذات اتجاه أوربي، متعمدا تقليل المدارس الثانوية مع محاولة منه لتحسين التعليم في المــدارس الابتدائيــة. وبعد عام ١٩٠١ لم تنشأ غير مدرسة ثانوية جديدة واحدة فحسب قبل أن يغادر كرومر مصر. ولهذا شــعر دنلوب – ربما – بأن وقفة مساعدة في علاقاته مع كرومر قد تنشئ بينهما انسجاماً، وفى الحقيقــة لم يكــن كرومر حراً في اقتحام مجال التعليم، وكانت التقارير السنوية التي يكتبها وخلفاؤه من بعده عن مصر تتضــمن

فقرات طويلة من المذكرات التي يرفعها إليهم دنلوب عن التعليم في مصر، وكان هذا من اختصاصه. وبعد أن غادر كرومر مصر ظل دنلوب يمارس سلطات ضخمة في نظارة المعارف العمومية، على الرغم من أنه حاول أن يحصل على منصب في إنجلترا عام ١٩١٣[٥٠].

جاء أول تحد حقيقي لسلطة دنلوب في نظارة المعارف بعد أن تولى سعد زغلول نظارتها، إثر حادثة دنشواي التي وقعت في أواخر عام ١٩٠٦[٥١]. فقد طلب سعد زغلول عند توليه منصبه أن يلقى نظرة على "الملفات" الخاصة برئيس محاسبي النظارة، وبعد أن تشاور هذا مع دنول رفض الاستجابة لهذا الطلب، و لم يقدم الملفات إلا بعد أن هدده سعد زغلول بالطرد[٥٢]. وفى الفترة التي تولى فيها سعد زغلول نظارة المعارف، ما بين أكتوبر ١٩٠٦ وحتى فبراير ١٩١٠[٥٣]. حاول سعد زغلول أن يتوسع في استخدام اللغة العربية في المدارس الحكومية العمومية، وان يشجع المصريين على العمل فيها على الرغم مما عرف عنه من أنه كان يؤثر أقرباءه بالوظائف أيضاً. وصف كرومر سعد زغلول عند تعيينه بقوله: "إنه رجل يعمل بحق وليس مجرد دمية"، وقال: "وأعتقد أن رأيي هذا سوف يثير شيئاً من الدهشة"[٥٤]. وبعد فترة قصيرة من تولى سعد زغلول نظارة المعارف العمومية قال عنه كرومر إنه "ليس الأكثر قدرة فحسب، ولكنه أيضاً، أقوى مصري تعاملت معه حتى الآن"، وقد جاء إلى الوظيفة وهو مصلح وطني قوى، ويكره الإنجليز بعض الشيء، ولكنه غير وجهته تماماً[٥٥]. وعبر إيلدون جورست Eldon gorst، الذي خلف كرومر في منصبه، بأن سلفه حالفه التوفيق حين أدخل سعد زغلول في الوزارة[٥٦]. وجدير بالذكر أن كرومر اختار سعد زغلول للوزارة قاصداً، فقد أحس بأن الحالة العامة تتطلب وجود مصري أصيل أمام الشعب حتى يشعر المصريون بأن المناصب العليا يمكن أن يشغلها أولئك الذي ينحدرون من أصول مصرية حقيقية[٥٧]. وأحد الأسباب التي أدت إلى استحسان الإنجليز تعيين سعد زغلول ناظراً للمعارف، موقفه تجاه استخدام اللغة العربية في المدارس

المصرية الحكومية. فقد كان في السابق يعارض استخدام اللغة الأوربية، ولكنه اليوم، بعد تعيينه ناظراً، أصبح يدافع عن ذلك، رغم محاولته التوسع في استخدام اللغة العربية بطريقة محددة.

حين نأخذ هذه العلاقة المتناغمة في الاعتبار نجد التقارير المرسلة عنـــه إلى إنجلتـــرا في عـــام ١٩١٨ مذهلة تماماً. فيقال عن تقلده نظارة المعارف: " كانت تجربة غير ناجحـــة" ويعـــود ذلـــك في معظمـــه إلى شخصيته، وقد تفشى هذا النموذج في كل المدارس(٥٨)، كما أطلقت عليه هذه التقـــارير: "محـــافظ عنيـــد، ورجعي من الطراز السيء" وهو نادم على أيام الأتراك، عندما كان الأغنياء الباشـــوات، وهـــو أحـــدهم ، يستغلون الفلاحين غارقين في كل أشكال التآمر والفساد للحصول على الأوسمة والقوة السياسية(٥٩). حـــتى هذه الفترة، كان المصريون يتحملون، بكل تأكيد، مساوئ الاحتلال البريطاني وســـلطاته، الـــتي صـــحبت الحرب العالمية الأولى، و"الحكومة الطيبة" التي أنشأها كرومر أصبحت شيئاً من الماضي.

• دار العلوم والبريطانيون:

سياسة إعداد المعلم:

رغم الاتهامات العامة التي وجهت إلى كرومر بإهمال التعليم، إلا أنه لم يعارض التعليم المهني والفـــني والصناعي والذي اعتقد أن خليفته جورست لن يضن عليه بمصروفاته(٦٠).

وكمدرسة لإعداد المعلم جاءت دار العلوم في الفئة الأولى. وفى عام ١٨٩١ ذكر تقريـــر بـــارينج السنوي التحسينات الواضحة التي طرأت على طرق التدريس نتيجة استخدام الأســـاليب المـــاهرة والتـــأثير الشخصي للمعلمين الجدد المدربين وشعر أيضاً بان التعليم العام في مصر يمكن تحسينه عن طريق نظـــام واف للتفتيش، ومراجعة المناهج المدرسية والامتحانات، وإدخال الكتب الدراسية الجديدة، والانضـــباط وإشـــاعة

الوعي الصحي على نحو أفضل. وبعض هذه النقاط كان دوفرين قد أشار إليها في تقرير ١٨٨٣ [٦١]، ولكنه لم يتضمن أي تعليقات خاصة بدار العلوم.

كانت تقارير دنلوب عن دار العلوم تميل إلى التركيز على عدد الطلبة، وإلى الحاجة إلى التوسع في إعداد المعلمين، ومعلومات برزت فجأة في تعليقاته عن معاهد إعداد المعلمين الأخرى أيضاً. وعلى الرغم من أن احتمالات توظيف من ينتمون إلى طبقة "المشايخ" كانت في تحسن – كما يقال – ألا أن دنلوب أبدى حزنا شديدا "لعدم شعبية المهنة واحتمالات التقدم المحدودة فيها" مما جعل عملية توفير المعلمين المدربين لمدارس الوزارة صعبة للغاية[٦٢].

وعلى الرغم من عدم ربطه بين التطويرين فإن أحد أسباب التحسن في تقدم خريجي دار العلوم ونجاحهم ارتبط بتطوير التعليم الإلزامي بعد مطلع القرن العشرين. وكان لمدارس إعداد معلمي الكتاب الجديدة هيئة مدرسين وإدارة من خريجي دار العلوم في الأصل[٦٣].إضافة إلى ذلك، أدى تطور التفتيش على الكتاتيب إلى سيطرة خريجي دار العلوم الكاملة في هذا المجال.

وبعد سنوات عندما بدأ عدد المدارس الحكومية المنشأة ينخفض، وجد خريجو دار العلوم فرصة للتدريس في المدارس الخاصة التي تديرها المجالس المحلية[٦٤].

• السياسة البريطانية تجاه دار العلوم في عصر ما بعد كرومر:

لدينا مثالان يوضحان اختلاف النظرة البريطانية لدار العلوم فيما بعد كرومر:

المثال الأول طلب أرسله ناظر المعارف العمومية في حيدر أياد إلى ناظر المعارف العمومية في القاهرة، وفيه يسأل السيد أ.لطفي عن إمكانية إرسال معلمين من وطنه إلى دار العلوم، يحملان مؤهلات

عليا في اللغة العربية، وتكوينهما جيد، ويتمنيان أن يحسنا معرفتهم بها على يد معلمين تكون العربية لغتهم الأم " (٦٥)، وقد أثارت هذه الرسالة هياجا كبيراً في الدوائر البريطانية في القاهرة، لأن نظارة المعارف في حيدر أباد أرسلتها مباشرة إلى المصريين دون موافقة الحكومة الهندية.

وخلاصة الأمر كما شرحه في رسالته، فيما بعد:

تقدم معلمان من القسم بطلب إلى المنح الأسيوية للذهاب إلى مصر لتعلم اللغة العربية، وقد قمت بنفسي بتحويل طلبهما إلى لجنة المنح الدراسية للبت في هذا الطلب.

وبما أن اللجنة كانت تتوقع مني أن أقدم لها معلومات عن المدارس التي سوف يلتحق بها هذان الطالبان متى تلقيا المنحة الدراسية، فقد كتبت إلى ناظر التعليم المصري أسأله عن مدى إمكانية قبول إلتحاقهما إذا ما تقدما إلى مدرسة الناصرية (دار العلوم)، حيث حضرت الدروس فيها بنفسي طالبا غير منتظم، ومن Statesman's Yeer Book1 عرفت أن ناظر المعارف هو الموظف الرسمي الوحيد في مصر الذي يوازي مقاما ناظر المعارف العمومية عندنا، والمقصود من رسالتي مجرد استفسار وليس عملا رسميا(٦٦)،

نتيجة هذا الطلب قيل لحكومة حيدر أباد أن ترسل مثل هذه الطلبات في المستقبل عن طريق حكومة الهند، وفيما يتصل بالجانب المصري، فقد رأى كيتشنر أن هذا الطلب كان يجب أن يأتيه عن طريق الحكومة الهندية، ولذلك رفضه، ثم أضاف : " أنا من رأيي بأن تقارب العلاقات بين المحمدين (أي المسلمين) في مصر والهند أمر غير مرغوب في الوقت الحاضر (٦٧) وعلى الرغم من موافقة مكتب الخارجية على توصية كيتشنر إلا أنهم أساءوا فهم الطلب، وفهموه على أنه طلب توفير معلمين لحيدر أباد، من خلال نظارة المعارف المصرية (٦٨).

المثال الثاني الذي تأثرت فيه دار العلوم مباشرة بالسياسة البريطانية يتعلق بشغل مباني دار العلوم فترة الحرب العالمية الأولى حيث تم إخلاؤها وكان في غاية الصعوبة، وفي عام ١٩٢٠ تم تبادل الكثير من المكاتبات بين ريتشارد ألدريد براون Richard Alded Brown مراقب نفقات الخدمات الإدارية في نظارة المعارف العمومية والمندوب السامي(٦٩)، وكانت هذه المكاتبات عن شغل مباني المدرسة وجهها دنلوب إلى وينجبت Wingat في أوائل عام ١٩١٩ عن العمل الذي قامت به نظارة المعارف للأنشطة غير المنهجية، ويسرد خلالها قائمة بالأعمال الرئيسية التي قامت بها نظارة المعارف في فترة الحرب، وهي كالأتي

- استخدام المدارس مستشفيات عسكرية..الخ.
- قيام مدرسي مدرسة الطب من المدنيين بالخدمات الطبية.
- تصنيع الذخائر.
- قدمت مكاتب إرسالية التعليم المصري المساعدات التي طلبت منها.
- المساعدة على إنشاء المدارس في فلسطين وبلاد الرافدين Mesopo Tania (٧٠)
- ولكن، ما إن انتهت الحرب، حتى بدأت نظارة المعارف تفكر في استرجاع مبانيها المدرسية التي كانت تستخدمها السلطات البريطانية وذلك خلال شهري يونية ويولية من عام ١٩٢٠، وقد تم تبادل أكثر من إحدى عشرة مكاتبة بين المندوب السامي وبراون، وبين المندوب السامي والقوات المسلحة البريطانية بشأن الجلاء عن حرم دار العلوم وكانت إحدى هذه المكاتبات تتصل بمدرسة المحاسبة، التي كانت تستخدم مباني من ممتلكات جناكليس، وكان عليها إخلاؤها، لأن الجامعة الأمريكية بالقاهرة قامت بشراء المكان، وكانت مدرسة المحاسبة تستخدم مباني دار العلوم، قبل

تلك الفترة (قبل أن تأخذها السلطات البريطانية)[٧١]، وظنت نظارة المعارف أنها تستطيع التخلي عن استخدام ملكية جانكليس في حالة ما إذا ردت لها السلطات العسكرية البريطانية مباني دار العلوم [٧٢] وقد تكبد محمد رأفت ناظر المعارف المصري عناء كبيرا كي يلفت انتباه المندوب السامي إلى الأثر السيىء جدا الذي يحدثه هذا الأمر في الرأي العام المصري إذا ما تم احتفاظ السلطات العسكرية البريطانية بهذه المباني التعليمية [٧٣].

وقد أثمرت جهود ألدريد براون أخيرا، فبدأ المندوب السامي يضغط على القوات المسلحة البريطانية لتستخدم أفضل ما لديها من وسائل للقيام بترتيبات تمكنها من تسليم مباني مدرسة الإعداد، لتتمكن من القيام بمهمتها الخاصة[٧٤] وفي غضون أقل من أسبوعين أمل موظفو القوات المسلحة البريطانية أنهم يستطيعون إخلاء المبنى مع نهاية شهر سبتمبر بدل اثني عشر شهرا، أو ثمانية عشر شهرا التي كانوا يلوحون بها أولا.

ومع أن دار العلوم، من خلال ما سبق، تبدو بعيدة بعض الشيء عن الاحتكاك بالبريطانيين، لكن الحقيقة أنها شغلت مكانا مركزيا في خطط "تحسين إعداد المعلم في مصر"، ومن ثم أصبحت بؤرة الاهتمام في البرامج الخاصة بإرسال الخريجين إلى الخارج للمزيد من الإعداد، إلى جانب ذهاب خريجي دار العلوم إلى الخارج مدرسين للغة العربية، في برامج إعداد المستشرقين، والموظفين البريطانيين الحكوميين الذين سوف يرسلون للعمل في مصر والسودان.

ومن ثم نالت دار العلوم في الخارج شهرة، واكتسبت هيبة، ربما أكثر مما كانت تتمتع به في مصر.

- **البريطانيون ودار العلوم في الخارج:**

ما القواعد التي كانت البعثات من خريجي دار العلوم ترسل بمقتضاها إلى الخارج، وما الغاية منها ؟ وكيف نفذت تلك البرامج ؟ وما طبيعة التعليم الذي تلقوه أثناء تواجدهم في الخارج؟ وما علاقته بالتجارب التعليمية السابقة واللاحقة؟ وبالأشخاص المرتبطين به، وبالتعليم في دار العلوم بخاصة، وبالتعليم المصري بعامة؟

لقد ألقينا شيئا من الضوء على التاريخ المبكر للبعثات التعليمية إلى الخارج، ويجب أن نوضح أن المصريين عرفوا الابتعاث إلى الخارج بقصد التعلم وزيادة المعرفة، قبل الاحتلال البريطاني، وكانت الحكومة المصرية هي التي تقوم بهذا، على نحو واضح منظم، وبذلك إلى جانب الذين كانت تبعث بهم أسرهم، أو الذين كانوا يذهبون تحت رعاية أخرى خاصة، وهم يمثلون الأغلبية العظمى من المصريين الذين كانوا يدرسون في الخارج في أي زمن كان خلال معظم فترة هذه الدراسة[٧٥].

ومع ذلك، عندما كتب دوفرين تقريره عام ١٨٨٣،كان بين التسعة والأربعين مصري الذين يدرسون في الخارج أربعون بمنح حكومية، ولم يكن بينهم واحد له صلة بمشروعات إعداد المعلم. وفي الواقع كان ثلاثة أرباع هذا العدد يدرسون القانون أو الطب، وأهم ما يستحق الإشارة إليه في هذا السياق أن ٤٧ من التسعة والأربعين كانوا يدرسون في معاهد فرنسية[٧٦].

وعلى الرغم من فشل دوفرين في طلبه استبدال البعثات المرسلة إلى فرنسا بإرسالهم إلى بريطانيا لدراسة برامج مشابهة، إلا أن بارينج كان سريع الاستجابة لاقتراح نظارة المعارف في عام ١٨٨٥ إرسال

طلبة دار العلوم إلى إنجلترا قائلا لروز بيرى : لست في حاجة إلى أن ألفت نظر سيادتكم إلى القائـــدة الـــتي سيجنيها هذا البلد من اختيار طلبة معينين، والسماح لهم بالدراسة في الجامعات الإنجليزية، ولا إلى مســاوئ النظام الحالي، حيث التعليم الأوربي الوحيد المفتوح أمام المصريين هو الموجود في أوربـــا، وأغلبـــه في فرنســـا خاصة(٧٧)،

جاء اقتراح الدراسة في أعقاب التقرير الذي تضمنته اتفاقية لندن والذي وضع حدا أعلـــى لميزانيـــة التعليم في مصر فلا تزيد عن سبعين ألف جنيه مصري أي أن استقطع ثلاثين ألف جنيه مـــن المبلـــغ الـــذي خصصته الحكومة لعام ١٨٨٤ (٧٨)،وكانت النية تتجه أساسا إلى إرسال عـــدد مـــن المشـــايخ إلى جامعـــة أكسفورد، وقد وافق نائب رئيس هذه الجامعة على هذا الاقتراح عندما قدم إليها في عام ١٨٨٥، وبما أنه لا توجد فرص للدراسة بالعربية هناك، ركز إحياء اقتراح ١٨٨٦ على الاحتمـــالات التربويـــة لمثـــل تلـــك الاحتمالات(٧٩).

وظهرت مشكلة مبكرة تتعلق بتكلفة الإنفاق على الطالب في أكسفورد، وقد أصر السيد جويـــث Joweth الموظف المختص بذلك في هذه الجامعة، على أنها تبلغ مئتي جنيه كحد أدنى ضروري، على حـــين وافق القرار على مئة جنيه فقط وتشير توصيات يعقوب أرتين إلى بارينج بأن : هذه الطبقة تأتي إجمـــالا مـــن أسر فقير جدا، وليس متوقعا أن يكون لأي منهم دخل خاص به، ولكن إذا أخـــذنا في الاعتبـــار عـــادات المواطنين الاقتصادية، فمن المحتمل أن مبلغ مئة جنيه كاف لإعالة الواحد منهم بوفرة في إنجلتـــرا(٨٠)، يعـــود هذا الخلاف بين التقديرين إلى مصروفات المعاهد التي سوف يدرسون فيها فقد كان يعقوب أرتين يأمـــل أن يعفي الطلبة فيها، ولكن رد السيد جويث جاء بالرفض، ويفهم المرء من تعليقاته أنه لم يكن متحمسا للحالـــة

الاقتصادية لهؤلاء الشباب، لأنه يركز على أهم "يجب أن يكونوا من أسر ذات مستوى اقتصادي أعلى، مما يتيح لهم قدرة أكثر على الاندماج في المحيط المكاني حيث يعيشون، ويجعلهم أقوى تأثيرا حين يعودون إلى وطنهم [٨١]، كما يبدو أقل تحمسا للمشروع في بيانه : " قلة من الشرقيين فحسب، لديها القدرة على الاعتناء بنفسها في أكسفورد، فيقعون في الدين، ولسوء الحظ يحدث هذا للكثير منهم "، وفي الجانب الأخر، نجد قلة منهم تتمتع بشخصية واضحة، وقدرات استثنائية، واستطاعوا أن يجنوا فوائد حقيقية، وأما الطلبة المصريون فأنا غير قادر تماما على تكوين فكرة عنهم تمكنني من إصدار حكم عليهم [٨٢].

أما وقد أخفق بارينج في حل هذه المشكلة، فقد حول انتباهه إلى أسكوتلندة كخيار ممكن، قدم إلى روز بيري خطة محددة، وأكثر وضوحا، لإرسال بعض الشباب إلى بريطانيا العظمى، وخاصة إلى اسكوتلندة، لكي يدرسوا في جامعاتها الأدب والمنطق والفلسفة، وعلم أصول التربية بخاصة [٨٣]، ويذكر بارينج في المكاتبة نفسها، أن أعمار هؤلاء الشباب المبتعثين يجب أن تتراوح بين الثمانية عشرة والثانية والعشرين، ممن درسوا اللغة العربية في دار العلوم، وحصلوا فيها على تقديرات جيدة، وعلى قدر من المعرفة بالعلوم واللغة الانجليزية [٨٤]، وتضمن العرض أيضا الراتب المقرر لهم، وهو ما ألمحنا إليه سابقا : مئة جنيه مصري سنويا، وأملى أن يعامل الطلبة المصريون أسوة بزملائهم البريطانيين.

في ضوء هذا العرض جاءت التوصية باختيار جامعة سانت أندوز المكان المناسب، الذي يقدم فرصا كبيرة لدراسة علم أصول التربية والدراسات الأخرى [٨٥]، وكانت الجامعة مناسبة لقلة طلبتها نسبيا، وقيل عن المكافأة المقررة، وقدرها مئة جنيه مصري، إنها تكفي بوفرة ". وأخذ الدكتور جيمز دونالدسون James Donaldson منشئ المكاتبة التي تدعم الاقتراح على عاتقه الإشراف على الطلبة خلال شهور ستة، كانت

بمثابة عطلة، عليهم خلالها أن يذاكروا ويعدوا أنفسهم، وتنفيذ للمقترحات الـتي وردت في هـذه المكاتبة قامت الحكومة المصرية بترتيبات تمهيدية أثناء تولي يعقوب أرتين وكالة نظارة المعارف تقتضي بإرسال ثلاثة طلاب إلى سانت أندروز (٨٦)، وللمرة الثانية تتدخل المشكلة المالية وتحول دون تحقيق المشروع، فقد احتاج المشروع إلى ألفي جنيه سنويا، وهو مبلغ تستطيع الحكومة المصرية أن توفره، لو سمحت المراقبة الثنائية على المالية المصرية بأن تزيد إجمالي المبلغ الإجمالي الذي سمح لها به في عام ١٨٨٥، وقدره ٥.٣٧.٠٠٠ ولكن هذا الأمر يتطلب موافقة قوي أوربية متعددة، وقد رفضت فرنسا أن توافق لأن نوبار باشا رفض التوصية الفرنسية بتعيين نائب عام فرنسي للمحاكم المختلطة، وبكل تأكيد، تشير الجهود التي بذلها بارينج في سبيل تحقيق مشروع البعثات هذا، إلى ولائه القوى لوطنه، وشدة حرصه على توجيه كل الطلاب المصريين إلى بريطانيا وتلمح أيضا إلى الإحباطات التي سببتها السيطرة الدولية المذكورة عاليه.

نتيجة هذه التطورات فإن خريجي دار العلوم من دفعات ثمانينات القرن عشر الذين أرسلوا إلى الخارج لم تكن وجهتهم إنجلترا و أنما ذهبوا إلى فرنسا وألمانيا، رغم أن ما نعرفه عن مناهجهم هناك قليل (٨٧). سافر أحمد عمران الذي تخرج في دار العلوم ١٨٨٠، وحسن توفيق، وهو خريج ١٨٨٧، ومحمد شريف سليم الذي تخرج في ١٨٨٠ (٨٨). سافر الجميع إلى الخارج خلال هذه الفتة بوصفهم – أساسا – مدرسين للطلاب المصرين هناك. بقى أيضاً أن نشير إلى ما كان يقال إذ ذاك، وهو أن الطلاب المصريين كانوا يفضلون فرنسا خوفا من الطقس الإنجليزي، أضف إلى ذلك أن رسوم التعليم في إنجلترا كانت أكثر منها في فرنسا، وكان الخوف أيضا من عمليات تنصير الطلاب في إنجلترا، خاصة بعد أن تضمن أحد التقارير ارتداد* أحد الطلاب المسلمين واعتناقه الدين المسيحي في انجلترا (٨٩)، ومع هذا استمرت الحكومة المصرية

في التقدم بالمزيد من طلبات إرسال معلمين إلى إنجلترا، حتى إذا بلغنا عام ١٨٨٩ نجدها تضاعف من رغبتـــها إرسال المزيد منهم، للمزيد من إعداد المعلمين.

جاء اختبار المعهد الذي سوف يدرس فيه هؤلاء الطلاب مستوحى من توصيات دنلوب، والـــتي تم تقـــديمها بعامة، على أنها رأي شخصي، يناهض هذه البعثات [٩٠] وبين هذه المعاهد بدا أن هنـــاك ثـــلاث كليـــات لإعداد المعلمين هي الأنسب، وكلها تحت سيطرة الكنيسة الإنجليزية تقريبا، وأي كليـــات أخـــرى كانـــت تدرس بين موادها الدين المسيحي، والكليتان الوحيدتان اللتان لا ترتبطان بالكنيسة بأي رابط هما : كليتـــان تتبعان British and Foreign School Society في لندن و بانجور Bangor ولكن، على حين كـــان من عيوب كلية لندن موقعها في مدينة كبيرة، كان ينقص مدينة باجور أيضا القرب من المميـــزات الثقافيـــة التي تتوفر في لندن.

وكان عميد كلية بانجور قسا [٩١] على التأكيد،وفي عام ١٨٨٨، كان لتلك الجمعية خمس كليات لأعـــداد المعلم، على حين كان إجمالي عدد هذه الكليات في إنجلترا ثلاثا وأربعين كلية فيما يقـــال [٩٢]،وقـــد بـــدأت المباحثات حول ابتعاث المعلمين لمزيد من الإعداد في شهر مايو، وبلغت نهايتها الســـعيدة في شـــهر أكتـــوبر، حين صدر بيان بقبول ثلاثة معلمين مصريين في كلية بارا رود Borough Road لإعداد المعلمـــين لمـــدة عامين دراسيين في البدء [٩٣] وقد ذكر خلال مرحلة المناقشات أن كلية بارا رود قد تم نقلها إلى آبلـــوورث، على الرغم مما يقدمه موقع لندن من مميزات ثقافية ونفع كبير وليس ثمة موقع آخر أشد إغراء منه[٩٤].

وعلى هذا الأساس كانوا أول ثلاثة طلاب رحلوا إلى انجلترا، وأدرجوا في قـــوائم بـــرامج إعـــداد معتمدة. وفي تسعينيات القرن التاسع عشر كان الطلبة الذين يذهبون إلى بارارود، ومعاهد أخـــرى لإعـــداد

المعلمين، يمنحون شهادة خاصة بالطلاب الأجانب عند استكمال دراسة المقرر التعليمـــي، وفي ســـنة ١٨٩٣ رسب ثلاثة طلاب في هومرتون في امتحاناتهم، وجاءت درجاتهم منخفضة جداً حتى أن المدرســـة اقترحـــت بقاءهم سنة أخرى إذا أرادوا فرصة ثانية للحصول على الشهادة. ومع هذا عاد الطلبـــة إلى مصـــر، ووافـــق كرومر ودنلوب على منح الدبلوم العادية للمؤهلين فقط، مع أن الكلية كانت على اســـتعداد لأن تمـــنحهم شهادة تذكر فيها بعض المواد المعينة، وأن تمحو مواد أخرى[٩٥].

كان أحمد برادة أول طالب من دار العلوم نعرف له صلة ببارا رود، وقد أصبح ناظراً لدار العلـــوم في عشرينيات القرن العشرين، وقد درس في انجلترا في الفترة ما بين ١٨٩٢ و ١٨٩٥[٩٦] أمـــا أول خـــريج التحق فعلاً بكلية بارا رود للإعداد، وكان أحد اثنين، فهو محمد عاطف بركات باشا، وقـــد تخـــرج في دار العلوم ١٨٩٤، وهو ابن أخت سعد زغلول باشا[٩٧]. أمضي عاطف بركات أربع سنوات في الكلية يـــدرس المواد نفسها التي يدرسها المصريون الآخرون: الميكانيكا والفسيولوجيا وغيرها وكانت التقارير تقـــول عنـــه: إنه كان جيداً في امتحاناته طوال الأعوام[٩٨] وقد عمل عاطف بعد عودته في تفتيش المدارس، وكان المســـتر دنلوب يحترمه جد الاحترام، ويكل إليه الفصل فيما يكون من نزاع بين بعض مدرسي اللغة العربية ونظـــار المدارس، فلما أنشئت مدرسة القضاء الشرعي عين ناظراً لها، وشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٢٤، حيـــث عين وكيلاً لنظارة المعارف[٩٩] وقد وصف بأنه مشارك نشط في الحركة الوطنية عام ١٩١٩، وكان عضـــواً في حزب الوفد[١٠٠].

وفي عام ١٨٩٨ وصل ثاني خريج في دار العلوم للدراسة في كلية بارا رود وهو محمد السيد نـــاظر دار العلوم في المستقبل وفي الوقت نفسه وصل عبد العزيز جاويش، الذي تخرج في دار العلـــوم عـــام ١٨٩٧

وما من شك على الإطلاق في أنه أشد خريجي دار العلوم إثارة للجدل في الفترة التي امتدت ما بـين عـامي ١٨٧٣ و ١٩٢٣ كما كان أيضاً من أبرز التربويين المصريين في أوائل القرن العشرين، خاصة في مجال تقدم التعليم الوطني[١٠١] ويبدو واضحاً أنه لم يلفت إليه النظر كثيراً في باراورد لأسلافه مـن أبنـاء دار العلـوم الآخرين لأنه أشير إليه مرتين فحسب في التقويم التعليمي إصدار أكتوبر ١٩٠١، وآخر مرة ذكر فيها كـان اختياره مشرفاً على امتحان السنة الثانية، ويحتمل أنه لاقي صعوبة في اللغة الإنجليزية أكثر من محمد السـيد، الذي غادر انجلترا في عام ١٩٠٠، بعد أن اجتاز امتحان السنة الثانية[١٠٢].

من بين كل خريجي دار العلوم الذين تناولهم البحث كان عبد العزيز جاويش أصعبهم في الدراسـة، لأن أكثر ما كتب عنه، خاصة المصادر التي في اللغات الغربية يتكون من سخريات، أو أخطـاء لـيس مـن المناسب أن أناقشها كلها في الدراسة الحالية(١٠٣)، وجاءت شهرته إجمالاً، أو سوء سمعتـه في الغـرب إذا أردت، من معارضته القوية الصلبة التي لا تهن، ولا تلين، للاحتلال البريطاني لمصـر، ومـن ولائـه المطلـق للإسلام والعالم الإسلامي بالقدر نفسه، ويلمح كتري إلى أن بداية كراهية جاويش للإنجليز تعـود إلى أيـام دراسته في باراورد، رغم أنه يستند في دعواه هذه إلى دلائل تعود إلى الفترة الثانية مـن إقامـة جـاويش في انجلترا[١٠٤] وثمة دلائل وفيرة على أن تجربته في هذه الفترة الثانية هي التي جعلت منه مقاوماً شرساً للاحـتلال البريطاني في مصر. بعد عودته الأولى إلى وطنه عمل جاويش مفتشاً ثانياً في نظارة المعارف العمومية، ولكنـه سرعان ما تم اختياره للتدريس في دار العلوم، عندما تركها حسن توفيق العدل ليعمل في كمبردج في برنـامج تعليم العربية للموظفين الحكوميين البريطانيين والمتخصصين[١٠٥]، ومع هذا لم يتسلم عبد العزيـز جـاويش عمله في دار العلوم لأن مرجوليوث اختاره في برنامج مماثل في جامعة أكسفورد.

وفي أثناء توليه مهام وظيفته هناك حضر مؤتمر المستشرفين الذي عقد في الجزائر عام ١٩٠٥، حيث التقى مع الزعيم مصطفى كامل رئيس الحزب الوطني.

تجارب عبد العزيز جاويش في انجلترا، أيقظت الوعي السياسي في أعماقه، وكانت السبب الرئيسي وراء اهتمام مارجوليوث وطلبته بدراسة أسباب تفسخ المجتمع الإسلامي، وتخلف الإسلام فكراً وفساد المسلمين أفراداً[١٠٦].

ثانياً: التناقض الواضح بين قيم المجتمع الإنجليزي وسلوك المحتلين البريطانيين في مصر[١٠٧]، وكما جاء في دعوى خبر نشر في صحيفة التايمز، فإن عبد العزيز جاويش فقد وظيفته في جامعة أكسفورد لعدم كفاءته، إلا أن زميله في كمبردج البروفسور براون رد على الاتهام قائلاً: إنه أشرف على امتحان عدد من الطلبة الذين كان يدرس لهم عبد العزيز جاويش في أكسفورد، وأنه ليس لديه أي تحفظات تخص زميله[١٠٨] كما أثار غضب جاويش إعادة تعيينه مفتشاً مساعداً فور عودته إلى مصر، مع أن المهام التي كان يقوم بها، هي المهام التي يتولاها عادة المفتش الأول[١٠٩]، ورغم إصلاح وضعه في عام ١٩٠٧، فإن الآمال التي أملها بتعيين سعد زغلول ناظراً للمعارف سرعان ما تحطمت عندما غير سعد موقفه من اللغة العربية كما أن جاويش ثار على سعد لتعيينه أحد أقاربه، وهو عاطف بركات، في منصب ناظر مدرسة القضاء الشرعي بدلاً منه[١١٠]، ومع ذلك فالعامل الذي ساعد على استقالته من نظارة المعارف، هو وفاة الزعيم الوطني مصطفى كامل في ١ فبراير ١٩٠٨.

وقد سجن عبد العزيز جاويش أكثر من مرة أثناء عمله صحفياً وخطيباً، مع أن معظم كتاباته لا تتسم بالهجوم العنيف على معارضيه[١١١]، ويبدو ولاءه للإسلام ولتعليم العامة قوياً واضحاً من خلال

نشاطه محاضراً عاماً، وفي محاضراته التي كان يشارك فيها مع خريجي دار العلوم، وفي مدارسه المسائية، وجهوده نائباً عن (جامعة مسلم) المفتوحة في المدينة المنورة، وكلية صلاح الدين في القدس. أثناء انتظاره التقدم لوظيفة مدرس في دار الفنون (جامعة اسطنبول فيما بعد)[١١٢]، اهم في قضية خاصة بتوزيع منشورات وطنية تحض على مقاومة الاحتلال البريطاني وتم تسليمه إلى مصر. وخلال الحرب العالمية الأولى سلك جاويش طريقة إلى برلين، وفيها أخذ ينشر دورية عن العالم الإسلامي، ويحض المصريين فيها على مقاومة الاحتلال البريطاني وبعد انتهاء الحرب بهزيمة ألمانيا انضم إلى قادة الحزب الوطني الآخرين في برن بسويسرا، وكانوا جميعاً تحت المراقبة الشديدة من ضباط المخابرات البريطانية. وعندما اشتعلت ثورة ١٩١٩ في مصر حاول أعضاء الحزب الوطني الاتصال بسعد زغلول، لكن تعاونهم مع الألمان أثناء الحرب جعل منهم شركاء غير مرحب بهم في مفاوضة الإنجليز بشأن الاستقلال. وقد دعا مصطفى كمال (أتاتورك فيما بعد) عبد العزيز جاويش ليرأس منظمة للبحث الإسلامي في تركيا، ولكن جاويش استقال منها عندما علم بنية مصطفى كامل إلغاء الخلافة الإسلامية[١١٣] وبعد عودته إلى مصر بفترة قصيرة عين مديراً للتعليم الأولى، وهو منصب تولاه حتى وفاته في عام ١٩٢٩[١١٤] وخلال هذه الفترة الأخيرة أبدى نشاطاً ملحوظاً في تأسيس جمعية الشبان المسلمين. لقد شغل جاويش، بالتأكيد مكاناً بارزاً بين خريجي كلية بارارود للإعداد وبين خريجي دار العلوم على حد سواء.

لقد قام المبتعثون إلى كلية بارارود للإعداد بدور رائع في تغيير طبيعة وأهداف برامج التعليم السابقة التي كانوا ينهضون بإعدادها، واستطاع خريجو دار العلوم، وكذلك الآخرون ممن سافروا إلى هناك أيضاً، أن ينكبوا على دراستهم بجدية، فدرس معظم خريجي دار العلوم ممن سافروا إلى انجلترا في الفترة ما بين ١٩٠٣ و ١٩١٤ في معهد (كلية) ريدنج داي Reading Day للإعداد، وكلية ألبرت الملكية التذكارية في اكستر

(١١٥). وفي الإطار نفسه كان أحد العوامري، المتخرج في دار العلوم عام ١٩٠٣، أول متخرج في دار العلـــوم أرسل إلى مؤسسة ريدينج التعليمية، وهي كلية بدأت برامجها التعليمية عام ١٨٩٩ وكانت تحمل اسم الكلية الجامعية .C.U، ثم تلقت ريدينج موافقة لجنة التعليم في مجلس اللوردات كي تحمل اسم كليـــة داي لإعـــداد الرجال والنساء، وقد استطاع معظم الطلبة الذين درسوا فيها أن يجتازوا امتحان القبول في جامعـــة لنـــدن، كما خططوا للانتهاء من دراسة الليسانس أو البكالوريوس في ثلاث سنوات، وكانت الكلية تقـــدم شـــهادة الزمالة في الآداب أو العلوم ويشرف على امتحاناتها ممتحنون من جامعة أكسفورد، وكان على الطلبة الـــذين يرغبون في التقدم لدراسة الدبلوم أن يجتازوا امتحاناً خاصاً، وأن يستكملوا دورة تدريبية مدتها عامـــان، وإلى جانب دورات الجامعة، ودورات الزمالة، كان في استطاعة الطلبة أن يدرسوا لامتحانـــات شـــهادات نقابـــة إعداد معلمي جامعة كمبردج(١١٦) وعندما وصل أحمد العوامري إلى ريدينج وضح أنه لن يتقـــدم إلى درجـــة الزمالة(١١٧) لأنه ألغى بعض الدورات مثل الموسيقا والغناء و لم يتقدم لامتحـــان اللغـــة الإنجليزيـــة في عـــام ١٩٠٦، لأنه لم يحقق تقدماً كافياً فيها(١١٨) ومع ذلك حضر دورة تعويضية في الرســـم واجتازهـــا، طبقـــاً للوائح الجديدة المطبقة في عام ١٩٠٧، وربما كان مؤهلاً لشهادة التدريس إن لم تكن شهادة الدبلوم، لكـــن اللوائح الجديدة لا تطبق على الذين التحقوا في ظل اللوائح القديمة بأثر رجعي(١١٩)، وإذا ألقينا نظـــرة علـــى درجاته في امتحانات الزمالة عامي ١٩٠٦ و ١٩٠٧ نجده اجتاز مادة التاريخ والعلـــوم العامـــة (الحســـاب والفيزياء والكيمياء والأحياء).

واجتاز امتحان اللغة الإنجليزية في عام ١٩٠٧، ومع هـــذا رســـب في مـــواد التـــاريخ والجغرافيـــا والتربية(١٢٠) وأخيراً قررت لجنة التعليم في وايتهول White hall أن تمنحه شهادة خاصة بأنه حصـــل علـــى درجة كفاءة معينة في الدورة التدريبية وهكذا ولدت فكرة منح شهادة تدريس خاصة من لجنـــة التعلـــيم في

لندن وكان العوامري أول متخرج في دار العلوم أكمل دبلوم الزمالة، ومن ثم كان هيكل برنـــامج الـــدورة التدريبية[١٢١] الذي اتبعه نموذجاً سار عليه من جاء بعده في ريدينج من طلبة دار العلوم، وفي أي مكان آخـــر معتمدين على خبراته.

أخذ طلبة دار العلوم الثلاثة دورة تمهيدية في اللغة الإنجليزية مدتها سنة، وذلـــك عنـــد ذهـــابهم إلى ريدينج، في أكتوبر ١٩٠٧، بدل أن يبدأوا مباشرة برنامج دراستهم المعتاد فوراً، وعند تقـــدمهم للـــدخول طلبة غير عاديين في السنة التالية تحدد لهم بدقة أنهم لا يدرسون لكي يتأهلوا معلمين، يحصلون على شـــهادة موثقة في انجلترا، وإنما هدفهم هو الحصول على شهادة لجنة التعليم الخاصة، ووفقاً لهذه الخطـــة، كـــان لهـــم برنامج خاص تضمن دراسات في التربية، بما في ذلك التدريب والملاحظة في المـــدارس الإنجليزيـــة، والأدب الإنجليزي والقراءة والتاريخ[١٢٢].

وقد أظهرت امتحانات ١٩٠٩ و ١٩١٠ أن محمد أحمد جاد المولى الذي تخرج في دار العلوم عـــام ١٩٠٦ نجح في مواد اللغة الإنجليزية والتاريخ والمواد المتصلة بالتربية الخاصة في امتحانـــات الزمالـــة في عـــام ١٩٠٩، وفي امتحان اللغة الإنجليزية في عام ١٩١٠، وأظهر في امتحانه النهائي في التربية العملية نتائج رائعـــة جداً، ولهذا طلب مدير المدرسة و. م. تشايلدز W.M. childs أن يذكر هذا في شـــهادته[١٢٣]. وبإكمـــال دورته الدراسية في عام ١٩١٠ عُيِّن في المكان الذي كان يشغله عبد العزيز جاويش في أكســـفورد ومكـــث فيها ثلاث سنوات[١٢٤] وبعد عودته إلى مصر عمل مترجماً لمدة ثلاث سنوات، كما عمل في الديوان الملكـــي في التحرير والترجمة، إلى أن نقل إلى تفتيش المدارس عام ١٩٢٢[١٢٥]، وفي أواخر حياته العلمية خلـــف مـــن احتل نفس منصبه في أكسفورد: محمد حسين الغمراوي، (تخرج في دار العلوم عام ١٨٩٦)، موظفاً إداريـــاً

في مجمع اللغة العربية في القاهرة[١٢٦]، كما أسهم في تأليف بعض الكتب المدرسية، ومثل وزارة المعـــارف في مؤتمر المستشرقين عام ١٩٢٨ الذي انعقد في أكسفورد[١٢٧].

كان أبو الفتح سالم الفقي الذي تخرج في دار العلوم عام ١٩٠٧ زميل جاد المـــولى نموذجـــاً بـــارزاً بالقدر نفسه في التعليم المصري اجتاز امتحانات الزمالة في ريدينج في مادتي اللغة الإنجليزية والتربية، في عامي ١٩٠٩ و ١٩١٠[١٢٨]، ومثل جاد المولى قام بدور واضح في تفتيش المدارس والإدارة، وكان نشطاً في تعزيـــز تشجيع المدرسين بخاصة، كما انتخب عضواً وفدياً في أول مجلس للنواب عام ١٩٢٤[١٢٩] وأخيراً تم تعيينـــه عضواً في هيئة التدريس في دار العلوم، ثم أصبح وكيلاً لها في ١٩٣٥/١٩٣٦ ومتعدد النشاط كخريجـــي دار العلوم، رأس تحرير صحيفة دار العلوم، إلى أصدرتها جماعة دار العلوم، وكان يرأس هذه الجماعة أيضاً الـــتي تأسست في عام ١٩٣٣، وعلى شرفه، وبعد وفاته، أنشأ النادي جائزة سنوية تحمل اسمه، وتمنح لثلاثة مـــن الحائزين على أعلى الدرجات من خريجي دار العلوم في مواد اللغة العربية[١٣٠].

أما خريج دار العلوم الآخر في ريدينج، في هذه الفترة: عفيفي نصار، فقد حصـــل علـــى درجـــات اجتياز امتحان الزمالة على النحو التالي: اللغة الإنجليزية والتاريخ والتربية في عام ١٩٠٩، واللغـــة الإنجليزيـــة والتربية في ١٩١٠، حصل على أفضل الدرجات من بين زملائه الثلاثة، كما أجتاز امتحان التربية العمليـــة بتميز[١٣١] ولما عاد إلى مصر درس في المدارس الثانوية، وبعدها عمل في تفتيش المـــدارس[١٣٢] ومـــع هـــذا لم استطع أن أجد أي تفسير مقبول لحقيقة حصوله على راتب أقل من زميليه الآخرين بكثير في عـــام ١٩٢٧، مع أنه كان يدرس في تلك الفترة، وهما يعملان في التفتيش[١٣٣].

ثلاث مجموعات من خريجي دار العلوم اتجهت للدراسة في ريدينج، مجموعة ذهبت في عـــام ١٩٠٩، والأخرى في عام ١٩١٠ من هؤلاء الذين ذهبوا في ١٩٠٩ حصل اثنان على أعلـــى الـــدرجات في ١٩٠٩، وكان ترتيب الثالث العاشر من بين ستة وخمسين متخرجاً[١٣٤] وتكونت مجموعة ١٩١٠ من خريجي هـــذه السنة في دار العلوم، وهما الثاني والثالث على الدفعة، وأحد خريجي ١٩٠٧ ولم يذكر ترتيبـــه في ســـجلات ريدينج ولكن كان معروفاً أن ترتيبه فيها جاء في أواخر دفعته[١٣٥]، وقد أمضـــت هاتـــان المجموعتـــان دورة دراسية في ريدينج مدتها أربع سنوات تضمنت سنتين من الدراسة التمهيدية، وليس سنة واحـــدة فحســـب كالسابقتين، تبعتهما سنتان أخريان من الدراسة المنتظمة خلال تلك الفترة الزمنية، وكانوا الطلبة الوحيـــدين من غير الإنجليز الذين يضمهم مجموع الطلاب الذين يبلغ عددهم ١٣٦ طالباً.

روعى في برنامج هؤلاء الطلاب أن يبدأ، بعد تجربة العوامري، بقدر من العنايـــة تقضـــي بإعـــداد برنامج مناسب لكل مجموعة من الطلاب قبل التحاقهم بالدورات الدراسية المنتظمـــة في المدرســـة، بعـــد أن يقضوا سنتين تمهيديتين. أما الذين حضروا عام ١٩٠٩، وهم: محمد حسنين عبد الرازق، ومحمد محمد نجـــم، وعبد الحميد خضر عبد السلام، فقد تمت الموافقة على قبولهم بالمدرسة رسمياً في ١٩١١ لدراســـة المقـــررات التالية: اللغة الإنجليزية وأدبها والتاريخ، وأصول التربية والتدريب عليها، وذلك بالنسبة للســـنة الثانيـــة مـــن برنامج دبلوم الزمالة، كما كانوا يدرسون أيضاً أصول التربية، كما هو مشار إليه في الأقســـام (أ) و (ب) في مقرر السنة الثالثة. كما تقرر أيضاً أن يحصل محمد حسين عبد الرازق على دبلوم في الجغرافيـــا، وآخـــر في التربية البدنية[١٣٦]، ومع أن المكاتبات الخاصة بهذه المجموعة من الطلبة لم تحدد أي جزء من المقـــرر التعليمـــي للسنة الثالثة سوف يلغي، لكن يبدو من المكاتبات الخاصة بالمجموعة التالية أن ما ألغى مـــن المتطلبـــات هـــو "تقديم بحث"[١٣٧].

وبما أن "الدبلوم" كان يتطلب دراسة مدتها سنتان فقط، فإن الطلبة الإنجليز فقط، من طلاب الفرقة الثالثة هم الذين يتوقع حصولهم على درجة الليسانس أو البكالوريوس في نهاية المطاف.

لقد أمضى هؤلاء الدرعميون الثلاثة دورة تمهيدية مدتها عامان، التحقوا بعدها بريدينج، وساروا على خطى برنامج أسلافهم نفسه، بالإضافة إلى دراسة مقرر السنة الأولى من الدبلوم من مادة الصحة العامة والفيزياء والكيمياء(١٣٨).

عند دراسة المقررات الدراسية لطلبة كلية جامعة ريدينج خلال الأعوام التي اختلف فيها طلاب دار العلوم إلى دروسها، يبدو أنه يتشابه مع الدروس المقررة في دار العلوم من طرق عدة، خاصة في محتوى مقررات العلوم، مع أن مقررات الحساب في جامعة ريدينج تبدو أكثر تقدماً بعض الشيء(١٣٩)، ويمكن حصر الاختلاف الرئيسي في محتوى مقررات مادة التاريخ، فالمحتوى في جامعة ريدينج يحتوي القليل عن كل شيء، ما عدا التاريخ الإنجليزي. وتنبع حكمة إدراج الطلبة في فصول اللغة الإنجليزية، في المرحلة الإعدادية من أنها فرصة لإلقاء نظرة على مناهج اللغة الإنجليزية وآدابها لهذه السنوات، ومن واقع تقليص تدريس اللغة الأجنبية في مقررات دار العلوم سنة ١٩٠٦ وفي عام ١٩١١ – ١٩١٢ على سبيل المثال تضمن مقرر اللغة الإنجليزية للسنة الأولى في دار العلوم من بين مقررات أخرى: ثلاث مسرحيات لشكسبير، ومسرحية Duches of Malfi من تأليف Webster ، ومسرحية Dr. Faustus من تأليف Marlowe. أما مقرر السنة الثانية في هذا العام فكان David Copper Fiela ولإليوت Silas Marme ولثاكري Theackeray مسرحيتي Vanity Fait Esmond، وأشعار لتنسون Tennyson وبراونج

Browning وعلى حين نجد بعضاً من هذه الأعمال في جداول سابقة ولاحقة إلا أن الطلبة الذين انهوا دراستهم عام ١٩١٤ درسوا في مقررات الأدب لهاردي Hardy:

Far from the madding crowd martin dickens Chuzzowit: ولأوستن Pride and Prej dice: Austen ولسكوت Rob Roy: Scott وخمسة أعمال أخرى. إلى جانب دراسات في الرواية الإنجليزية بدءاً من فيلدنج Fielding، و "أعظم شعراء القرن التاسع عشر"(١٤٠) إلى جانب دراسة مقررات اللغة الإنجليزية المكثفة، وذلك قبل الانغماس في هذا البرنامج الذي استطاع كل طلاب دار العلوم اجتياز امتحاناته.

حصل الثلاثة المبتعثون من دار العلوم عام ١٩٠٩ على شهاداتهم عام ١٩١٣، بعد أن اجتازوا الزمالة للسنتين الأولى والثانية في مواد التاريخ واللغة الإنجليزية وأصول التربية وبعد عودتهم إلى مصر درس محمد نجم وعبد الحميد خضر في المدارس الابتدائي الحكومة، ويبدو أن محمد نجم، وكان الأول على دفعته، توف بعد ذلك بفترة قصيرة(١٤١). وانتقل عبد الحميد خضر سريعاً من مدرسة الناصرية إلى الخديوية الثانوية، ومنها إلى طنطا الثانوية وفي عام ١٩٢٥ عين ناظراً لمدرسة المعلمين الأولية في المنصورة، كما درس عاماً واحداً في دار العلوم قبل أن يتولى منصباً في التفتيش على المدارس ظل فيه حتى تقاعده عام ١٩٤٣(١٤٢).

ومثل الكثيرين من خريجي دار العلوم ألف محمد خضر كتباً مدرسية مع زملائه، وكان معظمها لمرحلة الدراسة الثانوية، وتتناول مواد مثل: علم النفس والمنطق والمطالعة، ومع هذا ألف كتاباً آخر في أصول علم التربية وكتابين للمدارس الابتدائية والإلزامية(١٤٣) أما الثالث من أعضاء هذه المجموعة المبتعثة إلى

انجلترا فلم يعد إلى مصر، وعين في أكسفورد حيث قام بالتدريس فيها لمدة عامين[١٤٤] عاد بعـــدهما لمصـــر، وأمضي فيها عامين قضي أحدهما أستاذاً في دار العلوم ثم عاد إلى انجلترا ليدرس اللغة الفارسية، ويدرس اللغـــة العربية في مدرسة اللغات الشرقية في جامعة لندن[١٤٥]. وفي عام ١٩٢٣ عاد إلى مصر، وانضـــم إلى هيئـــة التدريس في دار العلوم أستاذاً لأصول التربية، غير أنه سرعان ما انتقل إلى مدرسة المعلمين العليا وظـــل فيهـــا من ١٩٢٧ إلى ١٩٣٠. كما عمل مدرساً خاصاً للأمير فاروق [الذي كان ولياً للعهد، وسوف يتولى عـــرش مصر فيما بعد]، وبعد فترة أخرى وجيزة قضاها في دار العلوم شغل منصباً بارزاً في تفتـــيش المـــدارس وقـــد استخدمت الكتب التي ألفها للتدريس في دار العلوم والمعلمين العليا والمدارس الثانويـــة، وتناولـــت الفلســـفة والتربية والمنطق وعلم النفس وعلى الرغم من مشواره المتميز في الحياة، عاش وحيداً بلا أســـرة، وأوصـــى ألا يعلن عن وفاته، وأن يدفن في مقابر الصدقة[١٤٦].

آخر ثلاثة من خريجي دار العلوم درسوا في جامعة ريدنج هم زكي المهندس[١٤٧]، وشـــرف الـــدين محمود خطاب وإبراهيم حسين والي. وقد تخرج الأول والثاني في عام ١٩١٠ وأما إبراهيم والي فكان يعمـــل مدرساً في مدرسة محمد على الابتدائية منذ تخرجه في دار العلوم عام ١٩٠٧. غادر خريجاً ١٩١٠ القـــاهرة عام ١٩١٤ بعد أن أديا امتحانات السنة الأولى التمهيدية في اللغة الإنجليزيـــة والتـــاريخ وأصـــول التربيـــة وامتحانات السنة الثانية في مادتي التاريخ وأصول التربية وأما والي، و لم يكن مـــن الطـــلاب الأوائـــل أثنـــاء دراسته في دار العلوم فقد ترك جامعة ريدينج بعد أن اجتاز امتحان التربية للسنة الأولى، ومع هذا يقول عنـــه أساتذته إنه واجه صعوبات في البداية لضعف مستواه الشديد في اللغة الإنجليزية، مع أنه كان الأشد اجتـــهاداً بين الثلاثة ونال كل الرضا[١٤٨]، وعلى الرغم من أن الثلاثة لم يجتازوا امتحـــان درجـــة الزمالـــة في اللغـــة الإنجليزية إلا أنهم اجتازوا امتحان (أستاذ الأدب الإنجليزي) في الكلية، وبعض امتحانات الســـنة الثالثـــة في

التربية أيضا[١٤٩]. بعد عودة هذا الفريق إلى مصر عملوا جميعاً معلمين أولاً، وبعد ذلك مفتشين، ويجدر بالذكر أيضاً أن نشير إلى أنهم جميعاً عملوا أساتذة في دار العلوم، ولكن والي أمضى سنوات كثيرة في التدريس في المدارس الثانوية، وناظراً لمدرسة المعلمين الأولية في الجيزة، على حين أمضى الآخران معظم، أو كل فترات تدريسهما في دار العلوم[١٥٠]. ويبدو أن والي لم يؤلف أي كتب، عكس زميليه الآخرين، وعلى الرغم من أن له أخوين تخرجا في دار العلوم كان الوحيد من بينهم الذي أرسل إلى الخارج في بعثة حكومية.

وعلى الرغم من أن آخر دفعة من خريجي دار العلوم أرسلت إلى جامعة ريدينج للدراسة كانت في الفترة ما بين ١٩١٠ إلى ١٩١٤، إلا أن إرسال البعثات التعليمية توالي إلى جامعة ألبرت الملكية التذكارية في أكستر منذ بدأ عام ١٩٠٧، واستمر حتى عشرينيات القرن العشرين[١٥١] ونظراً لغياب المكاتبات المتبادلة الخاصة بوجودهم في اكستر فإن دراسة مدة إقامتهم في تلك المؤسسة التعليمية أمر بالغ الصعوبة، وخلال الفترة ما بين ١٩٠٧ و ١٩٢٣، درس قرابة اثنين وعشرين درعمياً في أكستر ومن عام ١٩٠٨ إلى ١٩٠٩ أعلن في صحيفة المدرسة عن دورة دراسية خاصة بالطلبة الأجانب تضم المواد نفسها التي درسها من حضروا امتحانات درجة الزمالة في جامعة ريدينج وهي: التاريخ واللغة الإنجليزية والأدب الإنجليزي وأصول التربية، إضافة إلى الفلسفة وعلم النفس (وهي المادة التي تحتويها دراسة علم التربية في أي مكان آخر)[١٥٢]. ويبدو أن وجود مقرر خاص بالأجانب جاء، أولاً، نتيجة وجود مصريين في السنة السابقة. وتتناقض رغبة اكستر في ضم برنامج الطلبة الأجانب إلى نشرتها الدورية مع البرنامج الذي تقدمه كلية إعداد المعلمين في جامعة ريدنج داي، حيث يضع البرنامج الطلاب المصريين تحت فئة "طالب خاص" المستقلة بنفسها. كما اختلفت كلية ألبرت الملكية التذكارية عن جامعة ريدنج في عام ١٩٠٧ – ١٩٠٨، في أنها كانت تقدم دورة مدتها سنة واحدة لمن أتموا دبلوم الزمالة في جامعة ريدينج، أو لمن أتموا دورة الجامعة. أما عن دورة

السنتين لمن اجتازوا الثامنة عشرة من عمرهم فكانت تسمح بالالتحاق لمن يحمل شهادة إجـازة المدرسـة أو ممن اجتازوا امتحان قبول جامعة لندن أو الاختبارات المحلية التي تقدمها جامعتا أكسفورد وكمـبردج. وقـد تحولت مدرسة اكستر إلى كلية جامعية تابعة لجامعتي لندن وكمبردج في عام ١٩٠١، وعلـى الـرغم مـن وجود قسم فيها لإعداد السيدات في ذلك الوقت، إلا أن قسم إعداد الرجال لم يفتح أبوابـه للقبـول إلا في عام ١٩٠٣ ويبدو أن الكلية نمت بسرعة لأن هيئة التدريس زاد عددها من ثلاثة عـام ١٩٠٨/١٩٠٧ إلى تسعة ١٩١٦/١٩١٥، ولم تصدر أي نشرة بعد تلك السنة واستمر الحال في اكستر، كما يبدو، علـى مـا كان عليه من تشجيع برامج الطلاب الأجانب: وكانت مدرسة الإعداد الوحيدة التي يوجه إليهـا الطـلاب المبتعثون من خريجي دار العلوم بعد عام ١٩١٠.

ومثل زملائهم في جامعة ريدينج، لعب الدرعميون المتخرجون في جامعة اكستر دوراً بـالغ الأهميـة في التعليم المصري في النصف الأول من القرن العشرين ومن بين اثنين وعشرين عمل تسعة عشر منهم علـى الأقل في إدارة التعليم من خلال نظام التفتيش على المدارس، حيث احتل معظمهم أعلى المناصب الإشـرافية، خاصة في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين. خمسة عشر منهم درسوا في دار العلوم التي تخرجـوا فيهـا، كان منهم وكيلان ونائب ناظر وناظر، وثلاثة عشر على الأقل ألفوا كتباً مدرسية، وشـاركوا في أعمـال ثقافية أخرى بمفردهم أو بالاشتراك مع زملائهم، وتولى نصف هؤلاء الخريجين تقريباً التدريس إما في مدرسة المعلمين العليا أو في كلية اللغة العربية في الأزهر، وحصل نصف هذه المجموعة من الخريجين على رتبة البكوية ومن بين ظواهر التميز بين هؤلاء المتخرجين في جامعة إكستر أن ستة منهم استأنفوا إعداداً إضافياً للحصول على شهادة "تدريس" من لجنة التعليم" وقاموا أثناء ذلك بالعمل محاضرين إمـا في جامعـة كمـبردج أو في

جامعة لندن، وأعرب أحد خريجي جامعة إكستر عن أسفه لأنه لم يكن متاحاً على أيامه (عام ١٩٢٤ حيث تخرج) الفرصة لخريجي دار العلوم لكي يحصلوا على درجة الدكتوراه من الخارج[١٥٣].

والحق أن أول من أكمل الدراسة حتى نال الدكتوراه من خريجي دار العلوم في تلك الفترة كان أبو العلا محمد عفيفي، الذي عين أستاذاً محاضراً في جامعة كمبردج من ١٩٢٤ حتى ١٩٢٩[١٥٤]. في عام ١٩٢٧ حصل على درجة الليسانس في الآداب من جامعة كمبردج من الطبقة الثانية ومنح درجة الدكتوراه عن: الفلسفة الصوفية لمحيي الدين بن العربي[١٥٥] the Mystical Philo sophy of muhyid – Din Ibnil Arabi، وبعد عودته إلى مصر عمل في جامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن)، حيث رأس قسم الفلسفة، وذلك في أوائل الأربعينيات من القرن العشرين[١٥٦]. وفي عام ١٩٤٩ عاد إلى انجلترا أستاذاً زائراً في جامعة لندن، وانصب اهتمامه عالماً مثقفاً على دراسة "التصوف الإسلامي" وإلى جانب ذلك ألف في المنطق وعلم النفس، ونشر فيهما كتباً قررتها وزارة المعارف في مدارسها، كما ترجم إلى اللغة العربية كتاب مدخل إلى الفلسفة لمؤلفه أوزوالدكيولب: introduction to philosophy by Oswald Kulpe[١٥٧]. كان الدكتور أبو العلا عفيفي أحد القلائل من خريجي دار العلوم، الذين لم يتدخلوا في موضوعات اللغة العربية وما يتصل بها، ولم يعمل في تفتيش المدارس، وحصل على رتبة البكوية في عام ١٩٥١[١٥٨].

ثلاثة آخرون من الدرعميين الذين تخرجوا في اكستر درسوا في كمبردح ولم يحصلوا على الدكتوراه مع أن أحدهم، وهو أحمد عيد خير الدين حصل على درجتي الليسانس والماجستير وكان يدرس فيها ما بين عامي ١٩١١و ١٩١٧، ولكن محمد علي مصطفى الذي جاء بعده، حصل على الماجستير الفخرية عام ١٩٢١[١٥٩] ويقال إن محمد علي أبو بكر إبراهيم حصل على شهادة أخرى في التدريس أيضاً أثناء تدريسه

في كمبردج، إلا أنني لم استطع تحديد أي تسجيل لهذه الشهادة[١٦٠] كان هؤلاء الثلاثة الأوائل على دفعاتهم في دار العلوم: خير الدين في ١٩٠٧، ومحمد على مصطفى في ١٩١٣، وأبو بكر إبراهيم في ١٩١٨ ويقال أن خير الدين حاول، أثناء وجوده في كمبردج، أن يحافظ على مستوى الكفاءة العالي الذي أرساه ممن جاءوا قبله وأثبت إبراهيم أبو بكر أنه الزميل الأكثر قدرة والأنسب طباعاً[١٦١].

وصل محمد علي مصطفى إلى كمبردج في ديسمبر ١٩١٩، وعاد إلى مصر في أغسطس ١٩٢١ لأن المصريين قرروا وقف إرسال مثل هؤلاء الأساتذة المحاضرين إلى انجلترا[١٦٢]. وقد حافظت البعثة التعليمية المصرية على الأعمال التي كان يضطلع بها محمد علي أبو بكر إبراهيم في عام ١٩٢٣ فور حصوله على شهادته ولكنه عاد إلى مصر بعد ذلك بسنة واحدة، ليتولى التدريس في مدرسة ثانوية[١٦٣].

في مصر عمل الخريجون الثلاثة في تفتيش المدارس، ولكن أبو بكر إبراهيم ومحمد علي مصطفى توليا في نهاية الأمر مناصب عليا في الإشراف على التعليم الإلزامي والابتدائي في مصر، وهو المنصب الذي منح محمد علي مصطفى بمقتضاه رتبة البكوية في عام ١٩٥٠[١٦٤]، وقد درس أيضاً كل من خير الدين ومحمد علي مصطفى في دار العلوم وفي مدرسة المعلمين العليا، وعمل خير الدين نائباً لوكيل دار العلوم ١٩٣٤/١٩٣٥، ووكيلاً لها من ١٩٣٥ حتى نهاية ١٩٣٨ وقبل هذه الفترة درس في كلية الحقوق، وفي كلية اللغة العربية في الأزهر الشريف، وكلية الشرطة، ومفتشاً في وزارة المعارف.

بقى أن نشير: كل هؤلاء الخريجين شاركوا في تأليف الكتب منفردين، أو بالاشتراك. ألف خير الدين، ومحمد علي معاً كتاباً مدرسياً في الفلسفة، على حين ألف خير الدين أيضاً مع زميله منصور سليمان،

الذي تخرج في اكستر عام ١٩١٢ كتاباً تربوياً، كما شارك أبو بكر إبراهيم في تأليف العديد مـــن الكتـــب المدرسية عن التربية الأخلاقية والتربية الإسلامية، مع لجان ضمت جاد المولى خريج جامعة ريدينج[١٦٥].

إلى جانب على الجارم تم ترشيح ثلاثة درعمين آخرين من خريجي جامعة اكستر لمجمع اللغة العربيـــة بالقاهرة وهم: عبد الحميد حسن، الذي تخرج عام ١٩١١، وحامد عبد القادر الذي تخـــرج عـــام ١٩٢٠، ومحمد مهدي علام الذي تخرج ١٩٢٢، والسمات المشتركة التي تجمع بين هؤلاء الرجال أنهم جميعاً درســـوا في دار العلوم، وعملوا في تفتيش المدارس، وأن لهم مؤلفات كثيرة وكان حامـــد عبـــد القـــادر أول مـــن تم ترشيحه للمجمع من الثلاثة، وكان أول دفعته في عام ١٩٢٠[١٦٦]، وبعد أن أتم الدورة التدريبية في اكســـتر تم انتدابه لتدريس اللغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية والأفريقية في جامعة لندن، وخلف في مكانه هـــذا محمد حسنين وبينما كان يضطلع بتدريس اللغة العربية فيها درس فيها أيضاً الفارسية والعبرية والآرامية وبعد عودته إلى مصر تولى التدريس في دار العلوم أولاً، ثم عين وكيلاً لكلية أصول الدين في الأزهر، وفيمـــا بعـــد أصبح مشرفاً على تعليم البنات، ثم على الامتحانات، وعندما أعيد تنظيم دار العلوم تم اختياره لتدريس علـــم النفس واللغة العبرية والفارسية، وبعد أن انضمت دار العلوم إلى جامعة القاهرة تولى رئاسة قســـم اللغـــات الشرقية والسامية فيها حتى عام ١٩٥٢ وفي ذلك الوقت انتقل إلى وزارة المعارف ليشرف على تعلـــيم اللغـــة العربية فيها كلها، وظل في هذا المنصب إلى أن تقاعد في عام ١٩٥٥، وفي العام نفسه تم ترشـــيحه عضـــواً بمجمع اللغة العربية.

أما عبد الحميد حسن فقد أمضى بعد عودته من انجلترا عدة سنوات في التدريس بمدارس حكوميـــة، ثم تقلد مناصب كثيرة، أولاً في دار العلوم، ثم في التفتيش، إلى جانب التدريس في المعلمين العليا، وفي النهايـــة

عاد إلى دار العلوم ليعمل وكيلاً لها قبل أن يتقاعد في عام ١٩٤٩، وفي فبراير ١٩٥٠ منح لقب البكوية[١٦٧] ورغم تأليفه الكثير من الكتب في الأدب والنحو كتب الكثير من المقالات خاصة في صحيفة دار العلوم في موضوعات مختلفة، بما فيها عن طرق التربية عند ديكرولي Decroly وعند مونتسوري وألف مهدي علام عدداً من الكتب عن الفلسفة الإنجليزية والعربية، ودرس في جامعة لندن بعد أن أتم دورته التدريبية في اكسترا عام ١٩٢٥[١٦٨]، وعندما عاد إلى مصر ١٩٢٧ تم اختياره لتدريس التربية أولاً ثم العربية في دار العلوم، وكان يشغل في الوقت نفسه منصب أستاذ الفلسفة الأخلاقية في تخصص المادة في الأزهر (القسم المخصوص) وفي عام ١٩٣٠/١٩٣١ عمل مثل عدد من زملائه من دار العلوم معلماً للأمير فاروق عندما كان ولياً للعهد[١٦٩].

وقد ترك مهدي علام مصر عام ١٩٣٦ ليقوم بالتدريس في جامعة مانشستر وحصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من هناك، وظل في انجلترا حتى عام ١٩٤٨ وحين عاد إلى مصر تولى أعلى المناصب الإشرافية في تعليم اللغة العربية، وهو منصب يهيمن عليه خريجو دار العلوم (عميد مفتش اللغة العربية)، وعند إنشاء جامعة إبراهيم باشا الكبير (عين شمس الآن) في عام ١٩٥٠ جمع في كلية الأدب بها بين رئاسة قسمي اللغة العربية وآدابها وقسم اللغة الإنجليزية وآدابها حتى عام ١٩٥٦، ومن عام ١٩٥٢ إلى ١٩٥٤ أصبح وكيلاً للكلية أيضاً، ومنذ عام ١٩٥٤ إلى عام ١٩٦١ أصبح عميداً لها أيضاً حتى تقاعده وكان لمهدي علام نشاط جداً بارز في مجلس البحوث الإسلامية بالقاهرة، كما عمل بالمجلس الأعلى لدار الكتب.

ثمة خريج آخر من اكستر درس في لندن هو محمد عطية الإبراشي تخرج في دار العلوم عام ١٩٢١، وهو أحد الدرعميين الأكثر إنتاجاً في مجال التأليف، أمضي معظم سنوات مشواره التربوي في الإدارة

التعليمية مع أنه درس في دار العلوم[١٧٠]، وعلى الرغم من أن الكثير من كتبه العلميـــة التعليميـــة تناولـــت موضوعات تتصل بالتربية وعلم النفس، اشترك أيضاً في تأليف كتب تتصل باللغة العربية مع زملائـــه مـــن خريجي دار العلوم، خاصة محمود السيد عبد اللطيف الذي تخرج في دار العلـــوم عـــام ١٩١٠ واشـــترك في تأليف كتاب علم النفس مع حامد عبد القادر، وألف علم النفس التربوية من خمسة أجزاء، في ثلاثة مجلدات طبع للمرة الرابعة عام ١٩٦٦[١٧١]، ولا أظنه مناسباً أن آتي هنا بقائمة إصداراته لأن دليل الكتـــاب العـــربي لسنة ١٩٧٢ ذكر له تحت اسمه ٢٧٢ عنواناً[١٧٢]، ويشير هذا الدليل إلى الكتب التي طبعت فقط، وجانـــب كبير من هذه الكتب موجه إلى الأطفال. وكان من بين خريجي اكستر الآخرين، ولعله أبرزهم، محمد نجيـــب حتاتة وتخرج عام ١٩٠٩ وعلي حسنين علي، وتخرج عام ١٩١١، وصالح هاشم عطية وتخرج عام ١٩١٦، وأحمد علي عباس وتخرج في عام ١٩١٣[١٧٣]. تولى حتاتة بعد عودته إلى مصر عـــام ١٩١٣ التـــدريس في عدد من المدارس الحكومية الابتدائية، ثم أصبح ناظراً لمدرسة المنيرة الابتدائية عام ١٩٢٠[١٧٤]، ومنـــذ عـــام ١٩٢٤ حتى سنة ١٩٤٢ عمل في عدة مناصب إشرافية في الإدارة التعليمية الابتدائية، حتى تم تعيينه عميـــداً لدار العلوم، وظل في منصبه هذا عميداً حتى عام ١٩٤٥، وكان أول رئيس لجماعة دار العلوم.

وقد درس علي حسنين أيضاً في المدارس الابتدائية ولكن بعد التخرج فقط، وذلك قبل أن يدرس في اكستر[١٧٥] ومنذ عام ١٩٢٠ وحتى ١٩٢٧ تولى التدريس في المستوى الثانوي، وفي تلك السنة عين ليـــدرس التربية في دار العلوم، وبعد سنتين انتقل لمنصب في مدرسة المعلمين العليا ثم إلى كليـــة الحقـــوق منـــذ عـــام ١٩٣٥ حتى سنة ١٩٤٥ وكان مفتشاً للتعليم الابتدائي ثم للتعليم الثانوي، حتى تم تعيينـــه مســـاعد نـــاظر التعليم في مديرية أسيوط، وفي المنصب نفسه انتقل بعد ذلك إلى الزقازيق، ثم إلى شمال القاهرة، وقـــد قـــام بكتابة عدد من القصص والكتب المدرسية للمدارس الثانوية. وكان لصالح هاشم زميله في دفعـــة تخرجـــه في

دار العلوم أخوان تخرجا من دار العلوم أيضاً وقد درس صالح هاشم عطية في دار العلوم، والمعلمين العليا مثـــل زملائه الآخرين من اكستر، وكان أحد معلمي الأمير فاروق ولي العهد، كما درس في كلية اللغة العربيـــة في الأزهر، وكان وكيلاً لها منذ عام ١٩٣٢ حتى ١٩٣٥، وبعد ذلك أبدى نشاطاً جمـــاً في التربيـــة الدينيـــة والبحث[١٧٦]. رابع هؤلاء الخريجين هو أحمد علي عباس، والذي بلغ أعلى الدرجات في تعليم اللغة العربيـــة حتى أصبح مديراً عاماً لها، واشترك في تأليف الكثير من الكتب المدرسية مع أحمد العوامري وآخرين[١٧٧].

إلى جانب هؤلاء الخريجين الذين أرسلوا إلى انجلترا لإعدادهم معلمين، ثمة خريج درعمي آخر هـــو محمد محمود جمعة الذي قضي أعواماً كثيرة في انجلترا، يدرس في جامعة لندن، وهو يحمل عدة شـــهادات في: الأدب وعلم الآثار واللغات السامية[١٧٨]، ومنذ عام ١٩٣١ حتى عام ١٩٣٩ عمل باحثاً في مدرسة اللغـــات الشرقية وتم انتخابه عضواً في الجمعية الأسيوية الملكية، ومشرفاً على قسم اللغة العربية في إذاعة بي. بي. سي. B,B,C, البريطانية باللغة العربية، فكان أول من وضع اللبنة الأولى في صرح وأســـلوب التحـــدث باللغـــة العربية إلى العالم المتحدث بها. ولما عاد إلى مصر في عام ١٩٤٧ عين لتدريس اللغات الســـامية والشـــرقية في دار العلوم، غير أنه توفى في السنة التالية. تمثل حياة محمد محمود جمعة المهنية في انجلترا، شأن محمـــد مهـــدي علام، تتويجاً للتقدم الذي بدأه المصريون لأول مرة بالتدريس في انجلترا، بعد سنوات كثيرة جداً في تـــدريس الأجانب في المدارس المصرية.

بدأت تلك العملية، بكل تأكيد، مع تقدم البرامج الخاصة في المستوى الجامعي، والتي كانـــت تعـــني بإرسال خريجي دار العلوم للتدريس في جامعات أكسفورد وكمـــبردج ولنـــدن، وظهـــر تعريـــف وظيفـــة أكسفورد، وكان عبد العزيز جـــاويش أول مـــن شـــغلها لعـــدة ســـنوات، في: Oxford University

Gazette، بأنها: (إعطاء دورة) تدريبية في اللغة العربية والمواد العربية التي يحتاجها من هم تحت الاختبار للوظائف الحكومية أو الخدمة المدنية، وعلى أنها متصلة أيضاً بالمعهد الهندي الذي يرتبط به أستاذ مادة Landias[١٧٩]. وكانت بداية البرنامج الأول في كمبردج بتعيين حسن توفيق العدل لمساعدة الأستاذ براون، فليس عجباً إذن أن تكون دار العلوم المعهد الذي يستمدون منه المساعدين، والسبب في ذلك بداهة أن دار العلوم كانت المعهد الوحيد في الشرق العربي الذي أنشئ خصيصاً لإعداد معلمي اللغة العربية للمدارس الحكومية.

كان كرومر، ومثله دنلوب يعتقدان أن إعداد الموظفين البريطانيين الذين سوف يعملون في مصر والسودان عربياً أمر هام، وعندما طلب دنلوب من كل الراغبين من البريطانيين العمل في وظائف الحكومة في مصر اجتياز امتحان في اللغة العربية أدى ذلك الشرط إلى أن يصبح تطوير تلك المناهج في انجلترا أمراً طبيعياً[١٨٠]. يقول كرومر إن دراسة اللغة العربية أمر هام بالنسبة للإداريين، كما هو بالنسبة أيضاً لدارسي تاريخ أدب الشرق، والذي يحدث أنه بمجرد وصول شاب إلى الهند أو الصين أو مصر، يشبع نفسه رضي بمعرفة سطحية للغة العامة وهي تفي بالأغراض العادية، لكنها لا تكفي بالمرة لكي تمكنه من التعامل مع المشكلات السياسية أو الإدارية التي تمس قضايا رفيعة[١٨١]، ومن ثم تقدم كرومر باقتراح إنشاء مدرسة الدراسات الشرقية في لندن، وكان رئيساً للجنة التأسيسية إلى أن استقال من منصب الرئاسة في عام ١٩١٤.

إن برنامج إعداد الموظفين الحكوميين في كمبردج هو المكان الوحيد الذي عثرنا فيه على أغلب المعلومات المتصلة به وفي أول تقرير عن نتائج الامتحانات، يقول فيه براون: إن الطلبة أمضوا ما يقرب من

أربع عشرة ساعة أسبوعياً، درس لهم فيها بنفسه، كما درس لهم حسن توفيق العدل[١٨٢]، وكـان امتحـانهم يتضمن أربع عشرة ساعة من الاختبار التحريري، ونصف ساعة شفوياً، تغطي ما في الكتـب المقـررة، وفي دقة الترجمة والقواعد والمنطق وفهم اللغة الأدبية المقروءة بصوت عال والخط وطريقة النطق والحـوار الأدبي، وإذا رغب المتقدم تم امتحانه في اللغة العامية العربية. يقول براون: تدرج الامتحان بتسامح، لكنـه طالبـهم بنسبة أربعة وتسعين في المئة للحصول على الشهادة من الدرجة الأولى. وعلى الجانب الآخر أدرك أن سـنة في كل الأحوال، (حتى لو كانت سنة كاملة وهو ما لم يحدث) ما هي إلا فترة زمنية قصيرة تكرس لدراسـة لغة – مهما يكن – هي أكثر صعوبة من الإغريقية، ومن ذا الذي يجرؤ على تحقيق ذلك، حتى ولـو كـان أقدر الرجال، بدون عمل جاد للوصول إلى معلومات عامة صحيحة عن الإغريقية في سنة، خاصة إذا كـان هذا يشمل القدرة على التعبير والفهم أيضا؟ وتتضمن الكتب الدراسية المقررة، إذا كـان مـن الضـروري ذكرها دراسة النسخة العربية لتقارير كرومر السنوية، وألف ليلة وليلة.

وأخيراً، في نهاية برنامج عام ١٩٠٥، بعد سنتين من بدء هذه الدراسـة تم تكـوين لجنـة خاصـة للإشراف على المتقدمين لوظائف في الحكومة المصرية والطلبة المترجمين الذين سـوف يرسـلون مـن وزارة الخارجية[١٨٣]، وكان على لجنة المساعدة إلا تدبر الموارد المالية لتمويل المتقدمين فحسب، وإنمـا تشـجعهم على دراسة اللغات الشرقية أيضاً.

وفي جامعة كمبردج كان المعلمون المساعدون في البرنامج يحملـون لقـب "معلـم جـامعي"، وفي مناقشة الهدف الذي أدى إلى تعيين براون ناظراً لمدرسة اللغات الشرقية الحية، ذكر: "الوظيفة المؤلمة للغايـة" التي وضع فيها نظراً لوفاة حسن توفيق العدل[١٨٤]، وقد نتج عن تكوين لجنة جديدة انتقال التعيينات الخاصـة

بالمعلمين المصريين من المجلس الخاص بدراسات الإدارة المدنية الهندية إلى لجنة طلب المساعدة الأجنبية في عـــام ١٩٠٦.

كان خريج دار العلوم الذي يدرس في كمبردج أثناء فترة الانتقال هو محمد عسل، وقـــد تخـــرج في دار العلوم عام ١٩٠٠ ووصل إلى كمبردج في أكتوبر ١٩٠٤ ليشغل مكان حسن توفيق العدل[١٨٥] عنـــدما كان في السنة الأولى له في التدريس، وامتدحه براون قائلاً عنه: إنه طالب لا عيب فيه ومعلم ممتـــاز، وظـــل هنا إلى أن استدعته الحكومة المصرية عام ١٩١١[١٨٦]، وقد حضر محمد عسل مؤتمر المستشرقين الذي عقـــد في الجزائر عام ١٩٠٥، وهو المؤتمر الذي التقى فيه عبد العزيز جاويش مع الزعيم مصـــطفى كامـــل، وهـــو مؤتمر كانت الحكومة المصرية قد أوفدت إليه أربعة من المصريين. وأثناء وجـــوده في انجلتـــرا تلقـــى عســـل بالإضافة إلى راتبه الإنجليزي، وقدره ١٤٤ جنيهاً إسترلينيا سنوياً مرتباً مصـــرياً قـــدره ١٠ – ١٦ جنيهـــاً مصرياً شهرياً[١٨٧]، وعندما حان موعد عودته كان قد أكمل شهادة بكالوريوس الزراعة من كليـــة بمـــبروك Pembrok، كما منحته الكلية نفسها درجة الماجستير الفخرية[١٨٨] وبعد عودته إلى مصر عمـــل مفـــتش مدرسة، حتى تم اختياره في عام ١٩١٤ رئيساً للمكتب الأوربي في وزارة الأشغال العموميـــة[١٨٩]. وفي عـــام ١٩١٩ طلبت وزارة الزراعة نقله إليها ليساعد في رفع مستوى التعليم الزراعي، طلبت الوزارة هذا الـــتعين لأن الشهادة التي حصل عليها من جامعة بمبروك كانت في الزراعـــة النظريـــة والعمليـــة وفي الفيزيـــاء مـــع التخصص في الكيمياء الزراعية[١٩٠].

وأخيراً تقلد منصب ناظر قلم الترجمة في وزارة الزراعة ومنصب مفتش أول، كما درس في مدرسة الزراعة العليا، مقدماً الكثير من ترجمة المصطلحات العلمية والفنية إلى اللغة العربية، وتوفي في عام ١٩٣٥[١٩١].

ظل خريجو دار العلوم الذين يعملون بالتدريس في جامعة كمبردج يحملون لقب معلم جامعي حتى عام ١٩١٩، لكن مجلس دراسات الإدارة المدنية الهندية شعر بأن هذا اللقب لا يشير بشكل كاف إلى وضع هؤلاء الذين يؤدون أعمال المجلس ومنذ وافقت لجنة طلبة المساعدة الأجنبية تغير اللقب، وعلى حين كان لقب محمد علي مصطفى في ديسمبر ١٩١٩ "معلم جامعي"، حمل عندما عين للمرة الثانية في نوفمبر ١٩٢٠، لقب محاضر Lecture وأطلق أيضاً على خريجي دار العلوم الذين تولوا التدريس بعد ذلك في عشرينيات القرن العشرين لقب "محاضر"[١٩٢].

في ضوء ما سبق يتبين لنا الدور الهام الذي قام به خريجو دار العلوم في تطوير الدراسات الشرقية واللغة العربية في بريطانيا.

لكن ماذا عن التأثير الكلي لعلاقة بريطانيا مع مصر على دار العلوم؟ تبين لنا أن سياسة بريطانيا التعليمية في مصر محكومة في أغلب عناصرها باعتبارات سياسية واقتصادية، على الرغم مما أدركه كرومر وزملائه من أهمية التعليم في إعادة سيطرتهم على المصريين وقد استفادت دار العلوم، بوصفها معهداً لإعداد المعلمين من وجود التعليم البريطاني أكثر من التعليم المصري بعامة لأن البريطانيين شعروا بأهمية هذا الإعداد لتحسين نظام التعليم المصري، وأن ذلك لا يشكل أي تهديد لوضعهم في مصر وزيادة على هذا، إلى جانب الهدفين التوأمين اللذين يتحققان وهما: إعداد المعلمين إعداداً متقدماً، وتمثلهم للثقافة البريطانية، مما يزكي

إعجابهم واحترامهم لسلطات الاحتلال، وقد شجعت السلطات البريطانيــة إدارة البعثــات التعليميــة الــتي أرسلت خريجي دار العلوم إلى المعاهد البريطانية المتخصصة في إعداد المعلمين، وعندما عــاد معظــم هــؤلاء الخريجين إلى مصر احتلوا أمكنة بارزة في التعليم القومي، فشغلوا الوظائف الإدارية العليا في التعليم الإلزامــي، وشغلوا مناصب تدريس اللغة العربية وآدابها في الجامعات المستجدة، وفي المعاهد العليا القديمــة وفي الأزهــر أيضاً.

ولكن البعثات التعليمية هذا أثرت على دار العلوم أيضاً بطريقة خاصة جداً، حين أوجدت شــعوراً قوياً بالتماسك بين مجموعة منتقاة من خريجي الكلية، تعهدت بالمحافظة على دار العلوم وسمعتــها بقــوة[١٩٣]، ويمكن إدراك مدى تأثير هؤلاء الخريجين في دار العلوم من خلال نشاطهم في منظمتهم التي أنشأوها في عــام ١٩٣٣ وحملت اسم جماعة دار العلوم، وعندما درست قيادتها وهيئة تحرير صحيفتها التي تحمل اسم صحيفة دار العلوم، وظلت تصدر من عام ١٩٣٣ إلى عام ١٩٤٩[١٩٤]، وجدت أن أول رئيسين لهــا، وهمــا: أبــو الفتح الفقي من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٦، ومحمد نجيب حتاتة من ١٩٣٦ إلى ١٩٤٦، أحدهما درساً في ريــدينج واكستر على التوالي، أضف إلى ذلك أن من بين أعضاء هيئة التحرير الثمانية والعشرين للذين تخرجوا في دار العلوم عام ١٩٢٣، أو قبل ذلك، حصل ستة عشر منهم على شهادات هيئة التعليم في انجلترا. مــع اقتــران إعجاب الدرعميين بكليتهم الأم والذي أوجدته وقوته فرصته حصولهم على الدراسة في الخــارج، اســتطاع هؤلاء الخريجون الذين درسوا أيضاً في معاهد إعداد المعلم الإنجليزية، أن يكتسبوا إحساساً عاليــاً بالحرفيــة والثقة بالنفس، وهو ما نقلوه إلى زملائهم في مصر (ممن لم يدرسوا في الخارج)، وقد اشتملت طبيعــة تلــك الحرفية على قوة دفع مضاعفة في إنجاز عملهم، معلمين أو طلاب علم، وقادهم الإنجاز الأول إلى تعهد قــوي بتحسين حال التعليم وإعداد المعلم في مصر، وأدى الإنجاز الآخر إلى أن تتبوأ دار العلوم مكانة رفيعة، انتهت

بها إلى أن تصبح كلية جامعية مرموقة بعد أن كانت مجرد معهد لإعداد المعلمين وكان ضمها للجامعة في عام ١٩٤٦ تتويجاً للنجاح الذي أظهرته على امتداد تاريخها العريق.

***

الهوامش:

(١) اللورد دوفرين، التقرير العام عن إعادة تنظـــيم مصـــر، General Reporte on the Reorganization of Egypt، ٦فبراير ١٨٨٣، وزارة الخارجية ٣٥١٦/٧٨، ص١٧-١٩.

* عمل اللورد دوفرين حاكماً عاماً لكندا وبعد تقريره هذا عن مصر عُين نائباً للملك في الهند.

(٢) مصر والسودان Egypt and Soudan مصر والسودان، خطبة ألقاها السير ســـتافورد نورثكـــوت Stafford Northcot، وهو Sir الذي أثار فكرة الاقتراع من أجل الاســـتهجان .M.P في ١٢ فبرايـــر ١٨٨٤، ص١٤.

(٣) نقلت صحيفة التايمز مناقشة برلمانية عن شئون مصر، في ١٦مايو ١٩١٩، تتضمن قرار وزارة الخارجيـــة رقم ٦٦٦/٧٨/٣١/٣٧١٦/٣٧١. والخاص بالزعماء المصريين الثلاثة الذين ذهبوا إلى دار المندوب السامي البريطاني في القاهرة في نوفمبر ١٩١٩ يطالبون بالاستقلال، وهم: سعد زغلول، وعبد العزيز فهمي، وعلـــي شعراوي.

(٤) معظم دراساتي عن جلادستون، مستمدة من بحث كتبته عنه في حلقة دراسية حولـــه، وعـــن بنيـــامين دزرائيلي نظمها الأستاذ ج.س.براون في عام ١٩٦٩. وبعض الأعمال المفيـــدة عـــن آرائـــه في السياســـات الإمبرابالية تتضمن ما كتبه بول نابلوند Poul knaplund في:

Gladstone and Btitian's Imperial polecy (London١٩٦٦)

- ول. ج. لـــو C.J. Lwe: the Reluctart Imperialists British foreign plicy, (١٩٦٩ London) ١٨٤٨-١٩٠٤
- وفيليب ماجنوس Philip Magnus: Glidstone: A Biography, (London ١٩٥٤)
- وفيليب جيودالا: Philip Guidalla –الملكة وجلادستون (جاردن ســيتي١٩٣٤) the Queen and Gladston
- وجون لورانس ليبيريتون هاموند John Lawrence le Breton Hammond Gladstone and the lrish Nation لوزان ١٩٦٤.

وهذا الكتاب يناقش كتاب من رونالد روبنسونR. Robison وجون جلافر John Gallpher مع أليس ديني Alice Denney وهو بعنوان: أفريقيا والنظـــام الفيكتـــوري (لنـــدن ١٩٦١) Africa and the Victorians. وهو يناقش الأحداث التي أحاطت بالقرار البريطاني الذي يقضي بإرسال قوات إلى مصر.

(٥) أنظر أيضاً ما كتبه تحت عنوان: غزو مصر والمملكة المتحدة في الشـــرق Agression {sic} Egypt and freedon in the East الذي نشر في لندن، يونية ١٨٨٤.

(٦) كتب المركيز زيتلاند Zitland سيرة كرومر المعتمدة في كتاب له بعنوان: اللـــورد كرومـــر (لنـــدن ١٩٣٢)، كما يقدم لنا كتاب ألفه كرومر نفسه بعنوان مصر الحديثة Modern Egypt (لندن ١٩١١)، كماً كبيراً من المعلومات عن أعماله في مصر، من وجهه نظره طبعاً وقد قرأت كل الملفات المتصلة بكرومـــر في وزارة الخارجية البريطانية (Fo ٦٣٣ Cromer papers، في مكتب السجل العام بلندن.

ولمن يريد دراسة الاحتلال البريطاني لمصر سوف يكون كتاب روبرت تيجنـــور Robert Tignor مفيـــداً للغاية وهو بعنوان التحديث ودور الاحتلال البريطاني لمصـــر، ١٩١٤ -١٨٢٢ Modernization and British Rule in Egypt ولكنه يعتمد كلياً على مصادر غير مصرية. وتعتمد عفاف لطفي السيد بقـــوة في كتابها مصر وكرومر دراسة في العلاقات الإنجليزية المصرية (لنـــدن ١٩٦٨) Egypt and cromer:A study in Anglo Egyptian Relations على المصادر الواردة في كتاب روبرت تيجنور هذا.

- الجزء الثاني من كتاب: ج.ب. فاتكيوتيس P.J. Vatkiots تاريخ مصـــر الحـــديث Modern The History of Egypt (لندن ١٩٦٩)، وهو كتاب نافذ البصيرة أحياناً، إلا أنه يتنـــاقض مـــع نفســـه أحياناً أخرى.

- كتاب جاك بـــيرك Jacques Berque مصـــر الإمبرياليـــة والثـــورة (لنـــدن ١٩٧٢): Egypt imperilime and Revoluation وقام بترجمتـــه إلى اللغـــة الإنجليزيـــة جـــان ســـتيوارت Jean Stewart وهو كتاب رائع أحياناً، ولكنه أقل تنظيماً.

أما الكتب التي تناولت نظام كرومر نفسه بالنقد فهي:

- عبد الرحمن الرافعي: مصر والسودان، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٦٣. ومصطفى كامل، الطبعة الثالثـــة، القاهرة ١٩٥٠، ومحمد فريد، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٦١.

- أحمد شفيق: مصر الحديثة والتأثيرات الأجنبية (القـــاهرة ١٩٣١). L'Egypte moderne, et les enfluenes Etrangere. وكتابه مذكراتي.

- جرجس سلامة: أثر الاحتلال البريطاني في التعليم القــومي في مصــر (١٨٨٢- ١٩٢٢)، القــاهرة ١٩٦٥.

(٧) هذه المعلومة مستقاة من النص المنشور في جريــدة The Daily Thelegraph، في ٣٠ ينــاير1917. وزارة الخارجية ٦/٦٣٣.

(٨) يقول كتري في صفحة ٨٨ من كتابه: إن كرومر مكث في مصر من عام ١٨٧٧ حــتى عــام ١٨٨٠، ولكن كتاب كرومر نفسه مصر الحديثة بقول في ٩٩ إنه ترك مصر في ٢٤ مايو عندما حل محلــه الســير أو كلاند كولفن Auckland Calvin، وكان كولفن محباً لكرومر، ومؤيداً للحكــم البريطــاني في مصــر، وألف عن ذلك كتابه: صُنع مصر الحديثة (لندن ١٩٦٠). The Making of Modern Egypte.

(٩) The Daily Telegraph في ٣٠مايو ١٩١٧ ص٨.

(١٠) The Examiner في ١٧ إبريل ١٨٨٠، وزارة الخارجية ٣/٦٣٣ ص٣.

(١١) من بارينج إلى جرانفيل في ٢٦ يناير ١٨٨٥، وزارة الخارجية ٨٢/٣٧٩٩/٧٨.

(١٢) من كرومر إلى اللــورد كمــبرلي Lord Kimberley في ٣ نــوفمبر ١٨٩٤(خصوصــي)، وزارة الخارجية ٢٢٣/٦/٦٣٣. وفي جامعة ميتسشيبجن رسالة عن عباس حلمي الثاني تقدمت بها آن مــاير Ana Mayer.

(١٣) من كرومر إلى مســتر سراتشــي M.r Strachey في ١٨ مــايو ١٩٠٦ ص٤٢٤-٤٣٤، وزارة الخارجية ٨/٦٣٣.

(١٤) لورد دوفرين: General Report، ص٩-١٣.

(١٥) من بارينج إلى ساليسبري، في ٢ يناير ١٨٩١، وزارة الخارجية ١٢٦/٦/٦٣٣ (خاص).

(١٦) إجيبشيان غاريت The Egyptian Gajette في مايو ١٩٠١، وزارة الخارجية ٢٥/٦٣٣.

(١٧) من بارينج إلى جرانفيل، في ٢٦ يناير ١٨٨٥، وزارة الخارجية البريطانيـــة ٨٢/٣٧٩٩/٧٨. ومـــن اللورد كرومر إلى اللورد مورلي في ٢٩ نوفمبر ١٩١١. ومن كرومر إلى الســـير ج. ريـــز Sir J.Rees في ٢٤ نوفمبر ١٩١١، وزارة الخارجية ٢/٦٣٣.

(١٨) عنوانه: الوضع في مصر، The Situation in Egypt، وقدم إلى نادي الثمـــانين Eight Club في ٥ ديسمبر ١٩٠٨، وزارة الخارجية ٢٦/٦٣٣. من كرومر على جرانفيل، في ٢٨ أكتـــوبر ١٨٨٣، وزارة الخارجية ١٥٢٧/٦/٦٣٣.

(١٩) من كرومر إلى مورلي في ٢٩ نوفمبر ١٩١١وزارة الخارجية ٢٠/٦٣٣.

(٢٠) كرومر، مصر الحديثة، ج٢، ص٢٩٣-٢٩٤.

(٢١) جرجس سلامة، أثر الأحلاق ص٥، وكلمة "ربما" إضافة من عندي.

(٢٢) أحمد شفيق، مصر الحديثة، ص١٩٥.

(٢٣) لورد دوفرين، التقرير العام، ص١٤٩-١٥٠.

(٢٤) المصدر نفسه، ص١٥٩.

(٢٥) المصدر نفسه، ص١٦٤-١٦٥.

(٢٦) المصدر نفسه، ص١٦٢-١٦٣.

(٢٧)كتري، ص١٠٣.

(٢٨) المصدر نفسه، ص١٠٤.

(٢٩) من كرومر إلى جراي، في ٦ ديسمبر ١٩٠٦، وزارة الخارجية ٢١٨/٣٩٧/١٤١.

(٣٠) كتري، ص٢٤٤-٢٤٥، وهوامش ص ٤٩٤.

(٣١) المصدر نفسه، ص٢٤٥.

(٣٢) وزارة الخارجية ٢٦٣/١٤١: من ج. أليتون إلى يونسفو، في ٤ يناير ١٨٨٩، وهو مذكور في ما أرسله ساليسبري إلى بارينج في ٧ يناير ١٨٨٩ رقم١٣. ومن جون أليسرن إلى في ١١ يناير ١٨٨٩، وقد تضمنت ما أرسله ساليسبري إلى بارينج في ٧ يناير ١٨٨٩ رقم ١٣. ومن جون أليسرن إلى ؟ (هكذا في الأصل) في ١١ يناير ١٨٨٩، متضمنة ما أرسل ساليسبري إلى بارينج في ١٥ يناير ١٨٨٩، رقم ٢٢.

(٣٣) الجريدة الرسمية Journal Official الصادرة في ٣ إبريل ١٨٨٩، وتضمنتها رسالة بارينج إلى ساليسبري في ٤ إبريل ١٨٨٩، وزارة الخارجية ١٧١/٤٢٣٩/٧٨. ويذكر كتري في ص ٢٤٦: أن بارينج نشر المقالة في الجريدة في ٢ إبريل ١٨٨٩.

(٣٤) نظارة المعارف العمومية، النشرة الوزارية، رقم ٢٦٣، في فبراير ١٨٨٩.

(٣٥) كتري، ص١٤٩.

(٣٦) نظارة المعارف العمومية، النشرة الوزارية، رقم٤١٧، في ١١ مارس ١٨٩٧، وفقاً للأمـــر الخـــديوي الصادر في ٨ مارس، والقرار الوزاري رقم ٥٦٢ الصادر في ٩ مارس ١٨٩٧.

(٣٧) من كتشنر إلى جراي، في ٢٥ مايو ١٩١٣، وزارة الخارجية ٥٦/٢٤٨٨٥/١٦٣٩/٣٧١.

(٣٨) المرجع نفسه.

(٣٩) كتري، ص٣٧٢ وما يليها.

(٤٠) المصدر نفسه، ص٢٥٠و٢٤٧.

(٤١) المصدر نفسه، ص٢٤٧-٢٤٨.

(٤٢) يعود امتداد فترة أمين سامي باشا الطويلة لنظارة دار العلوم لما يتمتع به من مثل هذه الصفات والمزايا.

(٤٣) كتري، ص٢٥٢.

(٤٤) المصدر نفسه، ٢٥٧-٢٥٨.

(٤٥) المصدر نفسه، ٢٥٧.

(٤٦) المصدر نفسه، ٢٥٥-٢٥٦.

(٤٧) من ساندرسون إلى بورتَل، في أكتوبر ١٨٩٠، وزارة الخارجية ٢٠٨/٢٧٥/١٤١، وقـــد تم تعـــيين أربعة أخرى أيضاً.

(٤٨) من دنلوب إلى كرومر في ١٦ إبريل ١٩٠٧، وزارة الخارجية ١٢/٦٣٣ ص٣٣٤.

(٤٩) كتري ص٢٤٨، وهي مقتبسة من كرومر إلى ساليسبري، في ١٩ مايو ١٨٩٩، وزارة الخارجية ٣١٣/٦/٦٣٣.

(٥٠) من كتشنر إلى جراي، في ٢٥ مايو ١٩١٣، وزارة الخارجية ٥٦/٢٤٨٨٥/١٦٣٩/٣٧١. ومن ماليت إلى سكرتير لجنة التعليم في ١٠ يونيه ١٩١٣، وزارة الخارجية ٢٤٨٨٥/١٦٣٩/٣٧١. ومن ل.أ. سيلي بيج إلى نائب وزير الخارجية، وزارة الخارجية في ١٢ يونيه ١٩١٣، ٢٧٠٨٠/١٦٣٩/٣٧١، وتشير إلى أنه لم يكن ثمة شيء متوفر.

(٥١) أفضل سيرة ذاتية لسعد زغلول قبل عام ١٩١٤ هي ما كتبه عنه عبد الخالق محمد لاشين بعنوان: سعد زغلول، القاهرة ١٩٧١. وقد تناول راسيل ي. سميث Russell Y. Simith علاقات سعد زغلول بالبريطانيين في رسالة دكتوراه كتبها لجامعة ولاية أوهابو عام ١٩٧٣ تقريباً. وتم تسجيل أحداث دنشواي باستفاضة، كما تمت مناقشتها في مدونات التاريخ السياسي، ومن المعروف بعامة أن العدالة أجهضت بكثرة من قبل البريطانيين في تعاملهم مع المصريين.

(٥٢) بيركو، مصر، ص٢٨١-٢٨٢.

(٥٣) ويقول عبد الخالق لاشين في صفحة ١٤٥ إنه تولى نظارة الحقانية (العدل الآن) نتيجة الضجيج والهياج الذي تلا اغتيال بطرس غالي أثناء انعقاد لجنة مناقشة امتيازات قناة السويس.

(٥٤) من كرومر إلى جراي، في ٢٧ أكتوبر ١٩٠٦، وزارة الخارجية ١٣/٦٣٣ (خاص) ص٣-٥.

(٥٥) من كرومر إلى جراي، في٣ مارس ١٩٠٧، وزارة الخارجية ١٣/٦٣٢ (خاص).

(٥٦) من جورست إلى كرومر، في ٢٦ مارس١٩٠٩، وزارة الخارجية ١٤/٦٣٣.

(٥٧) من جراي إلى كرومر، في ٢ نوفمبر١٩٠٦، وزارة الخارجية ١٩٦/٣٩٧/١٤١. (سري مسودة).

(٥٨) جراهـــام: Appreciation of the Attached Eastern Report No. XCIX: Egypt (سري، Secret) في ١٩ ديسمبر ١٩١٨، وزارة الخارجية ٢٠٧٨٠٥/٣٢٠٤/٣٧١، مســـودات لويـــد جراهام.

(٥٩) المصدر نفسه.

(٦٠) من كرومر إلى جروست، في ١٢ مارس ١٩٠٦، وزارة الخارجية ١٤/٦٣٣.

(٦١) تقرير السير إن بارينج عن الموارد المالية والوضع العام في مصر عـــام ١٨٩١ في ٢٩ مـــارس ١٨٩١، وزارة الخارجية ٤٠٨٨/٧٨، (إلى ساليسبري).

(٦٢) مذكرة، ١٩٠٤، ص٦-٦٣، مذكرة لعام ١٩٠٦، ص٩٣. ومذكرة لعام ١٩١٣، ص١٠٦-١٠٧.

(٦٣) سوف تتم مناقشة دورهم في إعداد المعلم، وتفتيش المدارس في الفصل السابع والثامن، وأنظـــر أيضـــاً الملحقة رقم ٢.

(٦٤) مذكرة لعام ١٩١٣، ص١٠٦-١٠٧.

(٦٥) ١٨ فبراير ١٩١٤، وزارة الخارجية ١٢٤٧٣/١٩٦٦/٣٧١.

(٦٦) من سمو وزير النظام إلى مساعد أول المندوب السامي، حيـــدر أبـــاد، في ٢١ يوليـــه ١٩١٤، وزارة الخارجية ٢٨/٥١٨٨٩/١٩٦٦/٣٧١ ج.

ويتضمنه رقم ١٠٣، في رقم وزارة الخارجية نفسه المرسل إلى وزير الدولة، وزير خارجية الهند، المركير كرو في ٢٠ أغسطس ١٩١٤ (سري –داخلي).

(٦٧) من كتشنر إلى جراي، في ١٥ مارس١٩١٤، وزارة الخارجية ٣٧١/١٩٦٦/١٢٤٧٣/٤٠.

(٦٨) من و. لانجلى إلى كيتشنر لوزير الخارجية، وزارة الخارجية في ٢٢ ابريل ١٩١٤، وزارة الخارجية ٣٧١/١٩٦٦/١٥٦٠٥.

(٦٩) هذا هو اللقب الجديد للمنصب الذي يشغله كرومر.

(٧٠) ١٣ يناير ١٩١٩، وتتضمن ما أرسله وينجيت Wingate إلى كيرزون Curzonفي ٢٠ يناير ١٩١٩، وزارة الخارجية ٣٧١/٢٠٨٣٥/٣٢.

(٧١) من السكرتير الخاص إلى أ.ج/ ج.هـ،و.ك. في ٨ يونيه ١٩٢٠، وزارة الخارجية ١٤١/٤٨٦/١٢٧٣٩٠/ وقد أجبرت الوزارة على استئجار مباني خاصة، مثل أملاك جناكليس بينما شغلت مدارسها الخاصة بها.

(٧٢) من ألدرد براون Aldred Brown إلى المندوب السامي في ٢ يوليه ١٩٢٠، وزارة الخارجية ١٤١/٤٨٦/٧٣٩٠/١٨.

(٧٣) ٣ يوليو ١٩٢٠، وزارة الخارجية ١٤١/٤٨٦/٧٣٩/١٩ (عاجل).

(٧٤) مقدم لمقر المندوب السامي في ٢٠ يوليه ١٩٢٠، وزارة الخارجية، ١٤١/٤٨٦/٧٣٩٠/٢٦.

(٧٥) كان العدد كبيراً جداً، مما أدى إلى تشكيل لجنة خاصة للإشراف عليهم كان من بين أعضائها حفني ناصف، ومحمود أبو النصر، وفقاً للقرار الوزاري رقم ١٧٣ الصادر في ٢٦ مارس ١٩١٣، ويوجد ضمن الملف رقم ١٦٩٢٩/١٩٦٦/٣٧١ وزارة الخارجية. وفقاً لإحصائيات المصريين في الخارج عام ١٩١٣، والتي يتضمنها ملف رقم ٤٤٠٠/١٣٦٩/٣٧١، وزارة الخارجية ١٠ سبتمبر ١٩١٣، وقد تم إرسال ٩١ مصرياً فقط، للدراسة في الخارج من بين ٧٠٦ طلاب للدراسة في الخارج، إما عن طريق الحكومة أو الهيئات المحلية، أو الجامعة.

(٧٦) دو فريك، التقرير العام في ٦ فبراير ١٨٨٣، وزارة الخارجية ٣٥٦٦/٧٨ صفحة ١٥٨.

(٧٧) طبقاً لرسالة من يعقوب أرتين، حدّد القرار الوزاري الصادر في ٩ يونيه ١٨٨٥ معاشاً قدره ثمانية جنيهات شهرياً لخريج دار العلوم حين يرسل إلى أي جامعة أوروبية لتدريس اللغة العربية فيها بنية أن يدرس الباحث في الوقت نفسه وذهبت الرسالة الأولى إلى ساليسبري عندما كان لما يزل رئيساً للوزراء، إلا أن جميع المباحثات تمت مع من جاء بعد روز بيري وكان بيان يعقوب أرتين مطويا في الرسالة الموجهة من بارينج إلى روز بيري (كتب انه كتب الرسالة بناء على طلب بارينج الذي تضمنته الرسالة) ١٢ فبراير ١٨٨٦، وزارة الخارجية٧٨/٣٩٢٣/٦١. وفي كتاب كتري ص١٦٨ تاريخ الاقتراحات بإرسال الطلاب إلى إنجلترا خلال سنة بعد ذلك أي في عام ١٨٨٩.

(٧٨) تتضمن مذكرة عام ١٩٠٦ ميزانيات التعليم في ص٧، وتتضمنها مذكرة ١٩١٣ في ص١٩٦، والأرقام التي يقدمها كتري، وهي تقريبية، في صفحة ٥٤١، وتميّز بين نصيب الحكومة والموارد الأخرى، مثل الرسوم المدرسية، صناديق الوقف وغيرها، على حين تشير المذكرات إلى ذلك إجمالاً. وقد أوصت

اللجنة، وكان بارينج عضواً فيها بمبلغ ٩٤ ألف جنية مصري في العام، وطبقاً لما يقولــه كــتري في كتابــه صفحة ١٩٥ فإن نورثبرول احتج على هذا.

ويمكن صرف مبالغ إضافية فقط بعد تخصيص مبلغ مساو لخفض الدين. و لم تتعد نفقة الحكومــة الإجماليــة على التعليم، بما في ذلك ما أنفقته نظارة الأشغال العمومية لملي المباني المدرسية مقدار أثــنين في المائــة مــن إجمالي الميزانية لأي ستة وفي عام ١٩٢٣ كان المبلغ المقترح لميزانية التعليم ١,٣٤١,٤٤٨ جنيهاً مصرياً فقط من إجمالي الميزانية وقدره ٣٤,٩٠٥,٠٠٠ جنية مصرياً، في ضوء ما ورد في ألنبي Allenby إلى كيرزون في ٢ يوليه ١٩١٩، وزارة الخارجية ٣٧١/٣٧٢٦/١١٣١٣٨/٣٣٦.

وفيما ورد من ألنبي إلى كيزرون في ٢ أبريل ١٩٢٣، وزارة الخارجية ٣٧١/٨٩٧٦/٣٨٥١.

(٧٩) من بارينج إلى روز بيري، في ١ فبراير١٨٨٦، وزارة الخارجية ٧٨/٣٩٢٣/٦١.

(٨٠) المصدر نفسه، ضمن ما أرسله يعقوب أرتين إلى بارينج في ١٠ فبراير ١٨٨٦.

(٨١) ب.جويث B.Jowtt إلى روز بيري في ١٥ مارس ١٨٨٦وزارة الخارجية ٧٨/٣٩٦٢، ضــمن مــا أرسله روز بيري (بوسفوت) إلى بارينج، في ١٩ مارس١٨٨٦ وزارة الخارجية ١٤١/٢٣٠/٦٠.

(٨٢) المصدر نفسه.

(٨٣) من بارينج إلى روز بيري في ١٥ يونيه ١٨٨٦: مذكرة عن الدارسين المصريين في بريطانيا العظمــى، وزارة الخارجية ٣٩٢٧. واقترح ساندرسون Sanderson بديلاً لذلك في رسالة بعث بهــا إلى بــارينج في ١٩ مــارس ١٨٨٦، وزارة الخارجيــة ١٤١/٢٣٠ ويوجــد في رســالة روز بــيري وزارة الخارجيــة ١٤١/٢٣٠/٦٠.

(٨٤) يبدو أن الكاتب، ويحتمل أن يكون يعقوب أرتين، قام بتقدير أعمار المتقدمين عشوائياً.

(٨٥) د.جيمز دونا لدسون James Danalson إلى روز بيري، في ٣٠ يونيـــه ١٨٨٦، وزارة الخارجيـــة البريطانية٧٨/٣٩٦٣، مع إرسال صوره منه إلى بارينج، للاتصال بوزارة المعارف في مصر.

(٨٦) من بارينج إلى أيْد سلاي Idde esl في ٦ ديسمبر ١٨٨٦وزارة الخارجية ١٤١/٢٣٤/٥١٢.

(٨٧) يذكر تقرير ١٨٩٠ في ص: ٢١-٢٧، الخريجين الثلاثة التالية أسماؤهم، بالإضافة إلى طلاب آخـــرين بين من كانوا في الخارج في الفترة نفسها، على حين لم يرسل أي طالب درعمي إلى إنجلترا، وثمة عدد آخـــر ذهب إلى هناك قبل عام ١٨٩٠، بما في ذلك ثلاثة من مدرسة الإعداد الخديوية.

(٨٨) أنظر الفصلين الثاني والثالث، فيما سبق.

* يلاحظ أن الكاتبة استخدمت في الأصل كلمة Proselylisme وتعني الهداية، أي أن ترجمتـــها الحرفيـــة "اهتدى" إلى الدين المسيحي. (المعرب)

(٨٩) وزارة الخارجية ٣٩٥/٥/٦٣٣، ص٣٠١، وتذكر هذه المخاوف والانطباعات وورد نقل خبر اعتناق هذا الطالب المسيحية فيما أرسله بارينج إلى ساليسبري في ١٣ أبريل ٧٨،١٨٨٩/ ١٨٥/٤٢٣٩، وأنظـــر ب.و. كوتشران- باتوك B.W Cochram-patrick إلى مساعد وزير الخارجية في ١٥ مـــايو ١٨٨٩، وزارة الخارجية ١٤١/٢٦٤، وهو ضمن ما أرسله كورية Currie نيابة عن ساليسبري، إلى بـــارينج في ١٧ مايو ١٨٨٩، وزارة الخارجية ١٤١/٢٦٤/١٦٩. خاف الآباء خاصة من خطر اعتناق أبنائهم المسيحية،

(٩٠) يورد كتري تلك المعارضة بوصفها إحدى سياستي بريطانيا غير الرسمية، أثناء تـــولي دنلـــوب مهـــام وظيفته في صفحتي: ٣١٣-٣١٤، وفي ص٢١٩، ومع ذلك يشير إلى برنامج بارا رود علـــى أنـــه برنـــامج

دنلوب وتوجد توصية دنلوب التي تحمل تاريخ ١٥ مايو ١٨٨٩، مدرجة فيما أرسله بارينج إلى ساليسبري في١٩ مايو ١٨٨٩، وزارة الخارجية٧٨/٤٢٤٠/٢٣٣. وكان علي مبارك من مؤيدي المشروع أيضاً.

(٩١) من دنلوب إلى بارينج في ١٥ مايو ١٨٨٩، ضمن ملف، وزارة الخارجية ٧٨/٤٢٤٠/٢٣٣. وفي الوقت نفسه قررت الحكومة المصرية إرسال صِبية تتراوح أعمارهم بين عشر وثلاث عشرة سنة إلى إنجلترا أيضاً ويتضح هذا فيما أرسله بارينج إلى جيرارد Gerrard في٥ مايو ١٨٨٩، وزارة الخارجية ٦٣٣/٥/٣٤٥، ص٢٦٥ (خاص).

(٩٢) السجل التعليمي .E.R السلسلة الجديدة Meo sieres ١٣ أكتوبر١٨٨٨.

(٩٣) من كرومر إلى ساليسبري في ١٠ أكتوبر ١٨٨٩، وزارة الخارجية ٤٢٤٢/٣٥٨ وثمة مكاتبة أخرى خاصة بهذا الموضوع قد يأتي ذكرها في: وزارة الخارجية ١٤١/٢٦٤/٢٣١/ و٢٤٨ و٢٥٣ و٢٩٨ وفي وزارة الخارجية ٧٨/٤٢٤١.

(٩٤) من ساندرسون إلى كلارك Clarke في ٦ يوليه ١٨٨٩، وزارة الخارجية ١٤١/٢٦٤/٢٠٩ وقد انتقل مقر الكلية إلى سبرنج حروف Spring Grove وهي منطقة بين برنتفورد Brentford وهاونسلو Hounslow.

(٩٥) من هودجون Hodgson إلى ساندرسون في ١٦ فبراير ١٨٩٣، وزارة الخارجية ١٤١/٢٩٦ وهي أيضاً ضمن كيوري من روز بيري إلى كرومر في ١٧ فبراير ١٨٩٣، وزارة الخارجية ١٤١/٢٩٦/٤٧ ومن كرومر إلى روز بيري في ٢ مارس ١٨٩٣ وزارة الخارجية ١٤١/٢٩٧/٤٩.

(٩٦) السجل التعليمي، السلسلة الجديدة، عدد ١٣ (يناير ١٨٩٣): ٤٧٦، ٤٧٨، والسجل التعليمي، والسلسلة الجديدة، عدد١٤ (أكتوبر ١٨٩٧): ٤٨٨ ومن كرومر إلى بطرس غالي في ٢٩ يونيه ١٨٩٥، وزارة الخارجية ٢٢/٣١٢/١٤١ (مسودة).

(٩٧) السجل التعليمي، السلسلة الجديدة، العدد ١٤ (أكتوبر ١٨٩٦): ص٣٣٢، ٣٣٤، والمصدر نفسه، أكتوبر ١٨٩٧، ص٤٨٨ والمصدر نفسه، يناير ١٨٩٨ ص٥١٥-٥١٧ والمصدر نفسه، أكتوبر ١٨٩٨، ص٦١٢-٦١٩، والمصدر نفسه (١/١) فبراير ١٨٩٩ ص٦٤و٧١، وناقشت الدورة التدريبية الثانية التي تلقاها في السويد خلال الصيف الأخير ويذكر تقويم دار العلوم ص٢٧٦-٢٧٨ انه عاش مع سعد زغلول وأسرته في مترل بعابدين في القاهرة خلال انتسابه للمدرسة.

(٩٨) أنظر إصدارات السجل التعليمي المذكورة في الهامش السابق و لم ترسل شهادة الدبلوم الخاصة به إلى مصر حتى عام ١٩٠٣ وفقاً لما ورد في كتاب لا نسداون Lansdowne إلى كرومر في ٦ نوفمبر ١٩٠٣، وزارة الخارجية ١٩٣/٣٧٣/١٤١.

(٩٩) تقرير دار العلوم ص: ٢٧٦-٢٧٨.

(١٠٠) يذكر كحالة أيضاً في جـ١، ص١١٦ أن عاطف بركات اشترك مع بعض خريجي دار العلوم وآخرين في تأليف كتاب بالعربية أنظر أيضاً مجلة الصحافة La Revue de la presse في ٢٣ ابريل ١٩١٩ وزارة الخارجية ٨٩٣٢/٧٥٣/١٤١.

(١٠١) يعد كتاب قنيبر Qunoybir عن عبد العزيز جاويش أكثر السير تفصيلاً، أما أقصرها فهو كتاب حسن الشيخة: عبد العزيز جاويش، القاهرة ١٩٦١ وأنور الجندي عبد العزيز جاويش، القاهرة ١٩٦٥

وللإطلاع على مسودات كتب السيرة الخاصة به أنظر: تقويم دار العلوم ص٢٩٠-٢٩١. وأنظـــر كـــذلك المقدمة التي كتبها فتحي رضوان لكتـــاب عبـــد العزيـــز جـــاويش: الإســـلام ديـــن الفطـــرة والحريـــة، القاهرة١٩٦٨ص٧-٣٨، والزركلي، الأعلام، جـــ٤/١٤ ويوسف: ص٢٤٩-٢٥٥، وسركيس ١/٦٧٣، وكحالة ٥/٢٤٦.

وقد أشار إليه محمد خلف الله في كتابه الحياة الأدبية Literaey Life ص٩٣،

- وقباش في كتابه تاريخ الشعرص٤٨.
- والسيد في كتابه مصر وكرومر Cromer Egypt ص٢٠٠.
- وآدمز في كتابه الإسلام والحداثة Islam and modernism ص٢٠٦-٢١٠.
- وعبد الهادي فكيكي: الشعوبية والقومية العربيـــة The shubiyya and Arab Nationalism في: الفكر السياسي والاجتماعي في الشرق الأوسط المعاصر Political and social Thoughtin the contemporary Middele East (نيويورك ١٩٦٨) إعـــداد كامـــل ن كاربـــات Keml N. Karpat ص٨١.
- ومنى أ.خوري: الشعر وبناء مصر الحديثة Poetry and the making of modern Egypt (ليدن ١٩٧١) ص٨٨.
- وآرثر جولد شميت (الابن) Arthar Goldschmidt Jr. الحزب الوطني المصري ١٨٩٢-١٩١٩ في هولت Holt ص٣٢٣-٣٣٢

- وألبرت حوراني: الفكر العربي في العصر الليبرالي ١٧٩٨- ١٩٣٩.

Arabic thoughtim the Liberal Age ١٧٩٨-١٩٣٩ (لندن١٩٦٢) ص٢٠٨-٢٠٩.

- و.ج.م. أحمد: الأصول الثقافة للوطنية المصرية.
- The Intellectual Origins of Egyptian Nationalism (لندن ١٩٦٠) ص٧٨و٨٥.
- وتيجتر Tignor ص٣٠٦ وفاتيكوتس Vatikiotis ص ١٩٣ و١٩٦ و١٩٧ و٢١٨ وبيرك ٢٥٦.
- ومحب الدين الخطيب، مذكرات محب الدين الخطيب، في مجلة الثقافة، (أغسطس- سبتمبر- ١٩٧٣) ص٨٨-٩٠.
- وإبراهيم عبده، تطور الصحافة المصرية (القاهرة) ١٩٥١، في أمكنة متفرقة منه.
- وعبد الرحمن الرافعي، مصطفي كامل ومحمد فريد، في أمكنة متفرقة فيهما.

بقى أن أذكر أن اسم عبد العزيز جاويش يرد ذكره أكثر من أي مصري آخر في سلسلة ملفات وزارة الخارجية البريطانية التالية: ٧٨، ١٤١، ٣٧١. كما يرد ذكره أيضا في ٦٣٣ أثناء الفترة التي تشملها الدراسة.

- كما ألقى عبد العزيز جاويش الكلمة الافتتاحية لسلسلة الدراسات التي بدأها نادي دار العلوم، وكانت الحلقة الأولى منها عن" الربا"وتضم الدراسات التي ألقيت حول هذا الموضوع، وتشغل كلمته الصفحات ١-٢٤. كما يظهر اسمه أيضاً في النشرات الدورية العامة لنظارة المعارف العمومية، وفي صحيفة جامعة أكسفورد Oxford University Gazzette، وكتب عدة مقالات في مجلات

وصحف مختلفة منها: مجلة الهداية الثقافية، ورأس تحريرها منذ بدء صدورها في ٧ فبراير ١٩١٠، (وقد استطعت أن أطلع عليها، وراجعتها بإمعان ودقة، بفضل تكرم الأستاذ محمد بكير علوان) أما سياسياً، فيأتي سوء سمعته (في النظرة البريطانية طبعاً) من رئاسته تحرير الجرائد الناطقة بلسان الحزب الوطني المصري، ومنها اللواء، والعلم بعد أن أغلق الاحتلال الأولى كما نشر في مجلة الهلال العثماني في اسطنبول والعالم الإسلامي the Islamic world باللغتين العربية والألمانية في برلين وبقي محتملاً ألا تأتي هذه القائمة على كل المصادر المتوفرة لدراسة عبد العزيز جاويش.

(١٠٢) السجل التعليمي، السلسلة الجديدة (أكتوبر ١٨٩٨)، ١١٩، والمصدر نفسه (أكتوبر ١٩٠١) ٦٧٥ وقد أرسلت شهادة الدبلوم الخاصة به إلى مصر في عام ١٩٠٢، طبقاً لما ذكره ساندرسون في رسالته إلى م. دي. س. فايند لاي M.De C.Findlay في ١٧ يوليه ١٩٠٢، وزارة الخارجية ١٤١/٣٦٦/١٣٢.

(١٠٣) تناولت هذا الموضوع في دراسة قدمتها في الاجتماع السنوي لرابطة دراسات الشرق الأوسط، في بوسطن عام ١٩٧٤ تحت عنوان عبد العزيز جاويش (١٨٧٢-١٩٢٩) Responses of an egyptian Alim to British Rule in Egypt ويتناول فاتيكيوتس Vatikiotis عبد العزيز جاويش بوصفه مثيراً للعنف الطائفي، معتمداً على اللورد لويد فحسب، في كتابه: مصر منذ كرومر Egypt since cromer جـ١ ص٨٩-٩٥و ١٠٢-١٠٤.

وأولئك الذين يمتدحون عبد العزيز جاويش أصابهم الارتباك أيضاً، فيقول الزركلي- مثلا - أنه دَرس في كمبردج، وهو خطأ ذكره كحالة أيضاً، وربما نقله عنه ويذكر فؤاد سركيس أن وجوده في أكسفورد كان عام ١٩٠٢، وليس في عام ١٩٠٤. أما تاريخ ميلاد عبد العزيز جاويش فيذكر عادة على أنه في عام ١٨٧٦، ولكني أقبل التاريخ الذي ذكره قنيبرQunaybir وهو ١٨٧٢ لأني قرأت المخطوط الكامل لاستجواب جاويش عام ١٩١٢

وهو موجود في وزارة الخارجية ضمن ٤٦٨١/٧٤٦/١٤١ وفيه عرف نفسه بأن عمره أربعون عاماً، وكان الاستجواب يدور حول الدور الذي نُسب إليه بأنه نقل نشرات دورية من تركيا تحرض على الفتنة الطائفية في مصر.

(١٠٤) كتزي، ص٢٤٦ وما بعدها.

(١٠٥) نظارة المعارف العمومية، النشرة الدورية العامة رقم ٧٢٣، في ٣فبراير ١٩٠٣ ويبدو أن جاويش ترك بارارود لمدة ثلاث سنوات بدلاً من أربع، نظراً لرغبة دنلوب في تعيينه في الوزارة مباشرة.

(١٠٦) عبد العزيز جاويش. الإسلام دين الفطرة ص٤٠-٤١.

(١٠٧) لم يتأثر جاويش خاصة بأخلاقيات الإنجليز في إنجلترا.

(١٠٨) تنيبر، ص١٠٠.

(١٠٩) نظارة المعارف العمومية، النشرة الدورية العامة رقم٨٨٤ في ١٧ أكتوبر ١٩٠٦، أعلنت تعيينه في التعليم الأولى على حين تضمنت نشرتها العامة الدورية رقم ١٣٢، الصادرة في ١١ مارس ١٩٠٧ خبراً عن ترقيته.

(١١٠) عرضت لمسألة اللغة فيما سبق ويستشهد جولد شميت في كتابه الحزب الوطني المصري، ص٣٢٣ بما ورد في كتاب عباس محمود العقاد عن: سعد زغلول ص ١٣٣- ١٣٥ ويتخذ منه مصدراً لروايته، ولكن ذلك، في حد ذاته، لا يكفي ليتخذ منه عبد العزيز جاويش المبرر الكافي لترك خدمة الحكومة المصرية، دون أن تكون ثمة عوامل أخرى.

(١١١) تقدم مقالات مجلة الهداية تفسيراً جيداً لهذه النقطة.

(١١٢) تأسست عام ١٩٠٠، وافتتح أول معهد مصري يحمل هذا الاسم في عام ١٨٦٣، وأغلق بعدها بعـــامين ويتحدث كازامياس Kazamias في ص: ٦٠و٨٤و ٩٠ عن استخدام الكتب الدراسية القديمة في كل المـــواد، وغياب أي تجديد تربوي حتى عام ١٩١٤.

(١١٣) وصل إلى تركيا في١٧ ديسمبر ١٩٢٢.

(١١٤) يشغل تمثال نصفي له مكاناً بارزاً في متحف التعليم المصري بالقاهرة.

(١١٥) يوجد في مركز سجلات جامعة ريدنج مستندات أصلية للبرامج التي أرسلت من مصر لكلتا المدرستين، وعن الأشخاص المختصين، بما في ذلك الكتب الدراسية الخاصة لكل سنة دراسية وكذلك المكاتبات المتصلة بكل هذا ولأن حظ جامعة إكستر من الغارات الجوية، والقنابل المدمرة خلال الحرب العالمية الثانية كان شديداً، لم يتبق من سجلاتها سوى سجلات الرسوم، والمنهج المقرر في كلية ألبرت الملكية التذكارية، وهي الآن في جامعة إكستر.

(١١٦) كلية ريدنج الجامعية، قسم الإعـــداد الإلزامـــي- Calendar, twelfth session, ١٩٠٣ ١٩٠٤ص ١٩٧ وتوجد قائمة كاملة بالمواد التي يجب دراستها في ص٩٣ وتـــذكر صـــفحة ١٢١ مـــن ١٩٠٨- ١٩٠٧ Calendar Sixtenenth امتحان كمبردج.

(١١٧) مركز سجلات جامعة ريدرنج من المدير (إلى لجنة التعليم غالباً) في ١٢ نوفمبر ١٩٠٧.

(١١٨) مركز سجلات الجامعة، من جامعة ريدينج، من كلية ريدنج داي Reading day للإعـــداد إلى لجنـــة التعليم في ٢٣ يناير ١٩٠٨ص٦.

(١١٩) مركز سجلات جامعة ريدينج، من المدير إلى في ١٢ نوفمبر ١٩٠٧.

(١٢٠) مركز سجلات جامعة ريدينج، من كلية ريدنج داي للإعداد إلى لجنة التعليم في ٢٣ يناير ١٩٠٨، ص٥.

(١٢١) مركز سجلات جامعة ريدنج، من ر.ج. ميجور R.G. Major إلى لجنة التعليم، ومن البتوول، لندن إلى و.م. تشايلدز W.M. childs الكلية الجامعية، ريدنج، في ١٧فبراير ١٩٠٨.

(١٢٢) سجلات جامعة ريدنج من و.م. تشايلدز إلى لجنة التعليم في ١٨ ديسمبر ١٩٠٨.

(١٢٣) سجلات جامعة ريدنج من و.م. تشايلدز إلى لجنة التعليم في ٢٩ سبتمبر ١٩١٠ و١٠/٢٥٣٠ج، جامعة ريدنج.

(١٢٤) مجلة جامعة أكسفورد O.U. Gazette ٢١ يونيه ١٩١٠ تقويم درا العلوم، ص ٣٥٣- ٣٥٤.

* اختلط الأمر على مؤلف تقويم دار العلوم، فذكر أنه عين في أكسفورد أستاذاً للغة العربية خلفاً لمحمد حسين الغمراوي، على حين تذكر الباحثة أن جاد المولي خلف عبد العزيز جاويش في هذا المنصب، أما الغمراوي فقد خلف جاد المولي أكسفورد، على حين شغل هذا منصب الغمراوي في مجمع اللغة العربية (المعرب)

(١٢٥) تقويم دار العلوم، ٣٥٣- ٣٥٤.

(١٢٦) Academie de langue arabe du caire. مجمع اللغة العربية في القاهرة، ١١٦.

(١٢٧) الزركلي ٢٤٨/٦، كحالة ٢٤٤/٨- ٢٤٥، الكتب العربية التي نشرت في الجمهورية العربية المتحدة (مصر) بين عامي ١٩٠٦ و ١٩٤٠، ص ٢٧٥٠ الأدب قنواتي، ص٧٤- ٧٥ و٢١٣ و٢٢٩ تقويم دار العلوم ص٣٥٣-٣٥٤.

(١٢٨) سجلات جامعة ريدنج، طلبة التعليم الخاص، قوائم الفصول ١٩٠٨- ١٩١١، صندوق رقم ٧٨- ٢٣ أغسطس ١٩١٠.

(١٢٩) تقويم دار العلوم ص١٥٦.

(١٣٠) صحيفة دار العلوم، العام٦، رمضان١٣٥٨- أكتوبر ١٩٣٦، ص٣-٥.

(١٣١) سجلات جامعة ريدنج، طلبة التعليم الخاص، قوائم الفصـــول، ١٩٠٨- ١٩١١، صـــندوق ٧٨، ٢٣ أغسطس ١٩١١.

(١٣٢) تقويم دار العلوم، ص٥٨٨.

(١٣٣) بيان بأسماء موظفي القسم الفني ص١٦ و٣٢٠و٤٠.

(١٣٤) سجلات جامعة ريدنج، من نشايلدز إلى لجنة التعليم، في أكتوبر ١٩١١، صندوق ٨١.

(١٣٥) سجلات جامعة ريدنج، من تشايلدز إلى لجنة التعليم، في ١٩ أغسطس ١٩١٢، صندوق ٨١، قائمـــة بأسماء خريجي دار العلوم المعينين في وظائف التدريس طبقاً لسنوات تخرجهم، وترتيبهم في دبلـــوم عـــام ١٩٢٨، ص٨.

(١٣٦) سجلات جامعة ريدينج، من تشايلدز إلى لجنة التعليم، في ١٨ أكتوبر ١٩١١، صندوق ٨١.

(١٣٧) المصدر السابق، من تشايلدز إلى لجنة التعليم في ٢٥نوفمبر ١٩١٢، صندوق٨١.

(١٣٨) المصدر نفسه.

(١٣٩) كلية جامعة ريدينج، قسم التعليم الإلزامي، Calendar بيان الجامعة ١٩٠٧-١٩١٦ (سبع سنوات).

(١٤٠) المصدر السابق١٩١٣- ١٩١٤ ص١٩٤.

(١٤١) تقويم دار العلوم، ص٥٩٧.

(١٤٢) المصدر نفسه، ٣٥٦.

(١٤٣) الكتب العربية التي نشرت في الجمهورية العربية المتحدة (مصر)، ما بين ١٩٢٦و١٩٤٠، ص٢٥٦ و٢٦٠، وتقويم دار العلوم، ص٣٥٦.

(١٤٤) صحيفة جامعة أكسفورد O.U. Gazette في ١٥ أكتوبر ١٩١٣.

(١٤٥) أشار و.أ.ر. جيب إلى محمد حسين في كتابه دراساتstudies ص ٣٠٤ ملقباً له: « أستاذي المبجـــل» ومن ثم يغلب على ظني أن منصبه في جامعة لندن كان مماثلاً لمنصبه في جامعة أكسفورد، وقد نشرت جريدة ذي مور نينج بوست في عدد ٧مايو ١٩١٤، خبراً عن اجتماع تأسيس مدرسة لندن، وكان كل من كرومر وكيرزون من المؤيدين المتحمسين لها، وكانا كذلك في لجنة الدعوى لرفع التمويل الخاص بالمدرسة، وذلك طبقاً لما في ملف «مدرسة الدراسات الشرقية، معهد لندن، لجنة الدعوى، أكتوبر ١٩١٦، وزارة الخارجية ٣٣/٦٣٣»

(١٤٦) تقويم دار العلوم، ص٣٥٧- ٣٥٩ وكحالة ٢٣/٩ والزركلي، ٣٢٧/٦، وأنظر ما سبق في الفصل الثالث أيضاً.

(١٤٧) تذكره مستندات مركز سجلات جامعة ريدينج باسم "محمد زكي"، وأنظر أيضاً ما ذكرناه ســـابقاً في الفصل الثالث.

(١٤٨) مركز سجلات جامعة ريدينج، من تشايلدز إلى لجنة التعليم، في نوفمبر ١٩١٤- صندوق٨٣.

(١٤٩) المصدر نفسه.

(١٥٠) تقويم دار العلوم، ص١٥٥ و٣٥٦و٥٩٩. وبيان ص٣٣ و٢٢١.

(١٥١) يبدو أن البعثات بدأت في تلك الآونة، على الرغم من وجود خريج لسنة ١٩٠٦، في أول مجموعة لـــدار العلوم وقد ترك إكستر في ١٩٠٦، ولا توجد سجلات تؤكد أي تواريخ قبل عام ١٩٠٧.

(١٥٢) تتضمن سجلات كلية جامعة ألبرت الملكية التذكارية، في الفصل الدراسي ١٩١٣/١٩١٤ آخر مادتين في المقرر الدراسي لأول مرة.

(١٥٣) مقابلة سرية.

(١٥٤) سجلات جامعة كمبردج، غدارة الهند المدنية، اللجنة الشرقية، ولجنة –مساعدة الطلبة الأجانب، ١٨٧٥–١٩٢٥، C.U.R ٤نوفمبر ١٩٢٤، رقم٢٦٩ نزل كلية داونج C.U.R ١ديسمبر ١٩٢٥، ورقـــم ٢٧٣، نـــزل كلية داونج، سجلات جامعة كمبردج– وفي حساب لجنة خدمة الطلاب الأجانب، ١٩٢٤–١٩٢٩ أنه أعلـــى راتب لمدرس في الهيئة وتتكلم C.U.R في ١ديسمبر ١٩٢٥، ورقم ٢٧٥ عن«الخدمة الممتازة»، التي اســـتمر في تقديمها.

(١٥٥) سجل جامعة كمبردج التـــاريخي Historical Register of u.of Cambridge م[٢] ١٥٤: مكتبـــة جامعة كمبردج: دكتوراه ٣٤٨ (عن نقله ؟) وقد نشرت الجامعة رسالته هذه في عام ١٩٣٩، ومحي الدين بـــن عربي صوفي أندلسي شهير في القرن الثاني عشر الميلادي.

(١٥٦) تقويم دار العلوم، ص٢٤٨.

* ترجم د. مصطفي لبيب عبد الغني، أستاذ الفلسفة في كلية الآداب بجامعة القاهرة، الرسالة إلى اللغـــة العربيـــة، ونشرتها دار الكتب المصرية، في القاهرة عام ١٤٣٠هـــ–٢٠٠٩م (المعرب).

(١٥٧) الكتب العربية التي نشرت في الجمهورية العربية المتحدة (مصر) عـــامي ١٩٢٦ و١٩٤٠، ص١١ و٤١ والأدب قنواتي، ص٤٤–٤٥ ودليل الكتاب المصري ١٩٧٢، ص٦٩٦. وتقويم دار العلوم ص٢٤٨.

(١٥٨) ديوان جلالة الملك، تقويم بأسماء ذوي الألقاب والرتب المدنية الحديثة، من أبريل١٩١٥ إلى أوائل سبتمبر ١٩١٥ (مرتبة هجائياً) ص٥٧.

(١٥٩) سجل جامعة كمبردج التاريخي، مسلسل ١: ١١٧، مسلسل رقم ٢: ٩٥.

(١٦٠) تقويم دار العلوم، ص ٦٣٢ ويغلب على ظني أنه اجتاز ببساطة امتحاناً واحداً من امتحانات شهادة كمبردج المشار إليها في صفحة ٢٤٥ السابقة، ويقال أن الشهادة الثانية التي حصل عليها كانت للتدريس في المدرس الثانوية.

(١٦١) سجلات جامعة كمبردج، إدارة الهند المدنية، اللجنة الشرقية، لجنة المساعدات للطلاب الأجانب ١٨٧٥-١٩٢٥، التقرير السنوي للجنة المساعدات، في ٢٤ أبريل ١٩١٢، رقم ٢٠٤والمصدر نفسه، التقرير السنوي في ٢٧ نوفمبر ١٩٢٧، رقم ٢٦٥.

(١٦٢) المصدر نفسه في ٨ نوفمبر، ١٩٢١ رقم ٢٥٥ في سجلات جامعة إكستر، وبشار إلى مصطفي على أنه محمد عزوب Azzob على، على حين أطلق عليه في جامعة كمبردج "شيخ علي مجذوب" ولو لم أعرف من تقويم دار العلوم ص٣٥٥ أن مصطفي كان في جامعة كمبردج عام ١٩١٩، وانه حصل على شهادة التدريس عام ١٩١٧، لكان من الصعب على الظن بأن هذين الاسمين مرتبطين بأي شكل، باسم شخص واحد.

(١٦٣) سجلات جامعة كمبردج، إدارة الهند المدينة، اللجنة الشرقية، لجنة مساعدة الطلاب الأجانب ١٨٧٥-١٩٢٥، في ١٨ أكتوبر ١٩٢٣ رقم ٢٦٢، نزل كوربس كريستي .Corpus Christi

(١٦٤) ديوان جلالة الملك، تقويم بأسماء ذوي الألقاب والرتب المدنية الحديثة من إبريل ١٩١٥ حتى أوائل سبتمبر ١٩١٥، مرتبة هجائياً، ص٣٠٤.

(١٦٥) في تقويم دار العلوم ص ١٦١-١٦٢ قائمة بمؤلفاته وأنظر: الكتب العربية التي نشرت في الجمهورية العربية المتحدة (مصر) بين عامي ١٩٢٦ و١٩٤٠، ص: ١١٦و ١٥٩ و٢٧١ وكحالة ١/٣٠٧ أما مؤلفات محمد على مصطفي فهي في تقويم دار العلوم ص٣٥٥، والكتب العربية التي نشرت ص٢٥٦، والأب قنواتي ص ٤٠٢و ٤٠٣

ودرس سليمان، الرابع على دفعته، في أكسفورد منذ ١٩١٩ وحتى ١٩٢١، وبعد دراسته في إكستر درس في دار العلوم، لكنه قضي معظم سنوات عمله المهنية في التفتيش، ليصبح في النهاية المشرف العام على تعليم اللغة العربية في مصر، وقد منح رتبة البكوية عام ١٩٥٠ أي بعد شهر واحد من حصوله على هذا اللقب.

(١٦٦) أوفر معلومات عن سيرته نجدها في كتاب الدكتور محمد مهدي علام ٢/٦٠-٦٣ وفيه يسرد مؤلفاته ونشاطاته وأنظر أيضاً الأب قنواتي، ص٤١٥ والكتب العربية التي نشرت في الجمهورية العربية المتحدة ص١١ ودليل الكتاب المصري عام ١٩٧٢، ص ٤٦٣.

(١٦٧) ديوان جلالة الملك، تقويم بأسماء ذوي الألقاب والرتب المدنية ص١٨٨ أنظر أيضاً لمعرفة سيرته ومؤلفاته: كتاب الدكتور محمد مهدي علام ٢/٩٦-٩٧ والكتب العربية التي نشرت في الجمهورية العربية ص٢٥٦.

(١٦٨) تقويم دار العلوم، ص٢٤٩ ومحمد مهدي علام ٢/٢٠١-٢٠٤ والكتب العربية التي نشرت في الجمهورية العربية المتحدة ص٢٥٧.

(١٦٩) حذف هذه الواقعة من روايته لسيرته الذاتية، المذكورة عند مهدي علام ٢/٢٠١- ٢٠٤.

(١٧٠) تقويم دار العلوم، ص٢٩٩ والأب القنواتي، ص٤٠٦و ٤٠٧و٣١١ و٣١٢، وتتضمن قائمة بأعماله، بما فيها ورد في الكتب العربية التي نشرت في....

(١٧١) دليل الكتاب المصري ١٩٧٢، ص٤٦٩.

(١٧٢) يقدم المرجع نفسه، القائمة كاملة ص١٠٩٠/١٠٩٤.

(١٧٣) تقويم دار العلوم، ص١٥٣-١٥٤ وتقويم بأسماء ذوي الألقاب والرتب المدنية الحديثة ص٣٢٣، حيث تشير إلى أنه حصل على رتبة البكوية عام ١٩٤٦.

(١٧٤) الآخرون هم: محمد مصطفي العطار خريج ١٩٠٦، ومحمود محمود خريج ١٩٠٧، ومحمد علي عـــارف خريج ١٩٠٨، ومحمد حسين الصواف ١٩١١، وعلي خليل خيري ١٩١٢، ومحمد حسن بكير١٩٢١.

(١٧٥) تقويم دار العلوم، ص٣٦٤ والكتب العربية التي نشرت حيث تضم ٢٠١ قائمة مؤلفاته.

(١٧٦) تقويم دار العلوم ص٤٢٤ وتقويم بأسماء ذوي الألقاب والرتب المدينة الحديثة، ض ١٧٩، حيث نذكر أنه حصل على رتبة البكوية عام ١٩٤٦.

(١٧٧) أنظر الكتب العربية التي نشرت في الجمهورية العربية المتحدة ص٢٥٥ حيث تورد مؤلفاته والأب قنواتي، ص٤٠٨، وحصل على رتبة البكوية عام ١٩١٥ وفقاً لتقويم بأسماء ذوي الألقاب والرتب المدنية الحديثة ص٧٥.

(١٧٨) تقويم دار العلوم، ص٢٢٢.

(١٧٩) لاحظ أيضاً تطابق اللغة في التعيينات نفسها في ٢١ يونية ١٩١٠ و١٥ أكتوبر ١٩١٣ في الإصدار نفسه.

(١٨٠) يتجدث كتري ص٢٥٦ عن قرار دنلوب بإرغام الأوروبيين على دخول الامتحان.

(١٨١) صحيفة the spectator في ١٧ يونية ١٩١٦ وزارة الخارجية ٦/٦٣٣.

(١٨٢) سجلات جامعة كمبردج، إدارة الهند المدنية، اللجنة الشرقية، لجنة مساعدة الطلاب الأجانـــب ١٨٧٥-١٩٢٥ (C.U.R) تقرير عن امتحان اللغة العربية للمرشحين المختارين للخدمات المدنية في مصر والســـودان في يوليه ١٩٠٣، وتقدموا للامتحان في ١٩٠٤، وقد أعد التقرير ادوارد ج.براون، الحاصل على ماجستير في الأدب وبكالوريوس في الطب رقم ١٣٣ في ١٠ أغسطس ١٩٠٤ كمبردج سري وخاص للورد كرومر، وهو أهم مصدر للاستشهادات التي سترد في الفقرة التالية.

(١٨٣) سجلات جامعة كمبردج، إدارة الهند المدنية... تقرير مجلس الشيوخ عن لجنة المساعدات رقـــم ١٣٥ في ٢٢ مايو ١٩٠٥ ص ٩١٤.

(١٨٤) سجلات جامعة كمبردج، إدارة الهند المدنية ... رقم ١٢٧، في ١٧ أكتوبر ١٩٠٤، نزل ترنتي هول.

(١٨٥) هذا الاستشهاد من: سجلات جامعة كمبردج، إدارة الهند المدنية... رقم ١٣٤، في ١٠فبراير ١٩٠٥ ومن سجلات الجامعة أيضاً التقرير السري للجنة مساعدة الطلاب الأجانب.

(١٨٦) ديسمبر ١٩١٠- ابريل ١٩١٢ ورقم ٢٠٤، المصدر نفسه، رقم ١٩٠- ١٤ ديسمبر ١٩١٠ – أبريـــل ١٩١٢ رقم ٢٠٤ والمصدر نفسه رقم ١٩٢، في ١٤ ديسمبر ١٩١٠، نزل كلية سانت جن، أعلق أن تعيينه كان في سبتمبر ١٩١١، وكان معروفاً أن الحكومة المصرية طالبت بعودته.

(١٨٧) سجلات جامعة كمبردج، إدارة الهند المدنية حيث توجد قائمة كاملة بكل الوظائف الـــتي شـــغلها، في سجلات الجامعة المشار إليها ١٩٠٥- ١٩٣١.

(١٨٨) يذكر سجل جامعة كمبردج التاريخي ١٩١٠ ص١٣٤ على شهادة بكالوريوس في الزراعة، ويذكر المصدر نفسه، رقم١ مسلسل الحصول على درجة الماجستير.

(١٨٩) صحيفة دار العلوم (ابريل ١٩٣٥) ص٢٣٧.

(١٩٠) المصدر نفسه، ص٢٣٦.

(١٩١) ما جاء في تقويم دار العلوم، ص٤١٩، وفي الزركلي ١٥٠/٧ هو بالضرورة نقل جديد لما في صحيفة دار العلوم، المذكورة في الهامش السابق، ص٢٣٦-٢٣٧.

(١٩٢) سجلات جامعة كمبردج، إدارة الهند المدنية... رقم ٢٤٠ في ٢٩ أبريـــل ١٩١٩، ورقـــم ٢٤٧في ٢٩ ديسمبر ١٩١٩.

(١٩٣) دافع عبد العزيز جاويش في مقال له بمجلته الهداية (نوفمبر–ديسمبر١٩١٠)، ص٦٢٩–٦٣٠ عن إلحـــاق مدرسة القضاء الشرعي ودار العلوم بالأزهر، لأنه أراد للأزهر أن يكون كلية جامعية حقيقية ومع هذا لا يمكـــن اعتبار وجهة النظر هذه تمثل رأي خريجي دار العلوم.

(١٩٤) تقويم دار العلوم ص ٥١٢ و.٥١٦

٢٦٦/٢٨٥٤ سجلات جامعة كمبردج الإدارة المدنية بالهند، اللجنة الشرقية، لجنة مساعدة الكليـــة الأجانـــب، ١٨٧٥–١٩٢٥ CUR، ٤ نوفمبر ١٩٢٤، رقم ٢٦٩، نزل كلية داونج، CUR، ١٠ ديســـمبر ١٩٢٥، رقـــم ٢٧٣، نزل كلية داونج سجلات جامعة كمبردج حساب لجنة مساعدة الطلبة الأجانب ١٩٢٤– ١٩٢٩ تـــذكر انه أعلى راتب لمدرسي في الهيئة CUR، ١٠ ديسمبر ١٩٢٥، رقم ٢٧٥ تتكلم عن « الخدمة الممتازة» التي استمر تقديمها.

٢٦٦/٣/١٥٥ الســـجل التـــاريخي لجامعـــة كمـــبردج Tristorical Register of the University of Cambridge،م٢: ١٥٤، مكتبة جامعة كمبردج دكتوراه ٣٤٨ ونشرت الجامعة أطروحته في ١٩٣٩كان محـــي الدين محمد بن العربي صُوفياً أندلسياً من القرن الثاني عشر.

٢٦٦/٤/١٥٦ تقويم دار العلوم، صفحة .٢٤٨

٢٦٧/١/١٥٧ الكتب العربية التي نشرت في الجمهورية العربية المتحدة (مصـــر) بـــين عـــامي ١٩٢٦– ١٩٤٠ صفحات١١ و٤١، أنواتي، صفحات ٤٤–٤٥، دليل الكتاب المصري، ١٩٧٢ صفحة ٦٩٦، تقويم دار العلـــوم صفحة ٢٤٨.

العنوان:	الثقافة واللغة والتعليم في مصر الحديثة (1872 - 1923) ودور دار العلوم في تحديثها : الفصل السابع
المصدر:	صحيفة دار العلوم للغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية - الإصدار الرابع
الناشر:	جماعة دار العلوم
المؤلف الرئيسي:	أروين، لويز آرمين
مؤلفين آخرين:	مكى، الطاهر أحمد(مترجم)
المجلد/العدد:	مج 19, ع 39
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2011
الشهر:	ذو الحجة / نوفمبر
الصفحات:	5 - 52
رقم MD:	170430
نوع المحتوى:	عروض كتب
قواعد المعلومات:	IslamicInfo, AraBase
مواضيع:	العصر الحديث، التعليم، الثقافة العربية، اللغة العربية، التعريب، مصر، مدارس دار العلوم، المؤسسات التعليمية، الطلاب
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/170430



*** فاتحة العدد:**

الثقافة واللغة والتعليم في مصر الحديثة (1872 -1923) ودور دار العلوم في تحديثها

للدكتورة لويز آرمين أروين –جامعة متشيجين

تعريب وتقديم وتعليق: د. الطاهر أحمد مكي (●)

الفصل السابع

عند القيام بدراسة أي معهد تعليمي من المهم أن نركز على المؤسسة، وأن نتجاهل أي شيء آخر، ما عدا أشهر المتخرجين فيها. وأسباب هذا واضحة:

أولا، ليس من الممكن دائما أن نتوصل إلى أسماء كل الخريجين.

وثانيا، حتى لو توفرت لنا الأسماء قد يكون من الصعب الحصول على أي معلومات عن سيرهم.

وثالثا، حتى لو وجدت هذه المعلومات، فقد لا تكشف لنا إلا القليل جدا عن هؤلاء الأشخاص.

رابعا، هؤلاء المجهولون، غير المعروفين، هم عادة، في الأعم الأغلب، ممن لم يقوموا بأعمال واضحة ومهمة، ومن ثم فهم ليسوا موضوعا محببا وجذأبا.

خامسا، إن المرء قد يفترض دائما أن المعهد مستقل تماما عن ثماره، ومن ثم يمكن تجاهل هذه الثمار دون الإضرار بالدراسة.

في البحث الذي بين يدي القارئ كان الهدف الأساسي من دراسة خريجي دار العلوم هو جمع بيانات واحصاءات عنهم بفرض أن قلة منهم، إن وجدت أصلا، استطاعت أن تتميز في حياتها على نحو خاص[1]، ولكن الفصول السابقة أثبتت أن هذا الافتراض خطأ كبير، فقد قدمت هذه الفصول نماذج كثيرة، لإنجازات مهنية مهمة، ومن ثم فإن الوصول إلى هذه النتيجة يتطلب جهدا شاقا، والوصول إليه صعب المرتقى.

(●)أستاذ الأدب في كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة، وعضو المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب والاعلام

***المنهج** Metho dology :

يبلغ عدد خريجي دار العلوم، دفعات 1873م حتى 1923 م ألفا وواحداً وأربعين 1041 متخرجاً، أمكن الحصول على أسمائهم من قوائم الخريجين المذكورة في تقويم دار العلوم، وقد أعددت بطاقة لكل متخرج تحتوي على المعلومات التالية: تاريخ التخرج، الوظيفة كما وردت في القائمة، أرقام الصفحات التي وردت فيها، وجمل متفرقة عن هذا المتخرج إن وجدت، وما إذا كان الشخص حياً عام 1948، عند كتابة تقويم دار العلوم، وتم ترتيب هذه البطاقات هجائيا، لإعداد قائمة بهم، وكانت العملية معقدة شيئا ما، لأن ثلث المتخرجين تقريبا يحملون اسم محمد، وجاء التعقيد، كما يعرف من يدرسون موضوعات تتصل بالشرق الأوسط، من أن ترتيب الأسماء هجائيا يكون وفق الاسم الأول، ولم يكن للأسماء الأخيرة أو الألقاب أي وجود حتى سنوات قريبة.

وبعد أن أعددت القائمة كان من الضروري أن أجمع معلومات عن الخريجين، وفي بعض الأحوال كانت المعلومات التي يقدمها تقويم دار العلوم نفسه وفيرة. إلا أنها لم تكن – دائما – جليلة الفائدة، وأحيانا كانت فائدتها محدودة للغاية. مثلا: يذكر عن بعض الخرجين أنهم حصلوا على شهادة من ريدنج أو إكستر دون أن يحدد المعهد الذي درسوا فيه، أو حتى طبيعة الشهادة التي حصلوا عليها. وعندما وصلت إلى إنجلترا كان على أن أبحث عن المعاهد التعليمية الموجودة في تلك المدن، مؤملة ان أعرف أي شيء عن البرامج التي درسها هؤلاء الخريجون. وفي القاهرة سمعت أن تقويم دار العلوم الذي أعده محمد عبد الجواد، كان في نيته أن يكون كتابا حوليا، وعلى من يود أن يورد سيرته فيه أن يدفع لذلك مقابلا ماليا [2]. ومن ثم لم يكن هؤلاء الذي قدم التقويم عنهم هذه المعلومات هم – بالضرورة – أفضل النماذج، وأكثر المتخرجين أهمية، كما أن المعلومات التي أوردها لم تتبع نمطا محددا، أو تلزم منهجا– واضحا، وإنما اعتمدت على ميولهم الشخصية. وقد يفترض المرء أيضا أن التقويم إنما أراد أن يقدم دار العلوم في أبهي صورة لها، لأنه كتب بمناسبة احتفالها بعيدها الخامس والسبعين، ومن ثم، فهو على حين كان مصدرا مهما للبدء في دراسة الخريجين إلا أنه لا يعد صاحب القول الفصل فيمن وجدت لهم مصادر أخرى تتناولهم.

بالطبع كان اكتشاف تلك المصادر الأخرى مشكلة مع وجود أكثر من ألف اسم علينا أن نأخذهم في الحسبان، وحتى بعد اختيار من تبينت أهميتهم في ضوء كتاب محمد عبد الجواد (تقويم دار العلوم)، كانت العقبة عند ظهورهم في مصدر مطبوع، أنه يستحيل الإشارة إلى أكثر من مائتي خريج منهم تقريبا، على أنهم تخرجوا في دار العلوم بين عامي 1873م و 1923 م. تدريجا حدث شيء من الألفة مع أسماء في القائمة، على الرغم من ظهور معلومات إضافية فجأة تتصل بسيرتهم منذ أنهيت العمل على الحاسب، لمجرد أنني لم أحدد أشخاصا معينين ليكونوا جزءا من الدراسة، وذلك أثناء قراءتي مصدرا اكتشف مؤخرا وجدت أسماءهم فيه. وفي مثل هذه الأحوال حاولت بجهدي كله أن أضمن البيانات الإحصائية في نتائج البحث، وهنا علي أن أوضح أن معظم الأسماء لم تظهر في سياق الحديث عن دار العلوم، لأن جيل الباحثين لم يعرف إلا القليل عن دار العلوم أو لم يعرفوها أصلا، فلم يفكروا في ذكرها أثناء تناولهم لشخصية ما، كانت من خريجيها، وعبد العزيز جاويش مثال متميز لهذا، فلم اكتشف أهميته من خلال أي شيء ذكر عنه في تقويم دار العلوم، وإنما بدت لي شخصيته واضحة جلية من خلال المراسلات الوفيرة التي ذكرته في سجلات وزارة الخارجية البريطانية، مع أن هذه المراسلات لم تعرفه دائما بأنه شخص له صلة بدار العلوم. وانطلاقا منها أصبح من الممكن إذن إن ألحظ اسمه عندما يظهر في مصادر أخرى.

استغرقت البيانات المتصلة بجمع سيرة هؤلاء عدة سنوات. ساعتها فحسب انتهيت إلى قرار واع بالتوقف، ولحظتها وجدت أن بطاقة كل خريج تضمنت معلومات متنوعة: بعض بيانات عن الطبقة الاجتماعية، قائمة بمؤلفاته وكتاباته إن وجدت، الألقاب المستخدمة في المعاجم التي تضمنت سيرته، تاريخ الميلاد، وبيانات بالوظائف التي شغلها استخرجتها من مكتبة متحف التعليم وغيرها. وبعد مراجعة هذه البطاقات قررت تشفير بيانات محددة منها، لاعتبارات كمية، فحذفت البنود التي يصعب قياسها، أولا تنطبق على عدد كاف من الخريجين، ليصبح الأرشيف حاويا البيانات ذات القيمة فحسب. وكان الهدف من هذا القياس إيجاد لمحة عن حياة خريجي دار العلوم إجمالا، لكي تسهم في تحليل دور المعهد ورسالته، فهي وصفية أكثر منها تحليلية لأن الغرض الأساسي منها – ببساطة – الوصول إلى رقم دقيق لعدد الخريجين من فئات مختلفة.

عند تأسيس نظام تشفيري Coding يظهر جليا خطر "قياس" البيانات المبرمجة أو التي يصعب قياسها، ولكن نظام التشفير استطاع تم أن يقترب بعناية من تصنيف متغيرات متنوعة [3] ومع إنني في نهاية الأمر استخدمت البرامج المتوفرة في جامعة ميتشجان ألا أن الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعيةStatistical Package for the Social seines التي قام طلبة وخريجو جامعة ستانفورد بتطويرها في بادئ الأمر في عام 1965، ساعدتني في اتخاذ قراري بأن أستخدم برامج سابقة الإعداد، وأن أستخدم البيانات المشفرة بدل استخدام هجاء الكلمات والأسماء بالأسلوب المطول المكلف [4]. وقد اخترت ثلاثة وأربعين اسما متغيرا، تم تشفيرها وتسجيلها على الحاسب (جدول رقم 6). وعملا بإشارة معمل البحث الإحصائي في جامعة ميتشجان، تم إدخال أربعة ملفات في حاسب الجامعة، يحتوي الملف الأكبر فيها على البيانات المتعلقة بسيرة كل شخص، وفي الملفات الثلاثة الأصغر أربعة متغيرات: مكان الميلاد، ومكان أعلى منصب شغله، ومجالات التأليف، ومعاجم خاصة بسيرته. والملف الذي يتطابق مع التشفير الموجود في متغيرات أماكن البلاد ومتغيرات مكان أعلى منصب تولاه، ويتضمن الملف حال القرى والمدن التي يتضمنها ذلك التشفير. ونظرا لقيام الهيئة الإحصائية لمدرسة العمارة في ميتشجان بتطوير عملية حديثة، كان من الممكن إدخال خريطة مصر عن طريق الترقيم والذي يترجمه إلى MIDAS ويتصل بملف النظم الموجود بالفعل.

ولسوء الحظ اخترت طريقة تحتوي على أخطاء، مما اضطرني بعد ذلك إلى مراجعة مكلفة، للتأكد من ظهور القرى والمدن والضواحي في المحافظات في مكانها الصحيح، ومع ذلك فإن الخرائط التي نتجت عن هذا لا تمثل بدقة الخريطة الصحيحة لمصر. ومع هذا كانت نتيجة تلك الحسابات والأعمال أننا استطعنا أن نرسم خرائط لأماكن الميلاد، وأماكن أعلى المناصب التي تولوها لنؤكد على شيئين: التأثير الجغرافي لخريجي دار العلوم في مصر، والعوامل الجغرافية التي قد تؤثر في تطور حياتهم المهنية.

جدول رقم (6) قائمة المتغيرات مقاييس وصفية:

المتغير	العدد	أدني	أقصي	المتوسط	ثلاثية الابعاد
1-الاسم	1041	10.000	26930	12851	5120.9
2-سنة التخرج	1041	1573.0	19230.0	1909.2	12.259
3-الطبقة الاجتماعية	407	1.0000	63.000	23.322	10.030
4-تاريخ الميلاد	657	1837.0	190.1.0	1886.7	6.8585
5-تاريخ الوفاة	115	1673.0	1971.0	1926.9	17.691
6-المحافظة	331	1.0000	22.000	12.311	5.5649
7-بلد الميلاد	3.4	1.0000	377.00	154.92	104.30
8-	1025	1.0000	3.0000	1.3216	1.1761
9-التعليم	1039	1.0000	5.0000	1.1203	60323
10- التدريس	1026	1.000	2.0000	1.5233	25720
11-إلزامي	1015	1.0000	4.0000	1.0090	14507
12- ابتدائي	1014	1.0000	4.0000	1.4250	51903
13-	951	1.0000	4.0000	1.5650	77741
14-ثانوي	739	1.0000	9.0000	1.5457	94017
15-	657	1.0000	7.0000	1.3453	1.2737

المتغير	العدد	أدني	أقصي	المتوسط	ثلاثية الابعاد
16-	450	1.0000	9.0000	1.9552	2.1134
17-حقوق	350	1.0000	9.0000	1.2073	1.1174
18- تخصص	335	1.0000	7.0000	1.337	53779
19-جامعة	350	1.0000	9.0000	12646	1.2428
20-	1030	1.0000	4.0000	1.2127	42557
21-	1040	1.0000	5.0000	1.1981	48431
22-	1043	1.0000	7.0000	1.1452	73793
23- التفتيش	752	1.0000	9.0000	2.2154	2.0626
24-	1039	1.0000	28.000	1.9143	3.5022
25- الازهر	1039	1.0000	7.0000	1.0452	43571
26-	575	110.00	999.00	271.79	113.85
27-	573	7.0000	43.000	25.749	1.4733
28-	1031	1.0000	9.0000	1.0204	32166
29-	977	1.0000	504.00	93.156	94.498
30-	706	921.00	1927.0	1910.5	65.164
31-	120	1111.0	1961.0	1893.0	180.46
32-	1040	1.0000	5.0000	1.1596	79912
33-	1041	1.0000	4.0000	1.0163	16030
34-	1040	1.0000	5.0000	1.0317	32531
35-	1041	1.0000	5.0000	1.0711	40755
36-	1040	1.0000	8.0000	1.1904	97332

المتغير	العدد	أدني	أقصي	المتوسط	ثلاثية الابعاد
37-	1026	1.0000	1951.0	1102.5	135.15
38-	1039	1.0000	4.0000	1.1684	40413
39-	1030	1.0000	9.0000	1.3351	1.4343
40-	1039	1.0000	80.000	5.5582	13.788
41-	1040	1.0000	46.000	3.1721	5.5973
42-	530	121.00	4977.0	2513.9	1307.5
43-	1030	1.0000	2.0000	1.0272	16270 (●)

تم إعداد الخرائط من ثلاثة ملفات مختلفة متساوية، وكنت ثاني اثنين في الجامعة تستخدم البرنامج الخاص بإعداد الخرائط من ملف MIDAS، حيث ظهر البرنامج أثناء اشتغالي بالعمل.

يحدد الملف الأول في الأساس النقاط على الخريطة، ومتغير الكثافة، شفرة لكل عدد من الافراد في كل مكان، وأشير إليها في مربع بجوار النقطة فيه رقم، ومع هذا تم تغيير النظام حتى تشير مجموعة من الرموز إلى الكثافة والنقطة، ومن ثم تتوافر لنا دلالة أكثر إيجازا.

تستخدم الخرائط التالية النظامين. يوضح الملف الثاني طبيعة أماكن الميلاد وحجمه، وأعلى الوظائف التي شغلها الخريج، عن طريق ابتكار مربع بحجم مختلف، لعواصم المحافظات وضواحيها والمدن والقري الصغيرة، وابتكرت علامتين متميزتين للقاهرة والإسكندرية، تناظران تقريبا أبعادهما الجغرافية. وتظهر الكثافة في هذا النظام عن طريق تظليل، المربعات، ولكن استخدام هذا النظام أثبت عدم جدواه؛ لأن التظليل، كان إما دقيقا جدا، أو متفرقا أكثر

(●)ما ترك بياضا أمام الأرقام في الجدول غير واضح في الأصل تماما، وهو صورة ملتقطة (بالنت)، ولم استطع الوصول إلى معناه، ولو تكهنا، ولا بمعاونة الراسخين في اللغة الإنجليزية، فتركت مكانه أبيض (مؤقتا) علي نحو ما نصنع في نشر المحطوطات، إلي أن يتيسر لنا الحصول علي أصل واضح. (المغرب).

من اللازم، ولهذا السبب ألغيت، متغير الكثافة من الخرائط التي استخدم فيها نقلا من الملف الثاني.

بوسع الملفين الصغيرين وضع خريطة، إما لمكان الميلاد ومتغير آخر، متطابق أو غير متطابق، أو لمكان مماثل لأعلى الوظائف، أما الاثنان معا فغير ممكن. ولهذا أنشئ موضع ثالث ليوضع للمكانين معا في نفس الوقت: "مكان الميلاد" و"مكان العمل" (5). واستطاع الملف أيضا أن يحدد أمكنة التوظيف التي لم تظهر في مجموعات البيانات الفردية، لأنها لم تكن مدنا تقلد فيها أحد أعلى الوظائف أو ولد فيها. وهكذا أصبح ممكنا استخدام هذا الملف على خريطة واحدة، في تحديد كل المدن والقرى التي عمل فيها خريجو دار العلوم أو ولدوا فيها. (خرائط رقم 1/1و3/1 التالية و1/ 4 في ملحق 1).

نتج عن مشكلة في التشفير ملفان يتعلقان بمتغيرات بيانات التأليف وبيانات السير والببلوجرافيا. وبدا من المهم أن تعد قائمة بكل المجالات التي نشر فيها أي فرد، غير أنه ظهرت مجموعات كثيرة للمجالات لأفراد مختلفين (أكثر من سبعين) لا يمكن إدراجها في تشفير من عمودين. ولا يزال من الصعب استرجاعها على الحاسب. واكتشف عدم وجود أي شخص نشر في أكثر من خمسة مجالات مختلفة. لهذا تألف ملف صغير يضم حتى خمسة أرقام تتكون من رقمين، يحدد المجالات المذكور عددها بتشفيرة في ملفات كل شخص. وباستخدام هذا الملف أصبح ممكنا أن نحسب كم مصدر سيرى وببليوجرافي، وأيها احتوى على بيانات عن خريجي دار العلوم. وكما أشارت الهوامش السابقة، ذكر بعض الخريجين في عدد من هذه المعاجم، ومع كل خريج مجموعة متنوعة من المصادر التي تتماثل مع رقم في الملف الكبير، حيث تم تشفير ثمانية مصادر فحسب، ولهذا كسر الملف المنفصل على ثمانية أعمدة، كل عمود يشير إلى مصدر محدد، مثل معجم سركيس. وفي ست وأربعين مجموعة مختلفة من تلك المصادر أصبح ممكنا اكتشاف عدد الخريجين الذين تم ذكرهم في كل معجم سيرة أو ببليوجرافيا، وذلك باستخدام عملية مسح مماثلة لما وصفت عالية.

من الضروري أن تقدم الإحصاءات في هذا الفصل تقييما نهائيا للمعلومات المقدمة، ومع أنني حصلت على أكثر من سبع مئة رقم يقابل ملفات التوظيف للخريجين منفردين إلا أنني لم أتمكن من الوصول إلى تلك الملفات، ومعظم المعلومات عن التوظيف ناقصة. وعندما

قررت أن أضم كل الخريجين (مجموعهم 1041) كان على أن أقبل حقيقة وجود بيانات ناقصة كثيرة جدا، ومع هذا أشعر أن نتائج هذا المنهج تمثل الحقيقة أكثر مما لو تم الحصول عليها عن طريق اختيار الخريجين الذين تتوفر فيهم مجموعة بيانات كاملة فحسب، ومن تم فهي "عينة" غير عشوائية، ولهذا السبب ينقصها، على أية حال، دقة الصدق الإحصائي (6).

بفضل قراري دراسة قطاع بأكمله، وليس "عينة " عشوائية أستطيع القول بأن البيانات التي تشتمل عليها هذه الدراسة هو ما عرف منها، والمعلومات المستبعدة، أو التي لم تتوفر لدي، وقد تتوفر مستقبلا، ربما تغير في النتائج التالية مستقبلا. وأي خطأ في التشفير أو التفسير أتحمل مسئوليته كاملة، والذين يقومون بأعمال إحصائية يعرفون الاحتمالات اللانهائية عند دراسة قطاع يحتوي على متغيرات كثيرة كما هو الحال في دراستي هذه، لذا تمثل المساحات التي تم اختيارها هنا لتركيز عليها، مجرد مجموعة منتقاة بسيطة للاختيارات المحتملة.

***لمحة إحصائية عن خريجي دار العلوم**:

كما يشير الجدول السادس تحتوي المتغيرات المشفرة لخريجي دار العلوم أنواعا مختلفة من البيانات، بعضها تشفير لبيانات شخصية: سنة التخرج، وتاريخ الميلاد، وتاريخ الوفاة، ومكان الميلاد، والمحل الأصلي، والمستوى التعليمي، والأسفار، وغيرها.

وتنقسم المتغيرات الأخرى الخاصة بالبيانات الوظيفية المتعلقة بوظائف معينة، خاصة ما اتصل منها بمهنة التدريس، وفق مستويات المدرسة: إلزامي، ابتدائي، ثانوي، وغيرها. ويتكون كل متغير من مستويات مناسبة له، مثلا: احتوى متغير المدارس الابتدائية على أربعة مستويات:

1-لم يدرس في المستوى الابتدائي.

2-معلم.

3-مدرس أول.

4-ناظر مدرسة.

واستخدمت في كل أنواع المدارس الأخرى الأرقام نفسها، مع أن الذين حصلوا على الأستاذية وصل تقسيمهم إلى ثمانية مستويات، ويمثل ناظر المدرسة المستوى الرابع دائما

بالنسبة لكل فئات التدريس، ويدل المستوى التاسع دائما على الوكيل. وتناولت المستويات الأخرى الألقاب الشرفية والمكافآت والمؤلفات والوظائف غير التربوية. والمهنة الرسمية، وبيانات أخرى متنوعة مثل ما إذا كان معروفا عن الرجل أن له أقارب تخرجوا في دار العلوم أم لا. ولم تتضمن الدراسة أي بيانات اقتصادية تتعلق بالخلفية الاقتصادية لأسر هؤلاء الأفراد على الرغم من التدقيق في معرفة بيانات راتب كل خريج.

فيما يتصل بالتأثير الجغرافي الكلى لدار العلوم -كما توضح الخرائط من 1/1 حتى 1/2-فإن الخريجين قدموا من 194مدينة وقرية في مصر على الأقل. وشغل أربعون منهم أماكن أعلى المناصب أيضا. (وتوضح الخريطة 1/3 تلك الأماكن على حدة). ومن الخريجين الذين نعرف: محل أصلهم، وعددهم 331، قدم 14.8% من محافظات القاهرة والاسكندرية ومنطقة القناة والسويس، ودمياط، و68% من شمال الوادي، و17.2% من مصر العليا.

وتظهر ارقام طلبة دار العلوم في السنة الدراسية 1913/ 1914 النسبة المئوية نفسها: و12.54% من المحافظات، و67.52% من شمال البلاد و19.94 % من مصر العليا [7]. وتقول أرقام قطاعات السكان الخاصة بهذه الدراسة عام 1913، في هذه المناطق ما يلي: المحافظات 10.6 % وشمال البلاد 48.2% ومصر العليا 41.2% [8].

في السنة نفسها كانت نسبة البنين الذين لم يتلقوا تعليما في مصر هي: المحافظات 60 %، وشمال البلاد 70%، ومصر العليا 78% [9]، وخلال الخمسين عاما التي تتضمن هنا دفعات التخرج، ظلت الأمية في مصر عند نسبة تسعين في المائة تقريبا، وعلى هذا الأساس فحسب فإن خريجي دار العلوم هؤلاء شكلوا الصفوة المتعلمة.

وتشير الأرقام أيضا إلى أن نسبة خريجي دار العلوم الذين ينتمون إلى مصر العليا ضعيفة جدا، وغير متكافئة بالنسبة لمن هم من شمال البلاد والمحافظات. ويمكن أن نرد هذا إلى ارتفاع نسبة الأمية بين البنين في مصر العليا، وإلى بعد المسافة بين بلادهم والقاهرة. ويقدم لنا بيان بالأقاليم التي ولد فيها خريجو دار العلوم تفسيرا أكثر وضوحا:

المحافظة	النسبة المئوية
المنوفية	%21.2
الغربية	%17.5
الشرقية	%11.5
القاهرة	%10.5
الدقهلية	%7.3
البحيرة	%6.9
أسيوط	%4.2
المنيا	%3.6
جرجا [10]	%3.3
القليوبية	%3
الإسكندرية	%3
بني سويف	%2.4
الجيزة	%1.2
مصر العليا "إجمالا"	%1.2

خريطة 1/1 أماكن خريجي دار العلوم



أماكن:

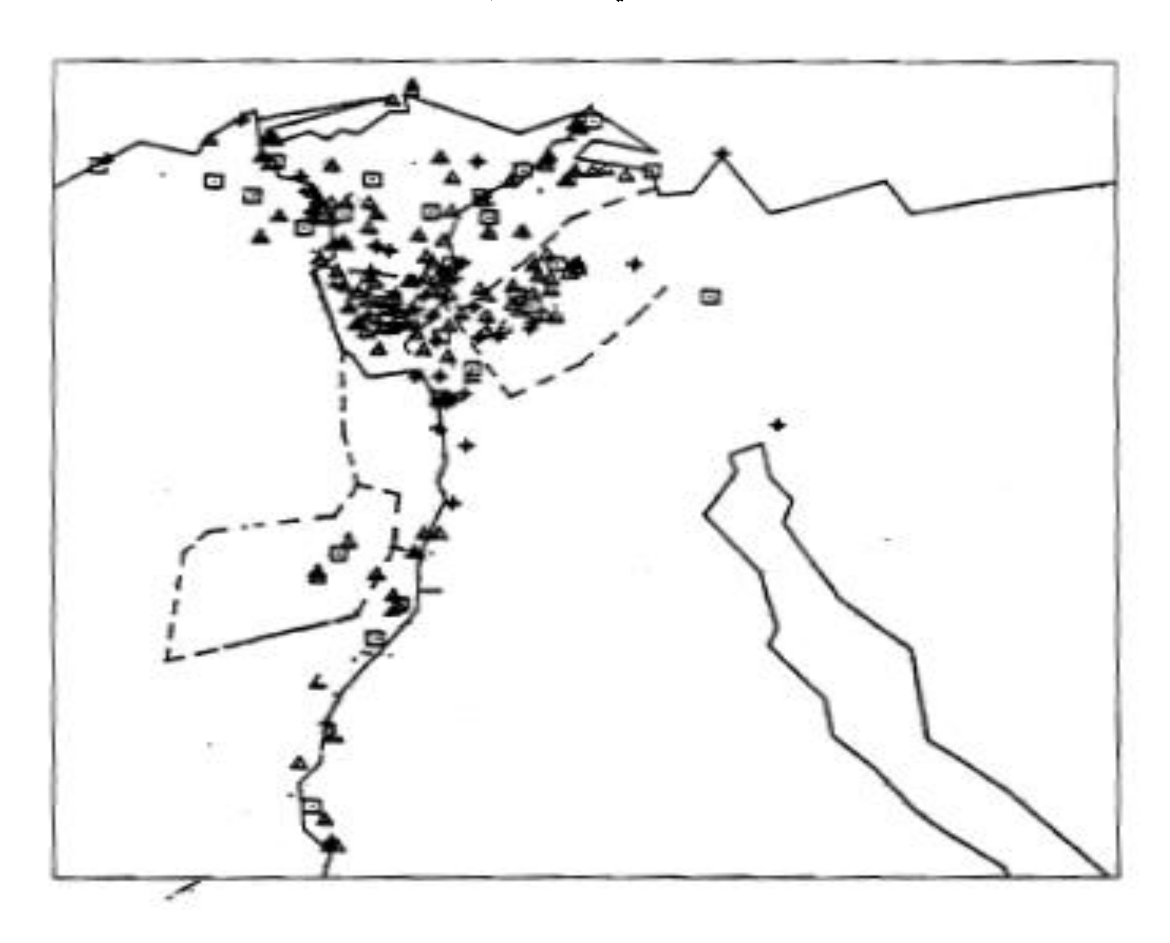
أخرى • = أماكن وظائف غير عُليا (٤٧).

ميلاد △ = أماكن ميلاد فقط (١٥٤).

عمل □ = أماكن أعلى المناصب فقط (٣٣).

الاثنان ✧ = أماكن الميلاد وأعلى المناصب (٤٠).

خريطة 2/1 أماكن خريجي دار العلوم



أماكن:

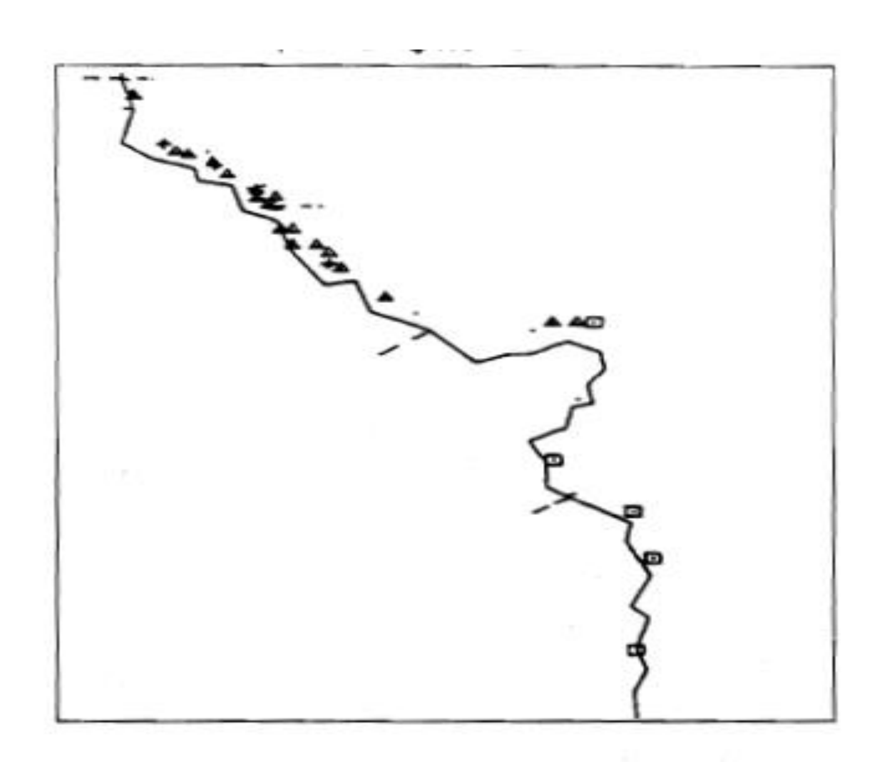
أخرى • = أماكن وظائف غير عُليا .

ميلاد △ = أماكن ميلاد فقط .

عمل □ = أماكن أعلى المناصب فقط .

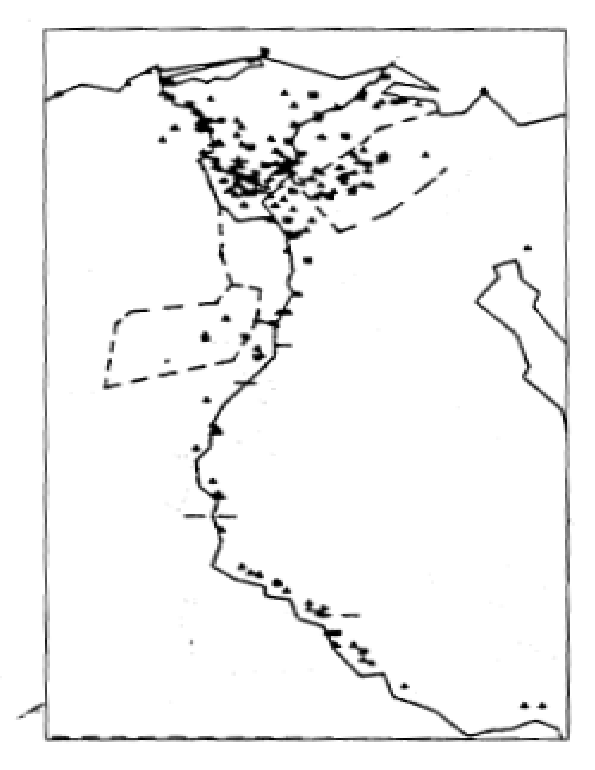
الاثنان ✧ = أماكن الميلاد وأعلى المناصب .

خريطة 3/1 أماكن خريجي دار العلوم



أماكن:
أخرى • = أماكن وظائف غير عُليا .
ميلاد △ = أماكن ميلاد فقط .
عمل □ = أماكن أعلى المناصب فقط .
الاثنان ✧ = أماكن الميلاد وأعلى المناصب .

خريطة 1/2 أماكن ميلاد خريجي دار العلوم



الكثافة: (١) △ = ١ خريج .

(٢) □ = ٢-٣ خرجين .

(٣) ✧ = ٤-٦ خريجين.

(٤) ○ = ١٠ خريجين (الأسكندرية).

(٥) ⧖ = ٣٠ خريجًا (القاهرة).

خريطة 4/3 أماكن عمل خريجي دار العلوم



في التصنيف السابق تمثل كل من السويس، ودمياط، ومنطقة القناة، وقناة، والفيوم نسبة أقل من واحد في المئة، لكل محافظة علي حدة.

وثمة خريج واحد من السودان، ويمثل الخريجون المعرفة أقاليمهم، ولكن أماكن ميلادهم ليست محددة، أقل من 10 % من المجموعة المذكورة أعلاه.

ويوضح التقسيم الإقليمي أن قرابة 40% من خريجي دار العلوم في أوائل القرن العشرين هم من إقليمي الغربية والمنوفية.

وكان هذان الإقليمان الأكثر ازدحاما، والأكثر تمتعا بوفرة الكتاتيب، وفى تأملات خاصة بالموروث الديني والتربوي، في دراسة قام بها بتري عن علماء القاهرة في القرن الخامس عشر، انتهى إلى أن الناس في مناطق دلتا النيل الوسطى أميل من غيرهم إلى التعليم، وأن معظم الوافدين إلى القاهرة قدموا من هذين الإقليمين، وأن الغربية والمنوفية تمثلان المنطقة الأشد تدينا منذ الفترة الإسلامية الكلاسية، بما فيها من زوايا ومساجد ومدارس، إضافة إلى ذلك حفلت كلتاهما بوجود مؤسسات مالية وإدارية جعلتهما مصدرا هافا للبيروقراطيين الذين يعملون في القاهرة (11)، ومن ثم انعكست الكثافة السكانية العالية، وتجلى تأثير التعليم الديني الإسلامي القوى في هاتين المحافظتين، في عدد الطلاب الكثير الوافدين إلى القاهرة من الغربية والمنوفية.

ويعكس انخفاض عدد الطلبة غير المتكافئ من أسيوط بعد هذه المحافظة عن القاهرة، وهي ثالث أكبر محافظة في مصر، كما يعكس – من جانب أخر–ارتفاع نسبة عدد السكان الأقباط نسبيا، وارتفاع نسبة الأمية بين مواطنيها. ويبدو أن هذه العوامل كلها كان لها الغلبة في محافظة مثل جرجا أيضا.

أما ارتفاع نسبة عدد الطلاب الذين من الإسكندرية أو القاهرة، فيعود دون شك إلى العوامل التالية: ارتفع نسبة التعليم فيها، ووفرة الفرص التعليمية في التعليم الإسلامي الأعلى، وفرص التوظف المتاحة بعد التخرج في دار العلوم، ومع أن السجلات لا تشير إلى وجود أي خريج من مواليد محافظة أسوان، لكن، ربما، يكون بين الخريجين السبعمائة الذين نجهل أماكن ميلادهم من هذه المحافظة.

خريطة 4/4 أماكن ميلاد خريجي دار العلوم

عواصم إقليمية ومحافظات .
ضواحي المدن (مراكز).
مدن وقرى صغيرة.

يشار إلى القاهرة والإسكندرية برمز خاصة

وكان لحجم المدينة ومكانتها دور واضح في هذا العدد، فمن بين هؤلاء الخريجين الذين تحددت أماكن ميلادهم في السجلات: 10.85 % ولدوا في القاهرة وضواحيها [12]، و3.38% في الإسكندرية و3.62% في العواصم الريفية ومحافظات أخرى، و9.87% في المدن الإقليمية. وعلى حين ينتسب 27.62% من خريجي دار العلوم إلى تلك المدن والعواصم، ولد الباقون، وهم 72.83% في قرى صغيرة أو ضياع. وتشير البيانات المتوفرة أيضا إلى أن عددا قليلا من بين 1041 خريجا ينتمون إلى أسر غنية [13]

وكانوا إما من أبناء الفلاحين الذين يستطيع آباؤهم تحمل الاستغناء عن العمل معهم في الحقول، أو من أبناء الذين رغب آباؤهم في التضحية بإرسال ابن واحد على الأقل ليتعلم في الأزهر الشريف، ومن ثم استطاع بعد ذلك أن يتقدم لدخول دار العلوم. وفى هذا الإطار أصبحت دار العلوم وسيلة انتقال هامة للصعود عاليا للمصريين من أبناء الطبقتين الدنيا والمتوسطة، وفي الوقت نفسه كان خريجوها يعبرون الحاجز النفسي بين النظام المدرسي الديني التقليدي، ونظم المدارس العامة الحديثة. ولأن جذور هؤلاء الخريجين تمتد في مدن مصر والمناطق الريفية، جعلوا من المدارس الحكومية الجديدة أكثر قبولا في المجتمع التقليدي الذي يحترم العلماء (14). وفى الوقت نفسه، وبفضل تخرجهم في معهد للتعليم العالي يتبع الحكومة، استطاع خريجو دار العلوم أيضا أن يتواصلوا مع طلاب في المدارس العامة ومن نتاجها، وهؤلاء أصولهم من الطبقة المتوسطة، أو ما فوقها، ومن ثم كون هؤلاء المتخرجون في دار العلوم قطاعا هافا في الطبقة المثقفة المصرية الجديدة، مع استعداد قوي لتحديث التعليم في مصر دون التخلي عن الإسلام أو الموروث الديني والثقافي.

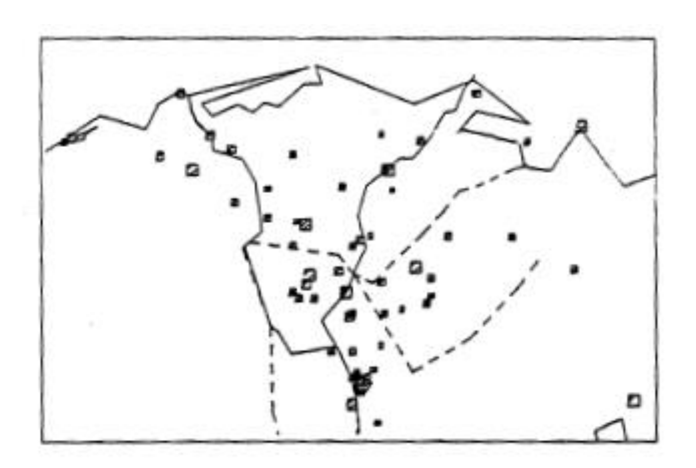
وبينما جاء طلبة دار العلوم أصلا من القرى والمناطق الريفية إلا أنهم بمجرد تخرجهم كانوا يستقرون في المدن الكبرى، وضواحيها، وعواصم المحافظات، والعاصمتين الرئيستين القاهرة والإسكندرية.

وتشرح الخرائط 1/1 حتى 1/ 4 و3/ 1 و5/ 1 هذه النقطة.

يصل إجمالي أماكن العمل الوظيفي التي نعرفها إلى 120 مكانا، ويتضمن هذا العدد أماكن توظف هؤلاء الخريجين التي لم تكن أكثر الوظائف أهمية بالنسبة لهم وبما أنه تم رصد أماكن لوظائف أعلى، لـ 94% من الخريجين، ووضع شفرة لكل المدن التي عملوا بها يمكن الجزم بالنطاق الجغرافي لبيانات التوظيف، وهو ما لا ينطبق على بيانات الميلاد، مع قليل من التحفظات. وثمة فئة أخرى، لها أهمية خاصة، لأنها تمثل مدن الضواحي، وكانت تمثل في أغلب الأحيان القواعد في منتصف حياة الخريجين المهنية للذين عملوا في تفتيش المدارس في المحافظات، ووصل كثير منهم لأعلى مناصبهم في القاهرة مفتشين في الوزارة أو معلمين. ويشير وجود الخريجين في مدن الضواحي، مع وجودهم في المناطق الريفية والمدن الكبرى إلى تأثير خريجي دار العلوم المباشر ومداه القوي جدا على كل مكان في مصر.

ثمة أكثر من حقيقة جغرافية مفاجئة ظهرت من بيانات التوظيف هي أنه على الرغم من أن 11% فقط من الخريجين تقريبا من مواليد القاهرة، إلا أنها المكان الذي تقلد فيه أعلى المراكز أكثر من 55% من الخريجين. أما بالنسبة للخريجين الذي نعرف محال ميلادهم، فيرتفع المعدل إلى ما هو أكثر من ذلك، ليصل إلى 59% تقريبا وهو ما يشير لا إلى تركيز الخريجين العالي على القاهرة فحسب. وإنما يشير أيضا إلى التواجد الكبير فيها للخريجين الأكثر نجاحا، والأوسع شهرة ومعرفة. وسوف تتاح لهم الفرصة للوصول إلي المناصب العليا في القاهرة. لو جاء ترتيبهم في التخرج على رأس قائمة خريجي دفعاتهم.

خريطة 1/5 أماكن عمل خريجي دار العلوم



عواصم إقليمية ومحافظات .
ضواحي المدن (مراكز).
مدن وقرى صغيرة.

يشار إلى القاهرة والإسكندرية برموز خاصة.

توضح خرائط 7/1 حتى 7/4 الفروق بين أربع فئات من الخريجين على أساس ترتيبهم في دفعات تخرجهم:

* 10-1
* 20-11
* 40-21
* 67-41

وقد تبينت من هذا الإحصاء أن ثمة علاقة إيجابية متبادلة بين الترتيب المتقدم في الدفعة وبين وجود القاهرة في قائمة مكان العمل للخريج.

إما بالنسبة لمن هم في فئة رقم واحد، ويبلغ عددهم 115 فقد تقلد 73.9% منهم، بأكملهم مناصبهم العليا في القاهرة. وبين من هم في الفئة الثانية وعددهم 85، جاءت القاهرة محل عمل لهم بنسبة 50.6 % منهم، على حين توزعت البقية في 7 محافظات أخرى وعواصم إقليمية. وأظهرت نسبة الفئة الثالثة، وعددها 131، زيادة طفيفة للخريجين

بالنسبة إلى القاهرة 51.2%، عمل منهم 21.15% فقط في العواصم الإقليمية أو في المحافظات وتضمنت الفئة الرابعة 47.3% فقط ممن كانت أعلى مناصبهم في القاهرة. وتمركزت المجموعة الرابعة من الخريجين وعددهم 73 بغزارة أكثر في شرق الدلتا (الشرقية والدقهلية)، ولم تنتشر مثل ما كان عليه الحال مع المجموعة الثالثة. وتوضح الخريطة 6/ 4 التي تحدد أماكن ميلاد المجموعة نفسها تمركزا كبيزا للخريجين من الشرقية.

ومن ثم قد يكون ارتفاع أعداد العاملين هناك من بين خريجي دار العلوم أصحاب الترتيب المنخفض انعكاسا بسيطا لحقيقة أنهم من هذه المناطق أساسا.

إن خطر الاعتماد القوى على مثل تلك الأرقام يكشف مدى تأثير سنة التوظف على المدن التي تقلد فيها الخريجون أعلى مناصبهم، بغض النظر عن ترتيبهم في دفعاتهم. مثلا: من بين مئة وستة خريجين من الفئة الأولى، ممن تولوا الوظائف بين عامي 1873 و1923 بمعرفة وزارة المعارف تقلد 79.50 % منهم، بين 1910و 1919، أعلى مناصب لهم في القاهرة، على حين أن الأمر نفسه حدث بنسبة 30 و53% فقط لمن توظفوا بين عامي 1920و 1923 وعلى الجانب الأخر قد يعكس هذا الرقم أيضا اكتمال بيانات الحياة المهنية على نحو أفضل، وتوافرها بصورة أجود لموظفي 1910حتى 1919

وقد يكون الأمر نفسه حقيقة فيما يتصل بالبيانات الخاصة بالرواتب، والتي تفسر العلاقة الإيجابية بين الراتب العالي وبين أن يكون محل العمل هو القاهرة، إذ نجد أن 46 % تقريبا ممن نالوا أعلى الرواتب، وهي 15 جنيها حتى 22.50 جنيها مصريا شهريا، ممن تقلدوا وظائفهم العليا في القاهرة (خرائط 22/ 1 حتى 22/ 5)، وزادت هذه النسبة باطراد

في المجموعة من الفئة 40 جنيها مصريا حتى 50 جنيها (وعددهم 38)، حيث بلغت نسبهم 81.6% في فئة القاهرة، على حين تجمعت إجمالا نسبة 18.4% المتبقية في أربع مدن أخرى فقط.

أما في مستوى 50.5% جنيها مصريا من الرواتب حتى أعلى فئة، وهي 99.9 جنيها مصريا، فقد وجد منهم خمسة وعشرون خريجا شغل 95% منهم أعلى مناصبهم المعروفة في القاهرة. وحيث تعكس الرواتب الكثيرة المدرجة على أنها أعلى الرواتب المعروفة، بيانات عن الحياة المهنية المبكرة، قد يظن المرء أن البيانات عن الحياة المهنية لو كانت أكثر اكتمالا لنتج عنها رواتب أعلى ونسب أعلى للخريجين الذين كانت أفضل مناصبهم في القاهرة.

يأتي تدعيم هذا الظن من العلاقة الإيجابية بين أن يكون تاريخ التخرج مبكرا، وأن يكون محل العمل في القاهرة. ولكي نصل إلى توزيع عادل قمت بكسر الخريجين على الفئات الخمس التالية:

1- 1873-1900
2- 1901-1909
3- 1910-1913
4- 1914-1918
5- 1920-1923

شغل ما يقرب من 65% من خريجي ما قبل 1910 أعلى مناصبهم في القاهرة، أما الذين أنهوا دراستهم في الفترة من 1910 إلى 1914، فجاء 55 % منهم في فئة القاهرة. ومن بين الذين تخرجوا في سنوات الحرب العالمية الأولى عمل في القاهرة ما يقرب من 47% فحسب. كأعلى نصب لهم، ثم ارتفعت النسبة لتصبح 49% بالنسبة للمجموعة التي أتمت دراستها بعد ثورة 1919. وحتى لو أخذنا في الحسبان احتمال استكمال الحصول على بيانات عن الحياة المهنية على نحو أكبر للخريجين السابقين، يبقى واضحا أن من أنهوا دراستهم عندما كانت مجموعة أخصائي التدريس تنمو بسرعة كانت فرصتهم أقل في الوصول إلى أعلى المناصب في المجال التربوي والتعليمي (15).

ويظهر مؤشر نهائي العلاقة بين الترتيب في التخرج والتعيين في القاهرة لأعلى المناصب من ناحية، وبين النجاح العام في الحياة المهنية من ناحية أخرى، وذلك عند دراسة الخريجين وفقا لمستويات المدارس التي درسوا فيها، ويجب التأكيد على ان الخريج الذي بلغ أعلى المناصب. في القاهرة، ومن درس في مدارس إعداد المعلم الابتدائي والثانوي والإلزامي يتمثل في مجمل كل فئة. ولا عجب في أن يتولى الخريجون الذين درسوا في أفضل المستويات تقدما أعلى مناصبهم في القاهرة؛ لأن هذه المدارس تتمركز في القاهرة، واذن فمن الذين يتولون دائما أعلى المناصب من الخريجين الذين عملوا، معلمين وأساتذة، في مثل تلك المدارس. مثلا: 96 % من مجموع 102 متخرجا في دار العلوم من درسوا فيها. كانت القاهرة محلا لعملهم. وكان 94 % ممن درسوا في كلية الإعداد العليا كذلك بالنسبة للخريجين الذين عملوا معلمين في المرحلة الثانوية (وعددهم 384)، فكانت القاهرة محل أعلى المناصب التي تولوها بنسبة 66.2% منهم، (خريطة 15). وانخفضت النسبة المئوية إلى 54.6% لمن عملوا في المدارس الابتدائية، وعدد 368 (خريطة 13)، وتولى 51% من الخريجين ممن درسوا في مدارس الإعداد لمعلمي المكاتب (وعددهم 416) أعلى مناصب لهم في القاهرة (خريطة 11). أما هؤلاء الذين يعملون في المراكز المحلية (وعددهم 212) فكان معدلهم أقل بكثير وهو 48%. ولا عجب أن يكون هذا الرقم نفسه، هو 48%، يماثل رقم الخريجين فيما بين عامي 1914 -1918، ومرد ذلك أن كثيرا من الخريجين غادر القاهرة اثناء الحرب العالمية الأولى؛ ليدرسوا في مدارس الأقاليم، وربما واجهتهم بعض الصعوبات في الارتقاء في النظام التعليمي (خريطة 4/9و 16).

ما أوردناه أعلاه يشير إلى أهمية التمركز في التعليم المصري. بوصفه عاملا هاماً في التوظيف، وفي أنماط الحياة المهنية لخريجي دار العلوم قبل تولي الخديوي إسماعيل الحكم وقد فشلت الحكومة المصرية في إخضاع التعليم العام لإشرافها المباشر، وتوسعت التوجهات نحو ضم الكتاتيب للنظام القومي أثناء الاحتلال البريطاني، ومع تطور عمل شبكة التفتيش حيث يسافر مجموعة من الرجال إلى جميع انحاء مصر لزيارة المدارس وتسجيل المقترحات، ومع زيادة قبضة وزارة المعارف على مختلف المستويات التعليمية زادت أهمية المناصب الإدارية العليا في القاهرة وأعدادها. وقد وصل إلى هذه المناصب العليا ثلث خريجي دار العلوم ممن عملوا في

تفتيش المدارس، أو نحو تسع إجمالي الخريجين، فأشرفوا على التفتيش في المستويات الابتدائية، فحصوا مواد المناهج وقيموها في مواد محددة مثل (قواعد اللغة العربية) أو بالنسبة لمستويات تعليمية محددة، (مثل الصف الثالث الثانوي) كما عملوا بعامة في الإدارة التعليمية.

بخلاف البيانات الجغرافية (خرائط من 1 حتى 22) ثمة خصائص جديرة بالملاحظة تخص الطلبة في دار العلوم: يوضح جدول 7 عدد خريجي كل الدفعات من 1873 حتى 1923، أما فيما يخص لوائح وقوانين سن القبول بدار العلوم فمن المثير اكتشاف أن من بين 657 خريجا الذين عرفت تواريخ ميلادهم تخرج 92% منهم بين سن الثانية والعشرين والثلاثين، وأنهى أكثر من 30% من إجمالي الطلبة الكلي دراستهم وأعمارهم بين ستة وعشرون وسبعة وعشرون عاما[16].

ونلحظ أيضا وجود خريجين أعمارهم فوق الثلاثين، وهم أكثر قليلا ممن أعمارهم دون 22 عاما. وفيما يتصل بالدرجات العلمية استطاع 60 خريجا من الذين تخرجوا بين 1873 و1923 أن يستكملوا دراسات إضافية بعد تخرجهم في دار العلوم، وقد حصل أربعة وثلاثون على شهادة واحدة على الأقل، على حين حصل ستة على درجة الماجستير، أو على شهادتين أو أكثر، وحصل عدد من الخريجين على درجة الدكتوراه أو ما يعادلها. أما في المهن الأخرى فأصبح ثمانية خريجين على الأقل أطباء بشريين، على حين حصل تسعة على شهادات في القانون.

علينا أن نأخذ في الحسبان أن الأرقام التي ذكرتها سابقا للأعداد الموجودة في مناطق التدريس المختلفة مقصورة على الخريجين الذين غرفت أماكن توظفهم، وتوصلت إلى النتائج التالية عن مدى تحقيق دار العلوم الهدف الأساسي الذي أراده على مبارك من إعداد معلمين متميزين للمدارس الابتدائية الحكومية. درس على الأقل 91 % (عددهم 954) في مرحلة من مراحل حياتهم المهنية، وذلك بالنسبة لخريجي دار العلوم قبل 1924، ويمثل هذا الرقم في حد ذاته نسبة عالية جدا، ولكنه رقم جدير بالذكر، نظرا لوفاة عدد من الخريجين بعد تخرجهم بفترة قصيرة، وثمة آخرين ربما درسوا بالفعل، ولكن لم ترد عنهم أيه معلومة قد تفيد ذلك الاستنتاج. أما عن معلمي الابتدائي فتولى 357 منصب معلم، وسبعة وظيفة مدرس أول، وأصبح واحد وعشرون مديرا في المدارس الابتدائية، وهذا العدد الإجمالي يماثل عدد

معلمي المدارس الثانوية، ماعدا وظيفة مدرس أول فقد شغلها 85 معلما، على حين أصبح أحد عشر خريجا فقط ناظرا للمدارس الثانوية.

جدول (7) عدد الخرجين سنويا

نقطة الوسط	العدد لكل سنتي تخرج	(كل×= 2)
1873	+2	×
1874	+0	
1875	+5	×××
1876	+8	×××
1877	+3	××
1878	+3	××
1879	+6	×××
1880	+3	××
1881	+18	××× ××× ×××
1882	+2	×
1883	+24	××× ××× ××× ×××
1884	+7	× ×××
1885	+10	×× ×××
1886	+2	×
1887	+1	×
1888	+8	× ×××
1889	+7	× ×××
1890	+4	××
1891	+11	××× ×××
1892	+11	×× ×××

نقطة الوسط	العدد لكل سنتي تخرج	(كل×= 2)
1893	**+9**	×× ×××
1894	**+21**	×× ××× ×× ×××
1895	**+16**	×× ××× ×××
1896	**+6**	×××
1897	**+10**	×× ×××
1898	**+9**	×× ×××
1899	**+8**	× ×××
1900	**+11**	××× ×××
1901	**+6**	×××
1902	**+4**	××
1903	**+8**	× ×××
1904	**+10**	×× ×××
1905	**+16**	×× ××× ×××
1906	**+16**	×× ××× ×××
1907	**+29**	××× ××× ××× ××× ×××
1908	**+19**	× ××× ××× ×××
1909	**+47**	××× ××× ××× ××× ××× ××× ××× ×××
1910	**+44**	××× ××× ××× ××× × ××× ××× ×××
1911	**+29**	××× ××× ××× ××× ×××

نقطة الوسط	العدد لكل سنتي تخرج	(كل×= 2)
1912	**+63**	××× ××× ××× ××× ××× ××× ××× ××× ×× ××× ×××
1913	**+45**	××× ××× ××× ××× ×× ××× ××× ×××
1914	**+53**	××× ××× ××× ××× ××× ××× ××× ××× ×××
1915	**+22**	×× ××× ××× ×××
1916	**+56**	××× ××× ××× ××× ××× ××× ××× ××× × ×××
1917	**+51**	××× ××× ××× ××× ××× ××× ××× ××× ××
1918	**+64**	××× ××× ××× ××× ××× ××× ××× ××× × ×××
1919	**+0**	
1920	**+78**	××× ××× ××× ××× ××× ××× ××× ××× ××× ××× ××× ××× ×

نقطة الوسط	العدد لكل سنتي تخرج	(كل×= 2)
1921	**+62**	××× ××× ××× ××× ××× ××× ××× ××× × ××× ×××
1922	**+45**	××× ××× ××× ××× ×× ××× ××× ×××
1923	**+49**	××× ××× ××× ××× ××× ××× ××× ××× ×
الإجمالي	**1041**	**(العرض البيني= 1.0000)**

أكثر المناطق تأثرا في التدريس بخريجي دار العلوم هي مدارس إعداد المعلم الإلزامي = (مدارس المعلمين الأولية)، فقد عمل 51 منهم مديرا لها (أي للمدرسة)، و 19 مدرس أول، و 353 معلما، ويتضح مدي سيطرتهم على مناصب القيادة في هذه المدارس، أنهم استحوذوا على كل مناصب مدير (ناظر مدرسة المعلمين الأولية) قبل عام 1916 (وربما بعد ذلك أيضا)[17]، وقد تعين العديد من الخريجين لاثنين من هذه المعاهد أو أكثر، ومواقعها في القاهرة (مدرسة عبد العزيز الأولية للمعلمين)، والفيوم، والمنصورة، وقليوب، والزقازيق. ولم يحصل أي من الأسماء التالية على أي دراسة بالخارج، أو حتى أي شهادة أخرى بخلاف تدريبهم في دار العلوم، جوهري دسوقي (تخرج 1896) ومحمد جبر (1894)، ومحمد حسن الفقي (1984)، ومحمد يوسف (1884) [18] وأحمد علي السكندري (1898)، ومنصور مهران (1902)، ومهدي أحمد خليل (1898)، وعثمان أبو النصر (1905)، وأحمد مصطفى محمد (1909)، وعلي حسن النادي (1953)، وعبد العزيز أحمد الخولي (1907)، وعلي أحمد صالح (1900)، وعطا مصطفى سالم (1893). وفي عام 1913 التحق بمدارس المعلمين الأولية (إعداد المعلم الإلزامي) 1400 طالب، بما في ذلك المدارس التي كانت تخضع للسلطات المحلية [19] وخلال عام 1920 تخطي عدد الطلبة في ست

وعشرين مدرسة من هذه المدارس ألفي طالب [20] وجاءت هذه الزيادة نتيجة حتمية لقرار الحكومة بجعل التعليم الإلزامي إجباريا، ولم يجد كثيرون ممن تخرجوا في مدارس المعلمين الأولية وظائف مناسبة.

خاصة في أوائل القرن العشرين [21]. ومن ثم أغلقت عدة مدارس أبوابها حتى أنه لم يتبق منها في سنة 1930 سوى ثنتين وعشرين مدرسة فقط.

وحصل الطلبة المقيدون في (مدارس المعلمين الأولية) مدارس إعداد المعلم الإلزامي على دورة تدريبية مدتها عام أو عامان، وتؤهل الطالب بعدها ليكون فقيها أو عريفا، وعلى هذا الأساس تم توظيفهم في مكاتب الحكومة أو المراكز المحلية. وقد التحق بعض خريجي هذه المدارس بدار العلوم ليصبحوا مدرسين في المدارس الابتدائية أو الثانوية [22]. ومن ثم أصبح تأثير دار العلوم في مدارس إعداد معلمي التعليم الإلزامي (مدارس المعلمين الأولية) قويا واضحا وهاما وواسع الانتشار وعميقا وشاملا. كما قام خريجو دار العلوم أيضا بدور مهم على مستوى كلية الإعداد العليا (مدرسة المعلمين العليا، ومعاهد إعداد المعلمين)، وفي معاهد تعليمية اخرى معينة: مثلا في عام1913 كان في مدرسة الحقوق ثلاثة اساتذة من خريجي دار العلوم لم يحصلوا على شهادات أجنبية، وفي مدرسة الإعداد الخديوية كان اثنان من أربعة أساتذة من خريجي دار العلوم لا يحملون شهادات أجنبية.

وأخيرا عاد 105، أو نحو 10 % إذا شئت، من خريجي دار العلوم بين عامي 1873 و1923 إلى معهدهم الأم كي يعملوا أساتذة فيه [23]، وعندما أنشئت الجامعة المصرية (جامعة القاهرة الآن) في عام 1908، انضم العديد من خريجي دار العلوم إلى هيئة التدريس فيها.

كان أول خريج لدار العلوم، والأكثر ظهورا، محمد حفني ناصف، وتخرج عام 1882، ذائع الشهرة لتعدد مواهبه. ولد في قرية بالقرب من القاهرة، ودرس في كتاب القرية قبل أن يلتحق بالأزهر، وتخرج في دار العلوم أثناء الثورة العربية فانتظم في سلك المتطوعين، وبقي شهرا في (قشلاق عابدين) يتدرب على الرماية وبعض الفنون الحربية، مع من كان يعلمهم الشيخ حسن الطويل حين ذاك [24]. وكان أول عمل تولاه وظيفة مدرس في مدرسة المكفوفين والخرس التي أنشئت عام 1875، وأثناء تدريسه اللغة العربية فيها، أو كل إليه

ترجمة ما يقوله رجل أبكم في قضية ما في المحكمة، ومن هنا بدأت علاقته بعالم القانون. وفي مارس 1885 عين سكرتيرا لشفيق منصور يكن من مكتب النائب العام في محاكم الاستئناف الأهلية، وساعد يكن في الإعداد لكتاب.

وفي عام 1886 حضر، مع ثلاثة آخرين، المؤتمر الدولي للمستشرقين الذي انعقد في مدينة البندقية، وقدم فيه بحثا عن (اللهجات العربية) نشرته المطبعة الأميرية المصرية. وتولى حفني ناصف وظيفته الثانية مدرسا في مدرسة الحقوق الخديوية في ديسمبر عام 1887، متخصصا في كل ما يتعلق بالقانون من إنشاء وبلاغة وأدب ومنطق، كما حضر مؤتمرا ثانيا للمستشرقين في لندن عام 1891. وأخيرا عين في عام 1892 في المحاكم الأهلية حيث تنقل بين مناصب عديدة على امتداد عشرين عاما، أولا: وكيل في طنطا، ثم قاض في قنا وأسيوط، والمنصورة. وشمل نشاطه الواسع الجامعة المصرية أيضا، مسهما في إنشائها، ورأس أول مجلس إدارة لها في 7 مارس 1908 [25]. ونشرت المحاضرات التي ألقاها في دورته التدريبية بعد ذلك.

وفي عام 1912 عين أول مفتش للغة العربية، وظل في هذا المنصب حتى تقاعده عام 1915، وأثناء توليه هذا المنصب عمل لمدة عامين في اللجنة الاستشارية لإرشاد المصريين الدارسين في أوربا على نفقتهم ورعايتهم، وهي لجنة ضمت بين أعضائها امين سامي باشا ناظر دار العلوم السابق، ومحمود أبو النصر [26].

ولعب حفني ناصف دورا نشطا مماثلا في إنشاء نادي دار العلوم بوصفه متخرجا فيها، وأصبح أول رئيس له، وشارك بانتظام في برامجه، فأسهم في سلسلة المحاضرات التي قدمها النادي في مدرج مدرسة عبد العزيز الأولية للمعلمين، وطالب فيها بإنشاء بنك وطني أهلي، وكذلك ألقى بحثا مستفيضا في الندوة التي أقامها النادي عن تحريم الربا [27].

واشترك مع عدد من زملائه الدرعميين: محمد دياب، ومصطفى طموم، ومحمد صالح في تأليف كتب في النحو، وأشرت إليهم فيما سبق، خاصة في الفصل الثالث [28].

ولمع اسم حفني ناصف أيضا بين أبرز شعراء العالم العربي، خاصة في مجال الشعر العامي المكتوب باللغة العربية السهلة [29]. ومن بين الصحف التي ضمت إشعاره ومقالاته: روضة المدارس والأهرام والمؤيد والجريدة، وكلها دوريات معروفة. ويعد حفني ناصف أهم

أعضاء جماعة "المنار"، وهم الذين التفوا حول الإمام محمد عبده، وربما كانت شهرة حفني ناصف أقل في أنه والد ملك حفني ناصف الشهيرة وعرفت باسم باحثة البادية الشاعرة، والمدافعة عن حقوق المرأة، ومع أنها لحقت بوالدها بعد وفاته، إلا أن حياتها كانت امتدادا له، فقد ألحقها بالمدرسة في زمن كان فيه المنزل لما يزل المكان الطبيعي لمعظم بنات الطبقة المتعلمة المسلمات (30).

ثمة درعمي آخر درس في أول جامعة مصرية هو الشيخ محمد الخضري، تخرج في دار العلوم 1985، واشتهر فيها، وفي مدرسة القضاء الشرعي أستاذا للتاريخ، وقضى في هذه ثلاث عشرة سنة بعد إنشائها عام 1907(31)، وعمل قبل هذه الفترة مدرسيا في المنصورة وشبين الكوم والناصرية، وفي كلية غوردن في الخرطوم، وقضى فيها ثلاث سنوات عمل خلالها قاضيا أيضا، كما أنه غين وكيلا لمدرسة القضاء الشرعي، ثم أنهى حياته في تفتيش المدارس شأن الكثيرين من زملائه الدراعمة. وأعيد طبع كتبه في التاريخ، وتاريخ التشريع الإسلامي أكثر من مرة، وظهرت الطبعة السابعة لشرحه للألفية في عام 1929 اي بعد وفاته بعامين (32).

بعد توقف نشاط أول جامعة مصرية أهلية، وانشاء جامعات تدعمها الدولة درس فيها ما يزيد عن 32 درعمياً من أوائل الخريجين، وهكذا قام أوائل دار العلوم بدور رائع في التعلم العالي، بالغ الأهمية، مسار أو حتى أعظم من تأثيرهم في مدارس إعداد معلمي الابتدائي والإلزامي، والى جانب مجموع الدراعمة الذين عملوا مفتشين أو بدار العلوم نفسها، والخمسين خريجا الذين شغلوا مناصب مماثلة في كليات إعداد المعلمين العليا، يمكن أن نضيف إلى أولئكم وهؤلاء الأعداد الواضحة التي انضمت إلى هيئات التدريس في المعاهد الدينية، ومدرسة الحقوق.

ثلاثة مجالات أخرى امتد إليها التأثير الدرعمي في التعليم المصري، تخص التعليم في

المدارس الإقليمية والمشاركة في تفتيش المدارس، واعداد المواد التعليمية تأليفا وطباعة، وكل

هذه الإنجازات تدعمها الوثائق وتثبتها. ويعد موضوع المراكز المحلية شيفا، خاصة لأنه لا

يفسر التطور في مهن خريجي دار العلوم فحسب، وإنما أيضا لأنه محاولة من الحكومة المصرية لتغيير مسار تمويلها من التعليم الإلزامي إلى الوحدات المحلية، والاحتفاظ بمسئوليتها عن برامجها من خلال تفتيش المدارس. وفي الوقت نفسه تم تشجيع المجالس المحلية على إنشاء المدارس الابتدائية والثانوية أيضا.

لقد انتقلت مسئولية التعليم إلى المجالس المحلية رسميا في 1909، وكان لكل مجلس حرية تحديد كيفية تعزيز التعليم الإلزامي، كأن تدعم مثلا الكتاتيب التي تحت إدارتها فقط، أو تساعد الكتاتيب الخاصة أيضا.

ومنذ عام 1914 أصبح لمجالس المديريات السلطة الكاملة على التعليم الإلزامي دون مساعدة مالية من الحكومة، وكما كان متوقعا فإن بعض المجالس المحلية آثرت أن تمول التعليم بسخاء أكثر من مجالس أخرى.

واشتكت مذكرة عام 1913: "لدى المنوفية، وهي إحدى أغنى المحافظات في مصر، كل الأسباب لإنشاء مدرسة لإعداد معلمي الإلزامي مماثلة، ولكنها ليست ميالة للقيام بذلك" [33]. ويبدو أن انتقال مدارس المعلمين، وتقرير أن تكون السلطات المحلية مسئولة عن التعليم خلق فرص عمل خاصة في التدريس لخريجي دار العلوم، وفي عام 1913 كان 50 معلما من 90 في مدارس المعلمين الأولية التي تحت سلطة المجالس الإقليمية من خريجي دار العلوم [34]. وعمل 58 من الدراعمة معلمين في المدارس الفنية الابتدائية

والثانوية في تلك السنة. وفي آخر الأمر عمل أكثر من مئتي درعمي في المدارس التي تديرها المجالس. أضف إلى ذلك أن من بين الـ 43 مصريا الذين تخرجوا في دار العلوم عام 1913، وجد 29 منهم وظائف في مجالس المديريات على حين وجد 6 فقط وظائف في المدارس الحكومية [35].

لماذا احتشد الدرعميون في مدارس مجالس المديريات؟ أولا لأنه لا توجد وظائف خالية كثيرة في المدارس الحكومية المتضائلة. وثانيا: كان طلب الخريجين العمل في الأقاليم كثيرا. وفي عام 1911 أخطر أحمد حشمت المجالس والإدارات الحكومية المتعددة أن المعلمين ليسوا أحرارا في الانتقال من الوظائف الحكومية إلى المجالس الإقليمية دون موافقة وزارة المعارف [36]. ثالثا. وعلى أساس لقاءات مع الخريجين تبين أن المجالس تدفع رواتب أعلى لمدرسيها وعلى حين تخلت الوزارة عن سيطرتها على المدارس الأخرى لمجالس المديريات، أصبحت أكثر دعماً للمعلمين حيث تتأكد من حصولهم على حقوقهم أثناء تواجدهم في مدارس الوزارة. وفي أوائل عشرينيات القرن العشرين أعادت الوزارة توظيف هؤلاء المعلمين، مما يشي بأن المدارس التي عملوا فيها عادت مرة أخرى إلى السلطة المركزية يبقي أن نشير، ضرورة، إلى أن مجالس المديريات أثناء تمويلها للتعليم ظلت تحت مراقبة الحكومة وتفتيشها.

ثمة مجال تعليمي آخر. وضعت عليه الحكومة رقابتها وأبدى فيه الدرعميون مسئولية عالية، وعمل فيه على الأقل 312 درعميا من خريجي ما بين عامي 1873 و 1923، وهذا المجال هو تفتيش المدارس، حيث عمل قرابة ثلثهم مفتشا ثانيا، ووصل عشرهم إلى

أعلى المناصب [37]؛ وبحلول ثلاثينيات القرن العشرين أصبح التفتيش أعلى تنظيما وأشد فاعلية، وانكسر إلى تسع فئات أساسية من التعليم الأولى حتى التعليم الثانوي، وفي كل مجال تخصصي مثل التعليم الزراعي، والتعليم الصناعي [38]، ومع أن الدرعميين تقلدوا أعلى المناصب في مجالات التعليم الابتدائي والثانوي واللغة العربية، وفي مجالات التفتيش الأخرى إلا أنهم استطاعوا أيضا أن يشكلوا معظم مفتشي التعليم الأولى في الفترة من 1953 إلى 1920.

وتوضح نشرة دورية موجهة إلي المفتشين الثواني في عام 1904 خاصة بمهام مفتشي المدارس السبب في أن الوزارة تعد تفتيش المدارس مفتاح تحسين التعليم العام في مصر، إذ كان عليهم إخطار كل فقهاء الكتاتيب بإرسال طلباتهم إلى الوزارة في شهر أغسطس من كل عام، لمراجعة حالة السجلات فيما إذا كانت هناك حاجة إلى فقهاء جدد، وحتى يمكن إدراج أسماء كل الموظفين والمعلمين في التقارير، لتمكين كل كتاب من الحصول على المنحة المناسبة لقدره تماما، وللتأكد من تنفيذ كل شيء يرد إليهم، وللتأكد من تنفيذ أنه لا يدرس أي لغة أجنبية في الكتاتيب التي تتلقى منحة حكومية، والأهم من ذلك كله الحصول على صورة حقيقية لوضع التعليم في كل كتاب [39]. وتم إعفاء المفتشين من دفع رسوم القطارات، ولكن عليهم أن يستخدموا سجلا خاصا لذلك، ولا تدفع الوزارة ثمن تذاكر السفر لمن لا يستخدمون هذا السجل الخاص [40].

مع تطور التفتيش حظيت منشآت المدارس ومبانيها بالكثير من الاهتمام، وامتد هذا الاهتمام أيضا بمؤهلات معلمي الكتاتيب [40]، وفي بعض الأحيان كان يطلب من المفتشين المشاركة في إعداد المعلمين أو في شرح بعض اللوائح الجديدة لهم [42].

وتتضمن تعليمات التفتيش توجيه المعلمين إلى كيفية تحضير الدرس، وطريقة إعداد التقرير المقدم للوزارة [43]. وكان على المفتش أيضا تقديم تقرير عن الحالة الصحية لتلاميذ الكتاتيب، وكشفت مذكرة كتبت في عام 1913 مفاجأة مذهلة توضح الإعاقة الساحقة لأطفال المدارس المصريين تقول: إن 54% من كل التلاميذ في القاهرة و 81% من تلاميذ مدارس المحافظات يعانون من مرض التروكوما trachoma ، وحتى في دار العلوم وفي المدارس الثانوية الثلاث في القاهرة وطنطا والإسكندرية، كان أكثر من 90% من التلاميذ يعانون مشكلات في أيصارهم، وتبذل الحكومة جهدا في تقليل الحالات المعدية بمعالجة التلاميذ في المدارس، وبتوفير النظارات الطبية لكل من يحتاجها [44]. وأوضح الكثير من النشرات طريقة تدريس اللغة العربية، ووصفت بأنها "أهم مادة في التعليم" [45]. وفي عام 1888 تشكلت لجنة خاصة لدراسة هذا الموضوع، وكان كل أعضاء اللجنة إما مدرسين أو من خريجي دار العلوم، وأوصت بأن تعليم اللغة العربية يكون أكثر فائدة لتمكين الطلبة من

الاستفادة منه في حياتهم اليومية [46]. وأظهرت التقارير في حياتهم اليومية [46]. وأظهرت التقارير اللاحقة في القرن 19 أنه تم التأكيد على المفتشين بأهمية الشرح الواضح المعد والتدريب عليه بدلا من الصم بغير فهم في محاولة للوصول إلى الهدف الذي ألمحنا إليه عاليا.

وكان مطلوبا من المعلمين أن يتكلموا بلغة عربية صحيحة، وأن يصححوا أخطاء التلاميذ في الكتابة أو النطق، وتكررت تلك التعليمات مرات عديدة على مسامع المعلمين، وعندما لا يجد المفتشون هذا مطبقا على نحو صحيح وجيد في زيارتهم للمدارس، يطالبون المعلمين بالتقيد بما هو مطلوب منهم.

مثلا: كان من المفترض أن يخطر المفتشون الوزارة إذا وجدوا الفصول مزدحمة بعدد كبير من التلاميذ [47]. كما كان مطلوبا منهم تسجيل زياراتهم المدرسية في سجل المدرسة [48]. ويبدو أن بعض المعلمين شعروا بأن كتاتيبهم مهملة، فكانوا يذكرون المفتشين بضرورة تقسيم وقتهم بالتساوي بين كل الكتاتيب، والقيام بالزيارات نفسها للجميع [49]. وتأكدت مشكلة زيارة كل الكتاتيب من خلال تحديد المهام الموكولة لكل مفتش، مثلا: في عام 1906 زاد متوسط عدد الكتاتيب التي تحت إشراف المفتش الواحد إلى 120 كتابا، وفي

ذلك الوقت تألفت هيئة تفتيش من ثلاثة مفتشين أوائل، وستة وثلاثين مفتشا ثواني. وكلهم جميعاً من الدرعميين [(50)].

إلى جانب هذه الجهود المبذولة لمراقبة التعليم تدخل خريجو دار العلوم بشدة في توجيه التعليم عموما، واللغة العربية بخاصة، من خلال اختيار المواد التعليمية التي تدرس وكتابتها. وعلى حين كان المتغير رقم 32 شفرة لكمية مؤلفات الخريجين، والمتغير 40 يصنفهم وفقا للمجالات، استطاع المتغير 39 أن يضع قائمة بفئات تسع للمواد التعليمية التي ألفها خريجو دار العلوم. وبهذه الطريقة تم اكتشاف قرابة 100 خريج ممن ألفوا كتبا دراسية استخدمت في المدارس المصرية. كما ذكرت فصول أخرى، اشترك بعض هؤلاء الخريجين مع زملائهم في دار العلوم في تأليفها. والحق أن مجموعة كبيرة تشكلت في أوائل القرن العشرين [(51)] على يد عبد الرحمن أحمد، من واحد وثلاثين عضوا، 27 منهم من الدرعميين، وكان هدف هذه المجموعة تأليف الكتب المدرسية. وارتبط معظم أعضائها –ولا عجب –بتفتيش المدارس أيضا، والقليل منهم تلقى تعليفا في الخارج بعد تخرجهم، ومن ثم اعتمدت دوافعهم على اتصالهم المباشر باحتياجات الأطفال في المدارس المصرية.

بعامة، والى جانب مؤلفاتهم المدرسية، كان لخريجي دار العلوم إسهامات أخرى، بالتأليف في مجالات التربية واللغة العربية والأدب العربي والتاريخ والدراسات الإسلامية. ومع ذلك أسهم عدد هام منهم في التأليف في علم النفس والرياضيات والقانون، ومن بينهم برز شعراء مشهورون والشاهد على الساحة الكبيرة التي يشغلها الدراعمة في تأليف الكتب العربية تواجدهم في أغلب قوائم المصادر الببلوجرافية في العالم العربي، وتضم قائمة الكتب العربية التي نشرت في الجمهورية العربية المتحدة (مصر) بين عامي 1926 و1940 وحدها تسعين خريجا في دار العلوم على الأقل. وإذا نظرنا إلى كل الخريجين الذين وصلت أعمالهم إلى مرحلة النشر، نجد في هذا الجانب نحو 161 خريجا، أو إن شئت 15.8% على الأقل من الذين تحرجوا في دار العلوم بين 1783-1923، وكثير منهم ممن درسوا فيها أساسا. وتوضح الإحصاءات أيضا، أن التأليف عنصر هام في الترقية، كلما ارتفعنا درجة في المستوى التعليمي وجدنا خريجين أكثر ممن عملوا في هذا المستوى، لهم مؤلفات أكثر ممن هم في المستوى السابق، تدعم هذه الحقيقة تعليقات خريجي دار العلوم ممن التقيت بهم، وأجريت معهم بعض الحوار.

وبينما عرفت بالدور المؤثر لخريجي دار العلوم في مجالات تفتيش المدارس، والتأليف في مواد المقررات الدراسية، فإن الأمر تطلب أيضا ان أركز على حقيقة حاسمة، وهي: برجال التعليم وليس بالقوانين سارت مسيرة تعليم الأطفال في مصر، ولم تستطع قواعد كثيرة خاصة بنظم تفتيش المدارس، وجوهرها أن تغير وبسرعة، وضع التعليم في المدارس التي زاروها، وتشهد النشرات الكثيرة التي أصدرتها وزارة المعارف خلال الفترة التي تناولتها هذه الدراسة، والتقارير التي تلت ذلك، بالحاجة الملحة للارتقاء بالتعليم في المدارس الإلزامية والابتدائية والثانوية في مصر، وحدث هذا، نتيجة تدخل الدراعمة في التفتيش وإعداد المناهج الدراسية، بما في ذلك الكتب المدرسية، وغرسوا الاهتمام الملح بالتعليم المصري، وحاولوا تحسين الصعوبات التي سببتها أساليب التعليم العتيقة، وأن المواد التعليمية تستحق النظر فيها لأنها تجسد أفضل أهداف علي مبارك وهي: خلق معلمين جدد لمدارس مصر العامة، معلمون يعملون من أجل إصلاح التعليم في مصر.

الهوامش:

1) الدراسة المماثلة الوحيدة التي أعرفها هي لفاني كولونا Fanni Colonna ، وعنوانها المعلمون الجزائريون 1883- 1939، وصدرت في باريس 1975 Institueurrs Algerians 1883-1939, Paris 1975 ولفت نظري إليها آلان كرستلو Alan Christelou ، واتجاه كولونا في بحثها – إذا قورن بالدراسة الحالية – اجتماعي أساسا، مع اعتناء قوي بالخلفية الاجتماعية والمستوى الطبقي، وكانت المدرسة موضع بحثها فرنسية وفي الجزائر.

2) قدم لي هذه المعلومة درعمي اعترض على هذا المنهج، ومن ثم حذف المؤلف السيرة الخاصة به، مع أنه ساعد في جمع مادة الكتاب (تقويم دار العلوم)، ولحسن حظي كان هذا الدرعمى سخيا جدا معي للغاية، فامدني بذكرياته الشخصية.

3) يلفت جاكوب م. برايس Iacob M. Price النظر إلى هذا الخطر في كتابه: Studies in Quantative History and the Logic of the Social .Sciences (Midd le to wn, 1969) p 12.

4) استخدم الزميل كارل بترى Carl Petry المنهاج الأخير في رسالته للدكتوراه "Geographic Origins and Resedence Patterns of the Ulama of Cairo in the Fifteenth Century"، جامعة ميتشيجان 1974، وأشير إليه هنا باختصار "بتري".

5) سوف أستخدم هنين المصطلحين للإشارة إلى أماكن الميلاد، والمدينة التي تقلد فيها كل متخرج أعلى منصب تولاه.

6) عند اتخاذ هذا القرار استشرت عدة علماء في الدين والسياسة، فأجابوا عند سؤالهم عن كيفية اختيارهم لمعيناتهم بأنهم اختاروا كل شيء وجدوه.

7) الحلقة الذهبية من سلسلة التعارف والتآخي، ومعها جملة من الجداول والإحصاءات لطلبة مدرسة المعلمين الناصرية، صفحات 28-29".

8) التعليم في مصر في سنتي 1914 -1915، ص 116

9) يضع المصدر نفسه قائمة بنسبة الذكور فقط، وكان المتوسط في مصر 73%.

10) ابتداء من هنا يتم استخدام "جرجا"، و"جيزة" من غير أداة التعريف.

11) بتري ص 57-80-82.

12) في البدء شفرت ضواحي القاهرة التي أصبحت بارزة في أواخر القرن التاسع عشر كشبرا والعباسية وغيرها تشفيرا مستقلا، وظهرت في الخرائط برموز واضحة تتداخل مع رموز القاهرة، واندمج مجموع هذه مع مجموع القاهرة.

13) انظر ص......فيما سبق.

14) كما افترضنا هنا، فإن معظم المصريين الذين انتقلوا إلى المدن ظلوا مرتبطين بالقري التي ولدوا فيها، يعودون إليها في العطلات الرسمية، والمناسبات الخاصة، ومن ثم أثر خريجو دار العلوم في مواطنهم الريفية.

15) هذا، ويؤخذ في الحسبان أيضا قلة المدارس الحكومية، وندرة تفتيش المدارس في المحافظات قيل عام 1900 وازدياد فرص التوظيف في الأقاليم بعد عام 1909.

16) لأن للحصول على أعمار الخريجين تكون بطرح سنة للتخرج من سنة الميلاد، فقد تتراوح الأعمار الحقيقية في نطاق أثني عشر شهرا.

17) توجد قائمة بنظار المدارس في: التعليم في مصر في سنتي 1914 و1915، ملحق 5، ص 91-93. ولكن فقط قبل انتقال تلك المدارس خارج القاهرة إلى مراكز المحافظات في بداية عام 1914 والحق أن ثمانية وثلاثين آخرين –على الأقل –من خريجي دار العلوم أداروا تلك المدارس، مما ساعدهم في استكمال سيطرتهم على نظارة هذه المدارس.

18) كما درس في مدرسة القضاء الشرعي، ويظهر في معجم كحالة جـ 12، ص 140. وأرى أنه هو، وليس محمد يوسف قنديل الذي تخرج عام 1894، من شغل هذه النظارة، مع أن هذا ممكن ايضا، وقد درس قنديل في المستوى الابتدائي، في مدرسة الزراعة قبل أن يستقيل ليعمل محاميا.

19) مذكرة 1913، ص 3 و30. ويقدم التعليم في مصر في سنتي 1914 و1915 ص 102 مجموعا مختلقا بعض الشيء، لعدد من مدارس إعداد المعلم في مدن الأقاليم.

20) من ألنبي Allenby إلى كورزن Curzon في: التقرير السنوي لمصر والسودان Annual Report for Eggypt an the Sudan رقم 632، في 14 يونية 1920، وزارة الخارجية، 371/19-50/6985.

21) تقرير 1934، ص 89.

22) مذكرة 1913، 106

23) يتضمن رقم 102 المذكور في ص...... فيما سبق هؤلاء الخريجين فقط، ممن شفر لهم مكان عمل.

24) تقويم دار العلوم، ص 241، ويذكر الزركلي أيضا مشاركته 293/2. وسبق أن عرضنا لاثنين انظر: ص 102، 103، 104، 105، 121 ،123، 124 من هذا البحث.

25) تقويم دار العلوم، ص 241 -243. ويذكره آدمز مع كل من سعد زغلول، وقاسم أمين، وأحمد لطفي السيد، ص 225 على أنهم الذين اضطلعوا بعبء تأسيس اول جامعة مصرية، مع أن مصطفى كامل هو صاحب الفكرة الأصلية.

* في عام 2008 احتفلت جامعة القاهرة (الجامعة المصرية) بمرور منة عام على إنشائها، احتفالا شغل عاما بأكمله، وشغل شتى أجهزة الأعلام المسموعة والمرئية والمقروءة، مدفوعة الأجر أو موجهة من الذين أشوفوا عليه، لم يذكر فيه حفني ناصف،

أول رئيس لمجلسي إدارة الجامعة ولا بكلمة واحدة جهلا أو تعصبا، وكلاهما سبة تلحق

من قاموا بهذا الأمر، ولا تنقص من قدر حفني ناصف شيئا. (المعرب).

26) القرار الوزاري رقم 730، في 26 مارس 1913، وزارة الخارجية 371/ 1966/

16929. وانظر أيضا فيما سبق ص...... حيث تناولت هذا الموضوع على نحو أعمق.

27) تشتمل المجموعة الثانية على الخطب التي ألقيت في نادى دار العلوم في موضوع

الربا، ص 125-133.

28) مجمع اللغة العربية في القاهرة ص 86، وسركيس 782/1، وكحالة 265/9،

والزركلي 393/2-294، وصحيفة دار العلوم، 6 يولية 1936، ص 64.

29) ج. هيورث-دن، المجتمع والسياسة في الأدب المصري الحديث Societ and

Politics in Modern Egyptian Literature: A Bibliogra phicol

Survy, Midle East Journal جريدة الشرق الأوسط، 2(1948) 306-318.

كتاب تاريخ الشعر، ص 51. وحنا فخوري، تاريخ الأدب العربي (دمشق 1971). ص

962 -963.

30) يناقش آدمز حفني ناصف في ص 212، ويتناول ابنته بالدرس ص 235 - 239.

31) تقويم دار العلوم، ص 179 -180. كحالة 295/10.

32) ثمة قائمة بهذه المؤلفات في: تقويم دار العلوم ص 279-280، كحالة 10/ 295 -والزركلي 151/7. والكتب العربية التي نشرت في الجمهورية العربية المتحدد (مصر) بين سنتي 1926-1940 ص 52، 133-173-وبرتوكول ملحق 310/3 -وسركيس 825/1 -826.

33) مذكرة عام 1913، ص 18.

34) المصدر نفسه ص 31.

35) المصدر نفسه ص 106.

36) تتضمن النشرة العامة لوزارة المعارف العمومية رقم 1332 خطاب20 أبريل 1911.

37) انظر الملحق رقم 12، حيث توجد قائمة بالدرعميين الذين عملوا في تفتيش المدارس من 1903 حتى 1920، والمناطق التي فتشوا عليها، وهو جدول يرتكز على ثلاثين نشرة لوزارة المعارف العمومية.

38) تقرير 1934، ص 24.

39) وزارة المعارف العمومية، نشرة رقم 8، في 28 مارس 1904.

40) وزارة المعارف العمومية، نشرة رقم 12، في 17 نوفمبر 1903.

41) وزارة المعارف العمومية، نشرة رقم 23/ 21 يناير 1909 –ونشرة رقم 27 في 12 ديسمبر 1911، نشرة رقم 22 في 21 يناير 1909، نشرت رقم 1312، في 26 أكتوبر 1903.

42) وزارة المعارف العمومية، نشرة رقم 1911 في 12 ديسمبر1911، ونشرة رقم 1312 في 26 أكتوبر 1913.

43) المصدر نفسه، المعارف العمومية، نشرة رقم 22 في 21 يناير 1909.

44) مذكرة 1913 ص 169-171.

45) وزارة المعارف العمومية، نشرة رقم 231 في 20 ديسمبر 1888، ص 184.

46) المصدر نفسه، ص 186.

47) وزارة المعارف العمومية، نشرة رقم 29 في 24 ديسمبر 1912.

48) وزارة المعارف العمومية، نشرة رقم 30 في 7 يناير 1913.

49) وزارة المعارف العمومية، نشرة رقم 32 في 23 أكتوبر 1913.

50) مذكرة،1909، ص 38-39.

51) في الفصل الثاني من هذا البحث، توجد قائمة بالمشاركين من المجموعة في تقويم دار

العلوم ص 137-138